نفح العبير

او

سيرة البطريرك مار سويريوس الكبير

تأليف

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

ܐܒܘܢ ܚܢܘܢ

ܕܛܘܒܢܐ ܡܪܝ ܣܘܝܪܝܘܣ ܪܒܐ

ܒܝܕ

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܝܥܩܘܒ ܬܠܝܬܝܐ

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ

طبع بنفقة نيافة مار أثناسيوس يشوع
مطران الولايات المتحدة وكندا

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٧٠

2801
$6.00

Ex Libris
George bar Anton d'beth Kiraz
1995

نفح العبير

او

سيرة البطريرك مار سويريوس الكبير

تأليف

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

ܬܫܥܝܬܐ ܫܘܒܚܘܗܝ

ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܡܪܝ ܣܘܝܪܝܘܣ ܪܒܐ

ܒܝܕ

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܝܥܩܘܒ ܬܠܝܬܝܐ

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٧٠

المقدمة

نحمد الله على ما أسداه الينا من آلاء ونقول :

يطيب لنا أن نتحف أبناء الكنيسة الأحباء ، بسيرة مفصّلة ، فوّاحة بعرف الفضائل ، وزاخرة بالقيم الروحية والمُثُل العليا ، لقديسنا الجليل البطريرك مار سويريوس الكبير ، لَمَمنا شَعَثَهَا من بطون عشرات الأسفار ، علّهم يجنون منها فوائد جمة ، ويقتبسون لحياتهم دروساً بليغة ، في البذل والتضحية ونكران الذات والتمسك بأهداب الايمان القويم .

ومار سويريوس كما لا يخفى ، هو فخر البطاركة الانطاكيين ، وبلبل الكنيسة الغرّيد وخطيبها المصقع وكهفها المنيع ، الذي وجدت فيه ضالتها المنشودة . بل هو بحر العلوم الزاخر الذي اغترف منه العلماء على كرّ الأجيال ، وأحنوا له هاماتهم إجلالاً وإكباراً .

لقد ذكر معظم المؤرخين قديسنا مار سويريوس ، بيد ان كلاً منهم نظر اليه من زاويته الخاصة . وكم للعصبية المذهبية من تأثير على الأقلام!!! وهذا ما حدانا الى الاستفاضة في هذه السيرة لاستجلاء الحقائق الموضوعية المجردة . قال سلفنا الطيّب الذكر البطريرك افرام الاول برصوم ، بعد أن سرد أعماله : « فبعد الوقوف على أعمال هذا الحبر العظيم وإحاطته بأصول العلوم وفروعها التي تشهد له بأنه لم يكن أوحد عصره وحسب ، بل منقطع القرين بعلمه في البطاركة الانطاكيين من سبقه ومن لحقه على الاطلاق ، ليحكم القارىء الحصيف منصفاً على خصومه المغرضين الذين هان عندهم فضله ، لتحكيم الهوى في نفوسهم ، حتى اضطروا يسطنيان فأمر باحراق مؤلفاته وتشديد العقاب على من ينسخها أو يُحرزها . فضاعت باليونانية الا نتفا لا بال لها ، وحُفظت بترجمتها السريانية بفضل علمائنا . وها هي كلما عاينت نور الطباعة جاءت بدليل جديد فاصل على فضل مؤلفها ومتانة حججه القواطع ، وحوّلت أنظار العلماء من الامتهان التقليدي له الى التعجب والاعتبار وبعض الانصاف » (اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٩) .

سدّد الله خطانا الى ما فيه مجده وعزة كنيسته آمين .

دمشق في ١٩٧٠/١٠/٧

المؤلف

إهداء الكتاب

* إلى البحاثة الكبير الذي سبر غور التاريخ الكنسي
* إلى الخطيب المِصْقع وأمير المنابر
* إلى مجدّد أمجاد الكنيسة وباعث نهضتها في القرن العشرين
* إلى روح سلفنا الطيّب الذكر العلّامة البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم

نهدي هذا الكتاب

المؤلف

ܒܣܘܬܪܐ

ܠܐ ܟܗܘ ܐܡܪܐ ܟܠܐ ܟܠܐ ܐܦܢ ܠܡܢܟܘܬܗ ܡܫܟܢܬܐ ܕܟܘܠܝ
ܡܘܕܝܢ ܘܐܡܪܝܢ: ܕܟܫܡܫܐ ܟܝ ܟܡܕܒܪܗ ܟܟܢ ܚܕܝܐ
ܫܡܝܐ܆ ܠܟܬܒܬܐ ܦܘܢܝܬܐ ܕܦܬܚܝܢ ܩܠܝܢ ܡܪܢ ܫܘܡܪܘܫ
ܦܠܐ܆ ܗܦ ܕܡܢ ܫܘܠܐ ܕܫܦܝܪܐ ܟܬܝܒܝܢ ܥܘܠܟܝܢ܆ ܐܝܟܢܐ
ܕܡܢܗ ܢܘܬܪܐ ܡܫܢܝܐ ܠܓܘܫܡܗ܆ ܘܗܘ ܚܠܐ ܠܝܬܝܠ ܕܟܠ
ܡܢ ܠܐ ܐܘܠܝܢ ܢܬܐ ܘܡܫܬܪܫܢܐ ܘܐܝܘܕܘܬܐ ܕܟܬܒܢܐ
ܕܘܡܟܫܘܬܐ ܠܦܝܫ ܡܘܟܠܐ ܠܫܬܡܘܗܝ ܠܫܡܝ. ܒܗܘ
ܕܟܡܫܡܠܬ ܒܪܝܫ ܡܬܠܦܐ ܩܝܡܝܢ܆ ܘܟܝܘܡܠܬ
ܒܫܡܫܬܐ ܦܘܢܝܬܐ ܢܦܫܐ܆ ܘܟܟܡܠܬ ܒܣܘܦܐ
ܦܐܠ ܕܡܫܝܐ. ܡܪܢ ܫܘܡܪܘܫ ܓܪܝ ܐܝܟ ܕܠܐ ܒܫܡܐ܆
ܐܬܦ ܣܘܦܐ ܕܦܠܓܐ ܕܐܬܟܘܫܝܐ܆ ܘܟܝܢܐ ܡܟܬܒܢܐ
ܕܟܝܢܐ ܫܘܦܪܢܐ ܘܒܪܘܐ ܡܟܟܠܐ ܘܢܫܡܢ ܢܫܡܐ܆
ܕܡܘܫܘܒܚܝܢ ܢܫܡܬܐ ܠܫܡܝܐ. ܐܝܟ ܕܐܦ ܢܦܠܘܗ ܫܟܝܢܐ
ܕܘܟܫܠܐ܆ ܕܡܢܗ ܟܠܐ ܕܩܡ ܢܝܘܟܠܐ ܠܟܗ܆ ܘܐܡܪܐ
ܘܦܘܡܪܐ ܕܡܠܐ ܣܡܟܝܢ ܟܪܝܟܘܬܐ ܓܘܐ ܟܗ ܦܪܟܗ. ܐܘܦ
ܕܝܢ ܫܘܠܐ ܕܡܟܬܒܐ ܕܐܝܠܐ ܟܗ ܟܫܘܟܠܗܘܢ ܐܝܟܢܐ܆
ܐܠܐ ܟܠܐ ܣܒ ܡܢܗܘܢ ܡܢ ܦܘܠܚܗ ܕܝܟܠܬܐ ܟܠܗ ܣܘܓܐ ܚܟܡ.
ܐܝܟ ܕܐܦ ܐܢܫܝܢ ܟܢܒ ܫܡܫܐ ܠܦܬܟܗܘܢ ܠܘ ܕܝܠܗܘܢܐ
ܡܢ ܐܘܦܝܐ ܢܫܡܬܐ ܫܪܟܗ܆ ܘܟܫܪܝܬܐ ܕܟܠܐ
ܢܪܘܗܝ ܠܐܢܫܐ ܕܟܘ. ܘܟܠܝܘܐ ܟܫܟܬܒ ܫܡܫܘܡܐ
ܕܢܫܦܫܝܢ ܐܢܫܝܢ܆ ܒܝ ܟܠܐ ܟܠܝܘܐ ܕܡܢܘܐ ܠܫܟܠܝܢ.

ܕܡܫܡܫܢܐ ܒܫܢܬ ܐܐ ܕܝܘܢܝܐ ܚܒܝܫ ܚܠܝܐ ܐܝܪ ܡ

ܫܘܠܡܐ

الفصل الأول

حداثته ودراسته

وُلد في حدود سنة ٤٥٩ في مدينة سوزوبوليس من ولاية بيسيدية في آسيا الصغرى ، وسُمي سويريوس باسم جده لأبيه – أسقف مدينته ، وأحد آباء المجمع المسكوني الثالث الافسسي سنة ٤٣١[١] • كان أبوه عضواً في مجلس ادارة المدينة • وبعد وفاته ، أرسلته أمه مع شقيقيه الاكبرين الى الاسكندرية[٢] لدرس الأدبين اليوناني واللاتيني • فقرأ أولا على يوحنا الفيلسوف ثم على سوفطروس الفصيح ، وانصبّ على اغتراف العلم دون أن يميل يمنة او يسرة الى الامور العالمية ، حتى بهر الجميع بذكائه المفرط •

واذ لم يكن بعد قد اقتبل سر العماد المقدس[٣] ، كان زملاؤه وبينهم زكريا الفصيح خدنه الحميم يتألمون لأجله •

---

(١) من التجني الفظيع على الحقيقة التاريخية ، قول المطران يوسف الدبس الماروني عن صاحب الترجمة « انه ولد في بلاد فارس وثنياً وتنصر في طرابلس » !!! (تاريخ سورية مج ٤ ص٥٦٤) ، ولكن هو الغرض ، والغرض مرض •

(٢) لا صحة لقول الدبس عنه « انه شايع بطرس الالثغ البطريرك الاسكندري ، ثم اعتزل عن شركته لما أذعن الالثغ لمنشور زينون المعنون هنوتيكون أي منشور الاتحاد ، لان المنشور لم يصرح بنبذ رسوم المجمع الخلقيدوني » (المصدر نفسه) • ذلك أن سويريوس كان فتى يافعاً يوم أمّ الاسكندرية للدراسة ، ولم يكن ليأبه آنذاك للأمور البيعية ، لا أن يشايع ولا أن يناصب أحداً • أما مار بطرس المشار اليه فكان أرثوذكسياً قبل اذعانه لمنشور زينون وبعد ذلك أيضاً ، وقد توفي سنة ٤٩٠ أي بعد ترهب سويريوس بسنة واحدة • وأما منشور زينون فقد تمسكت به الكنيسة واعتبرته نقضاً للمجمع الخلقيدوني ، سواء أصرح بنبذ رسومه أم لم يصرح ، كما شرحه بعدئذ مار سويريوس نفسه • ومن الهرف وفيالة الرأي قول الخوري اسحق أرملة « أن زينون أصدر الهنوطيقون قصد الموافقة بين الارثوذكسيين (أي الخلقيدونيين) والاوطاخيين » (الملكيون ص ٢٥) مع انه تضمن حرما صريحا لاوطيخا •

(٣) هكذا كان أهل وطنه يرجئون عمادهم الى ما بعد سن الرشد •

فقدّموا له مصنفات مار باسيليوس الكبير ومار غريغوريوس ضد الفيلسوف ليبانيوس ، وأجوبة ليبانيوس التي أقرّ فيها باندحاره أمام باسيليوس ، فقرّر أن يترسم خطى باسيليوس. فتنبأ عنه أحد رفاقه وهو مينا القبادوقي ، وكان تقياً فاضلا، بأنه سيلمع بين الاساقفة كالذهبي الفم . ثم انتقل الى بيروت ليقرأ الفقه الروماني في كليّتها الشهيرة ، يوم كان لأونطيوس ابن أودوكسيوس الشهير يلقي دروسه الفقهية فيها ، فقرأ عليه .

وقد قيّض له الله زملاء أفاضل ، منهم : زكريا الفصيح المشار اليه وأوغريس الفيلسوف النبيل وزنودور وانسطاس الرهاوي واليشع الميقي العجيب وأناطوليوس الاسكندري وفيلبس من باترا ليقية واسطيفان الفلسطيني ، كلهم من جلة الفضلاء ، وكانوا متبحرين في الفقه الروماني . فأخذه زكريا مرة الى كنيسة والدة الاله التي كانت قريبة من ميناء بيروت ، وطفق يفسّر له بدءاً من سفر التكوين حتى تجسد الله الكلمة ، وعن ضرورة العماد المقدس ، ناصحا اياه بالتمسك بأهداب التقوى والمواظبة على الصلاة اليومية في الكنائس بعد دوام المدرسة . واذ كان قانون الدولة يقضي بالعطلة في كلّية الحقوق ، من بعد ظهر السبت حتى نهاية يوم الاحد ، لذلك خصص زكريا وسويريوس هذا الوقت لمطالعة مصنفات ملافنة البيعة فقرأ أولا « ستة أيام » باسيليوس ، فمقالاته النسكية ، فرسائله ومقالاته الى امفيلوخيوس ، فردّه على اونوميوس ، فنصائحه للشبان في كيفية الاستفادة من مصنفات الوثنيين ، فمؤلفات اثناسيوس الاسكندري ، فمصنفات السمّيين الثلاثة غريغوريوس ، فمؤلفات الذهبي الفم وكيرلس الاسكندري(٤) .

---

(٤) سيرته بقلم زكريا الفصيح .

الفصل الثاني

اقتباله سر العماد المقدس

اتفق سويريوس وزكريا وأوغريس واليشع ، على حضور صلاة المساء يومياً في بيعة القيامة ـ انسطاسيا ـ[1] التي أنشأها أوسطاثيوس متروبوليت بيروت الارثوذكسي[2] ٠ وكان يرافقهم اليها انسطاس الرهاوي وفيلبس من باترا ليقية وأناطوليوس الاسكندري واسطيفان الفلسطيني ٠ وكانوا يترددون أيضاً الى كنيسة مار يهوذا الرسول ،وقسيسها يوم ذاك يسمى قوزما ٠ وفيها كان يتنسك يوحنا الفلسطيني خرّيج كلّية الفقه البيروتية ، والراهب مينا القبادوقي الآنف الذكر ٠ واقتدى سويريوس باوغريس العجيب في ممارسة الصوم والصلاة ٠ وفي هذه الاثناء شجعه زكريا الفصيح على اقتبال سر العماد المقدس ٠ فرضي شريطة أن يتم في بيعة الشهيد لأونطيوس في طرابلس ـ وكانت هي الاخرى أرثوذكسية ـ وأن يكون عرّابه أوغريس الفاضل ٠ فرافقه الى طرابلس كل من زكريا الفصيح وأوغريس واليشع وأناطوليوس وزنودور وغيرهم من الافاضل ٠ وأخذوه أولا الى يوحنا الفيلسوف الكبير الذي كان عاكفاً على الصلاة في هذه الكنيسة منذ نعومة أظفاره ، وقد أنشأ ثمة ديرا ٠ وبعد أن وعظه هذا بوجوب التمسك بالفضائل والايمان ، وكلمه من مصنفات غريغوريوس النوسي أخي مار باسيليوس الكبير ، وكيرلس الاورشليمي ، والذهبي الفم ، جاؤوا الى الكنيسة

---

(١) سيرته بقلم زكريا الفصيح ٠

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج١ ص ١٨٢ ٠

حيث عمّده القس لأونطيوس الارثوذكسي[٣] • وبعد العماد أضافه في بيته القس العالم الفاضل ساويرا ، وكان هو الآخر كاهناً أرثوذكسياً لبيعة طرابلس • كان ذلك سنة ٤٨٨ • وبعد أن أقام ورفاقه في طرابلس لبضعة أيام ، عادوا الى بيروت حيث أنهى سويريوس دروسه الفقهية بتفوق على أقرانه، وتعين أستاذاً للشرع في كلّيتها[٤] •

الفصل الثالث

ترهّبه

في نهاية هذه السنة الدراسية ، قرر العودة الى وطنه ، فزار بيعة الشهيد لأونطيوس في طرابلس ، وتبرك من هامة مار يوحنا المعمدان في حمص • وكان يرافقه في هذه الرحلة ، زكريا الفصيح • وفي حمص اجتمعا الى الكثيرين ممن كانوا متمكنين من الفلسفة الروحية • ولما عادا الى بيروت ، ابتاع سويريوس بزة المحاماة • وفيما كان يستعد للرجوع الى وطنه ، خطر على باله أن يزور أولا أورشليم ويتبرك من الأماكن المقدسة • فأودع الفصيح ثيابه وعبيده الا واحداً اصطحبه معه • وبعد أن تبرك من الاماكن المقدسة ، وسلم على أخوية أوغريس وتلامذة مار بطرس الكرجي في غزة ، قادته النعمة

---

(٣) لم يكن الذي عمده « أسقفاً كاثوليكياً » أي خلقيدونياً كقول الدبس ، بل قساً أرثوذكسياً على مذهب كنيستنا السريانية وشقيقاتها في الايمان ، كما أخبرنا زكريا الفصيح رفيق مار سويريوس وكاتب سيرته •

(٤) راجع سيرته بقلم زكريا الفصيح وأخرى بقلم يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ، وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧ •

الالهية الى الرهبنةالمقدسة ، فرحّب به رهبان دير مار بطرس الكرجي أجمل ترحيب ،واحتفوا بالباسه الاسكيم الرهباني ، ودربوه على أسس الفضيلة حتى أوصلوه الى قمة الفلسفة الروحية • فكتب من ثم أوغريس الى الفصيح بما اختاره الله لسويريوس ، مفوضا اليه صرف عبيده الى بلده وتوزيع ثيابه على المساكين •

وبعد أن صرف مدة في هذا الدير ، انعزل وانسطاس الرهاوي الآنف الذكر الى برية الوتروبوليس (بيث جبرين)، حيث أمعن في أعمال النسك الخشنة ، حتى انحل جسمه وشارف الموت ، فلما بلغ أمره رئيس دير رومانوس الشهير ، نقله ورفيقه الى ديره ، محيطا اياه بعناية كبرى حتى تماثل الى الشفاء واستعاد قوّته ونشاطه • ثم عاد ورفيقه الى عزة واختلى في صومعة في مايوما بجوار دير مار بطرس الكرجي • ولما بُعد صوته ، أجاب الى رغبة الكثيرين ممن أحبوا التتلمذ له ، فأنشأ ديراً بالمال الذي أصابه من تركة أبويه ، انضوى الى لوائه العديد من طلاب الزهادة ، حتى رن صيته في الآفاق، فأقبل اليه جمهور من الاساقفة والكهنة والرهبان ، يسألونه حل المشكلات التي واجهتهم في الكتاب العزيز والعقيدة المسيحية • وفي هذه الآونة رسمه كاهناً مار ابيفانيوس المعترف[١] أسقف مغيذوس في بمفيلية وكان أرثوذكسياً[٢] •

---

(١) راجع سيرته بقلم الفصيح وأخرى بقلم يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ، وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧ •

(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٥٤ •

الفصل الرابع

دفاعه عن الايمان

كان في الاسكندرية راهب اسمه نيفاليوس ، سبّب فتنة كبرى سقطت فيها ربوات من القتلى في الاسكندرية . وفي سنة ٤٩٠ تظاهر بالندامة وبالتمسك بالارثوذكسية في ماكتبه نقضاً للمجمع الخلقيدوني في رسالته الى فراويطاس القسطنطيني ، وكان يطمح الى رتبة الكهنوت في الاسكندرية . ولما لم يجد ضالته المنشودة ، يئس ، ثم نادى بالمجمع الخلقيدوني ، وجاء أورشليم وطفق يماحك بل يضطهد وأنصاره ، الرهبان تلامذة مار بطرس الكرجي وأنصارهم ، ولا سيما الراهب سويريوس ، باغتصاب أديارهم ، الامر الذي اضطر الراهب سويريوس ، التوجه الى القسطنطينية ليدافع عن أولئك الرهبان الفلسطينيين . وفي سنة ٥٠٨ أمّ العاصمة البيزنطية على رأس مئتي راهب من بلاد فلسطين والشرق . فلما مثُل بين يدي الملك انسطاس وأكد له ظلامتهم ، أمر باعادة أديارهم المغتصبة(١) . فخرج سويريوس من لدن الملك ورايات الظفر تخفق فوق هامته . وكتب من ثم الى رؤساء تلك الاديار رسالة في الايمان ، برهن لهم فيها على أن لربنا يسوع المسيح بعد الاتحاد طبيعة واحدة من طبيعتين ، وحثهم على الاهتمام بتوحيد صفوف كنيسة الله المقدسة الجامعة(٢) .

---

(١) من الغريب العجيب ان يقول أسد رستم عن سويريوس ورهبانه انهم كانوا يحاربون نيفاليوس وغيره من الرهبان الذين قالوا بالطبيعتين ، مع علمه الاكيد بأنهم كانوا يشكون الى الملك ظلامتهم من هؤلاء المغتصبين !

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ والاحاجي له ص ١١٠ .

وحين باء نيفاليوس وأنصاره بالفشل الذريع ، أخذوا يهرفون ويهذون بأن سويريوس وأبناء كنيسته الارثوذكسيين، متمسكون ببدعة أوطيخا ، كما يهذي اليوم أحفادهم[٣] ٠ فانبرى سويريوس الى تفنيد مزاعمهم الباطلة بمقالة ضافية وجهها الى البطريقين الشهيرين أفيون وبولس ، ناقضا فيها سفاسف أوطيخا وأبوليناريوس ونسطور جملة ٠ وأنفذ بهذا المعنى جملة رسائل الى آخرين[٢] ٠

وفي المدة التي صرفها في القسطنطينية بذل ما في وسعه لتوحيد صفوف المؤمنين ، في حين آن عدداً من الاساقفة والرهبان الانطاكيين لم يرق لهم لمّ شعث أعضاء الكنيسة ، لاسيما في مايخص رأي البطريرك فلابيانوس الثاني الانطاكي المتذبذب ، إذ فسّره تفسيراً بنّاء ، رافعاً اياه الى سمو التعليم الصحيح ، مخففاً بذلك من غلواء الذين ناهضوه[٢] ٠

---

(٣) قال المطران الدبس « كان سويريوس مغوياً بغواية أوطيخا »!!! (تاريخ سورية مج ٤ ص ٤٦٥) ٠ والحق ان الدبس وأصحابه الخلقيدونيين لم يستطيعوا أن يتبصروا حقيقة عقيدة سويريوس ، لتقنعهم بالبدعة النسطورية ٠ على أن القس جوزيف لبون الفرنسي الكاثوليكي ، حين حكّم الضمير ورجع الى روية وتمحيص ، قدّر أرثوذكسيته ونزّهها عن كل شائبة (كتابه « العقيدة المونوفيزيتية بحسب رأي مار سويريوس » طبعة لوفان) ٠

الفصل الخامس

فضحه مقدون القسطنطيني

كان الملك انسطاس قد دعا في سنة ٥٠٨ الى مجمع مسكوني في القسطنطينية لبحث قضايا الايمان. فكان الراهب سويريوس من جملة الذين حضروه . وقد واصل المجمع أعماله مدة ثلاث سنين ، أعاد خلالها النظر في قرار المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، وحرمهما . وبأمر انسطاس فتح الآباء صندوق الشهيدة أوفيمية وأخرجوا منه طومس لاون والنسخة[١] الاصلية لقرار المجمع الخلقيدوني وأحرقوهما بالنار[٢]. وأخيرا بحثوا قضية البطريرك مقدون القسطنطيني (٤٩٥ ـ ٥١١) .

كان مقدون متذبذباً في ايمانه . ففيما نراه عند تنصيبه أرثوذكسياً يوقّع هنوطيقون زينون[٣] اذا به يميل بعد حين الى الخلقيدونيين ، ويقيم تذكارا لنسطور ، ويجمع من مصنفات أساطين النسطرة : ديودوروس وثاودوروس وثاودوريطس ، كتابا يكسره على ٢٤٠ فصلا وينحله مار كيرلس الاسكندري ، وغيره من ملافنة البيعة ، مموها انهم كانوا يقولون بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد . فانبرى الراهب سويريوس الى نقض سفاسفه ببراهين قاطعة. وزيادة في التأكيد ، سأل الملك أن يستحضر من الاسكندرية النسخ

(١) وردت هذه اللفظة في مؤلفنا « الاحاجي » ص ١٠٨ « النسخ » بالجمع ، وهو خطأ مطبعي .
(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٩ـ٢٦٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج١ص ١٨٧ .
(٣) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٢٨٩ وسيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح .

الاصلية لمقالات ورسائل كيرلس · فلما استحضرت ، قارنبها سويريوس النصوص الواردة في كتاب مقدون بحضور القضاة الذين عيّنهم الملك ، فكشف عن ٣٣٠ نصّاً مزوّراً ، ثم ألف بذلك كتاباً أسماه فيلولاتيس (محب الحق) ، دفاعا عن كيرلس وغيره من الأئمة ، وتفنيداً لضلال مقدون[٤]·وكان هذا الامر انتصارا مبينا للارثوذكسيين على الخلقيدونيين الذين التحفوا بأذيال الخجل· ثم قال سويريوس للملك انكان يرغب في سلام الكنيسة ويشفق على رعية الله التي اقتناها بدمه ، فليسأل مقدون اذا كان يعترف بأن واحداً من الثالوث الاقدس تجسد من أجلنا وصار انساناً بدون تغير ، وولد من مريم ، وان التي ولدته هي « والدة الاله » أم لا ؟ فأوفد اليه في الحال البطريق رئيس الجيش والحاكم قيلاروس ليسألاه ذلك · فلما وجّها اليه السؤال نفر منهما قائلا : انه لن يعترف بهذا ولئن قطع لسانه · فعادا وبلّغا جوابه الى الملك الذي أمر بعزله ونفيه · وكان ذلك سنة ٥١١ · وعاد سويريوس الى ديره منصوراً غانماً[٥] ·

وبعد هذا أفليس من المكابرة والمغالطة أن ينافح الدكتور أسد رستم عن مقدون ، ويقول ان أخصامه افتروا أقوالا وأفعالا نسبوها اليه وهو براء منها؟[٦] · أليس من التجني والتضليل أن يقول حضرته عن سويريوس انه أوغل في بحث

---

(٤) نشر شمندا في بيروت سنة ١٩٢٩ ترجمته السريانية ونقله الى اللاتينية ·

(٥) سيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح وتاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠ وتاريخ الكنيسة السريانيـة الانطاكيـة للمؤلف ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠ والاحاجي لـه ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ·

(٦) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٥ ·

الاسفار المقدسة وأمعن في تنقيب التقليد ليدحض طومس لاون ويخرج على مقررات المجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني ، فيشتت بذلك صفوف المؤمنين ويشق الكنيسة ، غير مكترث بدستور الايمان الموروث (كذا) ؟[٧] · ترى ماذا كان ينتظر من سويريوس أن يفعل ازاء ذلك التزوير الفاضح ، وهو يرى قدسية الايمان الارثوذكسي وقد وطئها بنعليه مقدون الخلقيدوني ؟ أأن يقف مكتوف اليدين أم أن يُمعن في تنقيب التقليد الصحيح لدحض ذلك الزور والبهتان ؟ فاذا كان المجمع الرابع الخلقيدوني قد خرج مع طومس لاون الروماني على مقررات المجمع المسكوني الثالث الافسسي ، وشق الكنيسة جسم المسيح ، وشتت صفوف المؤمنين ، أفيلام سويريوس اذا ما أعمل في صرح ذلك المجمع نقضاً وتقويضاً ؟ ترى على من يصح القول « انه لم يكترث بدستور الايمان الموروث » ؟ أعلى سويريوس الناسج على منوال القديس كيرلس الاسكندري رئيس المجمع المسكوني الثالث كما شهد أسد رستم نفسه[٧] أم على لاون الروماني ومقدون القسطنطيني الطابعين على غرار نسطور المحروم في هذا المجمع المقدس ؟

(٧) فيه ص ٣٥٤ ·

الفصل السادس

انتخابه بطريركاً في مجمع صيدا

لم يكن البطريرك فلابيانوس الثاني الانطاكي أقل تذبذباً من مقدون الآنف الذكر . فقد كان في بادىء الامر متمسكاً بالعقيدة الارثوذكسية ، مناهضاً المجمع الخلقيدوني[1] ، فوقع عليه اختيار المجمع الانطاكي والملك انسطاس سنة ٤٩٨ ونصّب بطريركاً لانطاكية ، فتبادل والبطريرك الارثوذكسي يوحنا الثاني الاسكندري (٥٠٥ ـ ٥١٦) سنة ٥٠٥ الرسائل السلامية والايمانية ، تضمنت حرم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني[2] ، ثم تبدل واعتزل شركة يوحنا وشايع مقدون المشار اليه ويوحنا الاورشليمي الخلقيدونيين . بيد انه عقد سنة ٥٠٩ مجمعاً في انطاكية أعلن فيه قبوله للمجامع الثلاثة الاولى (دون أن يذكر الخلقيدوني) ، وحرمه لأساطين النسطرة : ديودوروس وثاودوروس وثأودوريطس وهيبا[1] . ثم تغير ونبذ هنوطيقون زينون واضطهد رهبان الشرق والنساك الارثوذكسيين في سورية الثانية[3] . وحيال هذا التذبذب ، شدّد عليه النكير مار فيلوكسينوس المنبجي ، وبطلب منه أمر الملك انسطاس بعقد مجمع شرقي في صيدا في خريف سنة ٥١٢ حضره فلابيانوس وثمانون أسقفاً من

---

(١) تاريخ سورية للدبس ج ٤ ص ٣١٦ .

(٢) تاريخ زكريا الفصيح ج ٢ ص ١٤ ـ ١٥ .

(٣) سيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح .

الشرق وعدد كبير من الرهبان الشرقيين الغيارى على الايمان ، الذين استحلفوا الآباء بأن يبذلوا كل ما في وسعهم لتذليل العقبات التي تعترض سبيل اتحاد الكنائس ، بحرمهم الصريح للمجمع الخلقيدوني ٠ أما فلابيانوس ومن حازبه ، فكانوا يرون الاكتفاء بحرم نسطور ومؤلفات ديودوروس وزملانه والردود التي عُملت على فصول مار كيرلس الاثنيعشر[٤] ٠ وأما الاساقفة الذين قاوموا فلابيانوس في هذا المجمع فكانوا عشرة فقط وهم : فيلوكسينوس المنبجي وأربعة من ولايته ، وشمعون أسقف قنسرين ، نيقيا أسقف اللاذقية ، بطرس أسقف حلب ، توما أسقف حنصرة (خناصير) ومارينا أسقف بيروت[٥] ٠ فلما رأوا فلابيانوس متمسكاً برأي مقدون ، قرروا عزله ، وتوجه مار فيلوكسينوس المنبجي بعدد وافر من أولئك الرهبان الى انسطاس ، وأنهى اليه كل ما جرى في المجمع ، فأمر الملك بعزل فلابيانوس ونفيه الى البتراء[٦] ٠

وبعد أن عزل المجمع فلابيانوس ، انتخب بدلا منه الراهب سويريوس السوزوبولي الآنف الذكر ، ورفع صك انتخابه الى الملك انسطاس للتصديق ٠ وبعد أن صدّقه توجه وفد من قبل المجمع الى ديره حاملا اليه كتاب الملك بوجوب حضوره المجمع ٠ ولما انتهى الى صيدا وعلم بانتخابه ، حاول الافلات من أيدي الآباء ولكن دون جدوى[٧] ٠

(٤) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٥٠ ـ ٥٤

(٥) رسالة مار فيلوكسينوس المنبجي الى شمعون رئيس دير تلعدا في سياسة الكنيسة ٠

(٦) سيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح ، وتاريخ الفصيح مج ٢ ص ٥٢ ـ ٥٤ ٠

(٧) سيرته بقلم يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ٠

الفصل السابع

تنصيبه

بعد أن أذعن الراهب سويريوس للمشيئة الربانية المعلنة في رغبة آباء مجمع صيدا في انتخابه بطريركاً ، رافقهم الى انطاكية التي هرعت الى لقائه بمؤمنيها على بكرة أبيهم · فدخلها في ٦ تشرين الثاني دخول الفاتحين · وفي اليوم نفسه اقتبل رتبة البطريركية السامية وجلس على عرش بطرس العظيم · وبهذه المناسبة فاه بخطبة لاهوتية ــ تاريخية بليغة نقض فيها آراء نسطور وأوطيخا والمجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني[1] · وبعد انتهائه منها أطلقوا عليه لقب « الذهبي الفم الثاني »[2] ولا غرو فقد صرّح عنه آباء المجمع الانطاكي في رسالتهم الى البطريرك يوحنا الثاني الاسكندري عقب تنصيبه بقولهم « لقد استعاد عرش بطرس ما اختص به من قوة » ·

أما الاساقفة الذين احتفوا برسامته فهم : ديونيسيوس أسقف طرسوس ، نيقيا أسقف اللاذقية ، فيلوكسينوس أسقف منبج ، بطرس أسقف حلب ، شمعون أسقف قنسرين ، ماريون أسقف شورا ، يوسف (أوسب) أسقف جبولا ، سلوان أسقف

---

(١) من الهذيان وسخيف الكلام ، ما قاله عنه المطران يوسف داود السرياني الكاثوليكي « انه حين جلوسه كان أرثوذكسياً (أي خلقيدونياً) ، ثم عصى على المجمع الخلقدوني فطردته الكنيسة الكاثوليكية » (كتاب القصارى ص ٣٩) ·

(٢) سيرته بقلم زكريا الفصيح ·

أوريم ، سرجيس أسقف قورس ، يوسف أسقف أغروفوس (أوروفوس) ، فيلوكسين أسقف دلوك و يوليان أسقف سلمية · وهم أنفسهم وقّعوا رسالة المجمع الانطاكي الى يوحنا الثاني الاسكندري[٣] ·

وكتب مار سويريوس فور رسامته عهداً لرؤساء الاديار والرهبان الارثوذكسيين في الشرق ، آكد لهم فيه تمسكه بقانون الايمان الواحد الذي اتفقت عليه المجامع المسكونية الثلاثة ، وبالايمان القويم الذي تضمنه هنوطيقون « محب الله » زينون والذي ثبّته الملك «التقي» انسطاس بالهام رباني ، وحرمه للمجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني وللقائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد وللهراطقة الذين اشتهروا عصرئذ ، ولا سيما نسطور ومعلميه ديودوروس وثاودوروس وثاودوريطس وهيبا وأوطيخا وبرصوم الفارسي (النصيبيني) وقوانينه الفاسدة[٤] ، واشتراكه مع طيمثاوس القسطنطيني و يوحنا الثاني الاسكندري · وما عدا اسم ديونيسيوس أسقف طرسوس ، فقد وردت في هذا العهد بعد مار سويريوس ، أسماء جميع الاساقفة المحتفين برسامته مع مارينا أسقف بيروت وأوسطاث أسقف فارين (البيرة)[٥] ·

---

(٣) سيرة مار سويريوس بقلم يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ·

(٤) من الجهل المطبق أن يقول فيه الاب فردينان توتل اليسوعي ، في المنجد في الادب والعلوم ص ٧١ انه انتصر لبدعة أوطيخا وأحياها في بلاد الجزيرة والموصل » مع ان انتصاره لبدعة نسطور أمر مشهور لا يختلف فيه اثنان (راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨) ·

(٥) كتاب سيرة مار سويريوس ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ والاحاجى له ص ١١٠ ـ ١١٢ ·

الفصل الثامن

إنعاشه الحياة الروحية

انصرف مار سويريوس بُعيد جلوسه على السدة البطرسية. الى اصلاح الامور البيعية وتدبير الكنيسة، واعظا، مفسرا، شارحا، معلما، مقوما. موبخا. ناقضا سفاسف الآراء، متفقدا الارياف والاديار المجاورة وزائراً الابرشيات، تارة بنفسه وطورا برسائله الجليلة. وقد آثر البقاء على سنن نسكه وزهادته. فأزال من القصر البطريركي أسباب الترف في المعيشة، يأكل البقول ويتبلغ بيسير من الخبز البسيط، وينام على الارض، ويُكثر من تلاوة المزامير. وآخذ يُروي غليل الانطاكيين بخطبه اللاهوتية التفسيرية والتهذيبية الرنانة، وقد حُرمت نفوسهم من هذه النعمة طيلة مدة سلفه فلابيانوس الثاني المتذبذب. ولما رآهم يستعذبون الترتيل، فيرنم بعضهم مزامير داود. وينشد غيرهم قصائد الشعراء. ألف جوقة للترتيل. نظم لها أناشيد روحية عذبة مفعمة ايماناً وتقى، تدفع المؤمن في الغالب الى سكب العبرات بل نفسه في حضرة ربه، فاجتذب بها خلقا كثيرا من الذين كانوا يختلفون الى المسارح والمقاصف، ويستطيبون العشر الرديئة الى الاعتكاف على الصلاة في بيت الله. كما ضمّن بعضها حقائق لاهوتية وعقدية، وزين البعض الآخر بتفسير الآيات البينات. وقصارى القول. فقد كانت حافلة بأسرار الدين المبين وبكل مقومات الاخلاق. فاستعذبها الشعب، وطفق ينشدها حتى

في الشوارع التي أضحت وكأنها كنائس . ذكر مار ديونيسيوس ابن صليبي ، ان هذه الاناشيد كانت ردا على الشعراء وأغاني سوسطيوس اليوناني(١) . وفي زمن المحل واحتباس الغيث ، وتفشّي الطاعون ، وهجمة الابالسة ، كان يقف أمام الله ليصرف غضبه عن شعبه . وقد طرد بصلواته الشياطين والارواح الشريرة من كثيرين ، وله في ذلك أناشيد مستبدعة . وقد نُقلت أناشيده الى السريانية وهو حي ، فعُرفت بالمعانيث . جُمع ٢٩٥ منها في كتاب نشره بروكس ونقله الى الانكليزية عام ١٩٠٩ مع بعض معانيث لكتبة آخرين .

الفصل التاسع

عقده مجمعي انطاكية وصور

كان مار سويريوس في مستوى المسؤولية . لذلك رمقته كنيسة انطاكية العظمى بعين الارتياح والطمأنينة ، وتطلعت اليه كما الى مار بطرس الرسول نفسه . ولم يخيب آمالها ، لكنه ما إن قبض على دفتها حتى طفق يسعى في لمّ شعث المؤمنين الذين كان قد فرّق شملهم فلابيانوس الثاني المتذبذب ، ويعمل على توحيد صفوف الاساقفة والاكليروس والرهبان في ولاية كرسيه الانطاكي من جهة ، وتوثيق عرى الأخوّة الصادقة ما بين الكرسيين الانطاكي والاسكندري ، التي كان قد فصمها تصرف سلفه الذميم ، من جهة أخرى(١) .

وقد استهدف لكثير من الهجمات العنيفة منذ اللحظة الاولى

---

(١) اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام الاول برصوم ص ٥٥ .

(١) سيرته بقلم زكريا الفصيح .

لتنصيبه بطريركاً ، نظراً الى اعتصامه بالمعتقد القويم • ففي سنة ٥١٣ عقد بمؤازرة مار فيلوكسينوس المنبجي ، مجمعا في انطاكية ، حضره جميع الاساقفة الشرقيين الذين سامح بعضهم بعضا ، ووقّعوا بالاجماع قرار عزل فلابيانوس الثاني ، وحرموا المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني وجميع القائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد . وقبلوا هنوطيقون زينون[٢] • وفي أعقاب ذلك أنفذ مار سويريوس بأسمائهم وتواقيعهم الى مار طيمثاوس القسطنطيني . رسالة مجمعية تضمنت الامور المذكورة[٣] ، وأخرى الى مار يوحنا الثاني الاسكندري[٤] • فطلبه الوالي اسطاريوس اسقرطيس[٥] وتوعده قائلا : ان مملكة الرومانيين تتقاذفها الانواء من جراء هذا • فأجابه مار سويريوس غير وجل ولا هيّاب بأنه يؤثر اعتزال الكرسي ومغادرة انطاكية على تبديل سطر واحد مما ورد في تلك الرسالة • وكتب بهذا المعنى الى القيصر المؤمن انسطاس أيضا[٣] • وفي السنة التالية عقد مجمعا آخر في صور[٦] ، حضره مار فيلوكسينوس المنبجي وأساقفة أبرشيته مع أساقفة كورة انطاكية وأفامية وفينيقية لبنان وبلاد العرب والفرات واسوروين ومابين النهرين . وفيه شرح هنوطيقون زينون ، مصرحا بأنه تضمن الحقيقة الارثوذكسية نقضا للمجمع الخلقيدوني • فأعلن الحاضرون حرم هذا المجمع وطومس لاون ، وكتبوا بذلك الى يوحنا الثاني الاسكندري

---

(٢) رسالة مار فيلوكسينوس المنبجي الى شمعون رئيس دير تلعدا •

(٣) رسالته الى أبوقراطيس المنطقي الاسكندري في مجموعة بروكس مج ١ ص ٣٢١ •

(٤) اللؤلؤ المنثور ص ١٨٢ •

(٥) صار والياً على انطاكيه بين سنتي ٥١٣ ـ ٥١٦ •

(٦) كنا قد ذكرنا في الجزء الثاني من تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكيه ص ٣٠١ انه عقده سنة ٥١٣ والصحيح ٥١٤ •

وطيمثاوس القسطنطيني اللذين سُرّا وهنآهم بهذا التوفيق المبين . كما كتب اليهم ايليا الاورشليمي أيضا موافقا[٧] . وبعد مديدة ألّف سرجيس النحوي الصوري الاوطيخي كتابا ضد هذا المجمع ونشره بين رهبان من شيعته في فلسطين ، فنقضه سويريوس بكتاب جليل في ثلاثة مجلدات[٨] .

الفصل العاشر

حرمه الأساقفة المنشقين

لقد أخبرنا زكريا الفصيح في سيرة مار سويريوس ، ان اثنين فقط من الاساقفة ، نبذا وحدة الصف . وهما ابيفان أسقف صور وشقيق فلابيانوس المعزول ، ويوليان أسقف بُصرى . وقد تخليا عن أبرشيتيهما تلقائيا . أما مار فيلوكسينوس المنبجي ، فكتب ان مار سويريوس عزل في مجمعه الانطاكي الآنف الذكر ، ثلاثة أساقفة هم : ابيفان أسقف صور ، واسقفا الرستن وشيزر من أبرشية أفامية[١] .

فأبيفان كان منغمسا في حمأة البدعة النسطورية ، فساءه عزل شقيقه ، ولذلك ناهض مار سويريوس وجاهر بآرائه النسطورية ، ومنها تعليقه على قول السيد المسيح « لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولايستطيع أن يقتل النفس » (مت ١٠ : ٢٨) قائلا : تأمل ، أن الجسد يموت أما النفس فلا يمكن أن

---

(٧) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٥١ - ٥٢ و ٥٤ - ٥٦ ودائرة المعارف النيويوركية مج ٨ ص ٨١٤ .

(٨) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٥٢ .

(١) رسالته الى رهبان الشرق ، في « سياسة الكنيسة » وفي الاسناد السريانية ص ٢٦٠ .

تموت . ولذلك لا يجوز أن يقال « ان الله تألم في الجسد »[٢] .
وكان يتساءل على شاكلة نسطور والقائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد الغير المدرك ، قائلا : من كان القائل « الهي الهي لماذا تركتني » ؟ أو من كان يتضرع « لتعبر عنه الكأس » ؟ ولذلك وبخه قلمطيوس الذي جاء من الاسكندرية الى صور على تسكعه في جهل نسطور المطبق[٣] . ولم يتمرد ابيفان على رئيسه المغبوط ومجمعه فحسب ، بل على الملك أنسطاس أيضا ، مستميلا اليه بالرشوة والدهاء حكام صور ، كما يتضح من رسالة مار سويريوس الى مارينا أسقف بيروت ، حيث يقول : « ان ابيفان الاثيم هو ذئب صور لا راعيها الذي يظن انه جالس على كرسي الابرشية ، خلافا للقانون الكنسي ولارادة الملك الرحيم . لقد أفسد الاسفار المقدسة ، مفضلا لنفسه مذهب نسطور . بل وجدوه مرة في صور وبيده كتاب مشحون بآراء أوطيخا ، وقد عرضه على بولس الشريف مرافق الحاكم قائلا : انه لا يستطيع الاشتراك مع الذين يرتأون مثل هذا النفاق (أي مار سويريوس في ما زعم) . بل كتب بهذا الصدد الى البطريق قائد جيش الشرق ، باعثا اليه بذلك الكتاب الخيالي والمانوي » . على أن مار سويريوس كتب الى والي مدينة صور ، موبخا اياه على اهماله تنفيذ أوامر الملك في حق ابيفان[٤] . كما كتب الى امنطيوس رئيس الوزراء قائلا : انه لا يستطيع بل لا يحل له أن يقبل ابيفان ولئن تاب ، لئلا تنشق الكنيسة ، اذ أدمى قلوب جميع المؤمنين

---

(٢) رسالة مار سويريوس الى الارثوذكسيين في صور .

(٣) رسالة مار سويريوس الى أرخلاوس القارىء الصوري ، والاسناد السريانية ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٤) الاسناد السريانية ص ١٦١ - ١٦٣ .

وجرح شعورهم ، وصار مثـلا رديئا للآخرين . متجبرا عـلى وصايا الله ونظام الكنيسة[٥] ٠

أما أسقفا الرستن وشيزر ، ففضلا عن تمسكهما بمذهب نسطور ، فانهمـا تنكرا لاوامر متروبوليتهما مـار بطرس أفامية ، بل تمردا على دعوة مار سويريوس ومجمعه أيضاً ، فعزلهما[٦] ٠

الفصل الحادي عشر

دوره في تهدئة الزلازل

في ٧ ايلول سنة ٥١٣ رُوّعت البـلاد بزلازل هائلة ، حزّت في نفس مار سويريوس الذي نظم لفوره خمسـة معانيث[١] ، طالبا الى الله أن يصرف عن العالـم سخطه ويشمله بعنايته الازليـة ٠ ففي الاول الذي اسـتهله بالآية « زلزلت الارض وصدعتها » (مز ٥٩ : ٤) ، يضرع الى الله الذي بسط السموات كالخيمة وقبض بيمينه القادرة على كل شيء ، عـلى الأرض وملئها . وجعـل كل شيء رهن اشارته وقدرته . الا يعاملهم بما تستوجبه خطاياهم ، فيقضي عليهم بالموت المر بواسطة الزلزال . ويفسد النظام المحكم الذي زين به براياه ، لانهم انما به يحيون ويتحركون ويوجدون ٠

وفي الثاني الذي استهله بالآية : « الى متى تضع حسرة في نفسي » (مز ١٢ : ٣) . يلوم نفسه لازدرائها وصـايا

---

(٥) رسائله مج ١ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ٠

(٦) الاسناد السريانية ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ٠

(١) هي الـ ٢٥٦ ـ ٢٦١ من طبعة بروكس ٠

المخلص وشرائـــع الناموس ، دون أن تأبه لانذار الانبياء ، وللعقاب الذي حل بالاشقياء بين الفينة والفينة ، ولنار جهنم التي لا تطفأ • ويستطرد : لذلك يزلزل الخالق الارض رحمة منه ، لعل الامر يهوّل ضميرها الذي لا يندم •

وفي الثالث الذي استهله بالآية « أريت شعبك الشدائد » (مز ٥٩ : ٥) ، يتحدث عن زلزال انطاكيـــة بنوع خاص ويناجي الرب قائـــلا : ان تهديد غضبه يصرفه تهديد اخر ويحل محله • وكم من مرة يشحذ سيفه للبتر ، فيسلطه فوق رؤوسهم وهو يلمع ، ولكنه لا ينزله لابادتهم • ومعهذا فانهم لم يرتدّوا عن طرقهم الرذيلة • وفيما ان الارض تزلزلت من أساساتها بصورة مدهشة ، فقد خلصهم أيضا برحمته • لذلك خليق بهم أن ينذهلوا ويسبّحوا بحر مراحمه على انهم لـم يفنوا بل لم يجازوا بحسب آثامهم •

وفي الرابـــع الذي استهله بالآيـــة « جعلت ضغطا عـــلى متوننا » (مز ٦ : ١١) ، يناجي الرب قائلا : انه تعالى يرفع فوق رؤوســـهم قضبان ضربات كثيرة ومميتة • والحق ، انهم يستحقون كلهـــا ، بل كان يتحتم أن تصبّ عليهم من مـــدة بعيدة ، ولكنه عز وجل صدها حبا بعباده • ثم يضرع اليه أن يوفقهم ليتوبوا من صميم القلب ، لئلا اذا استهانوا لطفه الجزيل وطول أناته ، سكبوا هم أنفسهم على أنفسهم حثالة كأس الغضب الذي يهددهم • وفي الخامس الذي استهله بالآيـــة : « اجبر كسرها فانها متزعزعة » (مز ٥٩ : ٤) والذي نظمه في ذكرى هذه الزلازل ، يناجي السيد المسيح قائلا : انـــه أيقظ بصليبه المســـكونة التي كانت تميد وتتمايل ســـكرى بضلال عبادة الاصنام ، وثقفها وأنارها بنور مخافة الله • ولما

أدّبهم بالزلزال يوم تذكار صليبه واهب الحياة ، عاد فاشفق عليهم وردهم اليه • لذلك يخلق به أن يتذكر رأفته ورحمته، ويصرف عنهم تهديدات الغضب •

ونظم مار سويريوس معنيثاً سادساً في ذكرى الزلازل القديمة ، مستهلا اياه بالآية : « إنّا قد فنينا من غضبك » (مز ٨٩ : ٧) • ومما جاء فيه قوله : انهم يحتفلون بهذه الذكرى لئلا ينسوا الله فيهووا في وهدة الشرور • ذلك انهم لا يتعظون حتى بالشدات المتلاحقة المنصبّة عليهم • لذلك يضرع الى الله أن ينير بصائرهم ليشعروا بها ، والا يعاملهم بحسب آثامهم الكثيرة •

الفصل الثاني عشر

فحصه ملفنة مار يعقوب السروجي ومار شمعون الخزّاف

في سنة ٥١٤ ، وبعد أن شرح مار سويريوس هنوطيقون زينون في مجمع صور كما مر معنا ، مثل بين يديه الملفان مار يعقوب السروجي . يرافقه رهط من أساقفة الشرق[١]• فرحب به مار سويريوس وانبرى يفحص ملفنته • وكان يستمع اليه بانبساط حتى ذهل وأكبر ملفنته وأقرها قائلا : « حقا ان الحكمة التي فيك هي من روح الله »[٢] • وفي أعقاب ذلك سماه مار يعقوب « راعيا حقيقيا » ، « قديسا عظيما » ، « طوباويا » ، « قويم الايمان » و « مسلحا بالحق » • وقال

---

(١) راجع سيرة مار يعقوب المختصرة في مخطوطة سريانية في خزانة بطريركيتنا وهي من القرن الثاني عشر ، وسيرته المطولة في مخطوطة أخرى في خزانة دير الزعفران •

(٢) راجع سيرة مار يعقوب المطولة المذكورة في مخطوطة دير الزعفران رقم ٤٥٥/١١ •

« انه غير مغرق بحب الرئاسة ، وان فكره غير متشبث بشهوة السلطان »[٣] ٠

وقد فحص مار سويريوس ملفنة مار شمعون الخزاف المعروف بالقوقاي أيضا وأقرها[٤] ٠ قيل ان مار يعقوب في أثناء زيارته لأديار سورية ، بلغه خبر مار شمعون هذا ، فزاره واستمع الى أناشيده العذبة وهو يعمل في حانوته ، فأثنى عليه وحثه على متابعة ذلك ٠ وانه لما زار مار سويريوس عرضها عليه فأقرها ٠

كان مار سويريوس متبحراً في حكمة اليونان ، ومتعمقا في علم الكتاب العزيز ، ومتفقها في مصنفات أئمة البيعة ٠ وأن من سماه العلامة مار يعقوب الرهاوي في القرن التالي « تاج السريان » ، لا بد وأن يكون قد أَلمَّ بلغة السريان في غضون اقامته الطويلة في بيروت وغزة وسورية ، ومعاشرته في أول الامر لبعض الطلاب السريان ثم للرهبان والاساقفة والاكليروس والمؤمنين السريانيين في أثناء رهبنته وبطريركيته ٠ مع العلم أن مؤلفاته اليونانية ، ترجمت برمتها الى السريانية ، وبعضها في حياته ، وربما تم ذلك باشرافه ٠ أجل ، وان من يفحص ويدقق ويقر ملفنة مار يعقوب السروجي ملفان الكنيسة السريانية الشهير ، وزميله مار شمعون القوقاي كما ذكرنا أعلاه ، لابد وأن يكون قد تذوق هذه اللغة العريقة وتضلع منها ، ليتسنى له الوقوف على دقة معاني هذه الملفنة ، ويعلن أرثوذكسيتها ٠

---

(٣) راجع رسالته الرابعة الى رهبان دير مار باسوس في طبعة أولندر ص ٨٢ ـ ٨٦ ٠

(٤) راجع قصيدة العلامة مار يوحنا (سعيد) ابن الصابوني في مار يعقوب السروجي التي نظمها سنة ١٠٩٥ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ١٨٩ ـ ١٩١ ٠

الفصل الثالث عشر

المنذر الثالث اللخمي ملك الحيرة والمسيحية

ملك المنذر الثالث اللخمي في حيرة النعمان سنة ٥١٤[١] . وعرف بابن زقيقة[٢] . وكان وثنيا . ومما يثبت وثنيته، رسالة مار شمعون الأرشمي الأولى في شهداء نجران، التي أنفذها سنة ٥٢٤ من حيرة النعمان . ومار شمعون هو من عرفت أكبر داعٍ الى النصرانية في الحيرة عاصمة هذا المنذر بالذات[٣] . وقد غاصر المنذر وحادثه أكثر من مرة . فشهادته اذن في حقه لفي الذروة من الصحة . قال مار شمعون : انه في العشرين من كانون الثاني سنة ٥٢٤ غادر حيرة النعمان مع القس ابراهيم بن أوفروس رسول الملك يوسطينوس الى المنذر، لابرام معاهدة صلح بينهما، وسلكا الصحراء نحو الجنوب فالشرق، مسيرة عشرة أيام حتى وجدا المنذر في الرملة . وفيما هما داخلان مضاربه، قال لهما العرب الوثنيون والمعديون متهكمين : ماذا أنتم فاعلون ؟ هوذا مسيحكم قد طرد من بلاد الروم والفرس والحميريين . ثم جاء وفد من قبل ملك الحميريين (مسروق اليهودي المعروف بذي نواس) حاملا منه الى المنذر رسالة ملؤها الصلف والغرور والاعتداد بالنفس، أفاض فيها في بيان الشدة التي أنزلها

---

(١) راجع وصف كتاب الشهداء الحميريين للبطريرك افرام الاول برصوم ص ٧ .

(٢) كتاب الحميريين السرياني ص ٥ .

(٣) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ والشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية له ص ٤٢ و ٤٣ و ٨٦ .

بمسيحيي نجران ··· ومما قال للمنذر : « لقد كتبت اليك بهذا آملاً أن لا تدع مسيحيا في قومك إلاّ وقد كفر وصار من دينك » · فتلا المنذر هذه الرسالة أمام مار شمعون ورسول يوسطينوس ، وأمام جنوده وأشراف رعاياه المسيحيين أهل الحيرة ، وأمر المسيحيين أن يكفروا بالمسيح وإلا فتك بهم · فقاومه أحد الضباط المسيحيين وعنفه بجرأة ليس بعدها جرأة قائلا : اننا لم نتنصر في عهدك لنكفر بالمسيح · فسكت عنه المنذر ، أولا : من أجل عشيرته · ثانيا : لانه كان شريفا ومعروفا وشجاعا في الحرب[٤] ·

وقد شهد على وثنية هذا المنذر ، المؤرخ زكريا الفصيح أيضا ، بقوله : انه حين غزا بلاد الروم ووصل الى حمص ، سبى في جملة من سبى أربعمئة عذراء (راهبة) من دير مار توما الرسول ، وقدّمهن ضحايا للعزى في يوم واحد ، على ما روى له مار دودو الناسك الشيخ الذي سُبي هو الآخر من هذا الدير ، وعاين كل شيء بأُم عينه[٥] · قال الدكتور أسد رستم : « وظل المنذر الثالث هذا وثنيا يذبح للعزى ويقدم لها أفضل ما عنده · فقد جاء في بعض المراجع ان هذا المنذر قدمّ في السنة ٥٤٤ لهذا الغرنوق ، ابن الحارث الغساني الذي وقع في يده أسيرا في إحدى غزواته ، وانه ضحى بأربعمئة عذراء وقعن تحت براثينه في حمص لمناسبة دخوله اليها »[٦] ·

ومع أن المنذر الثالث اللخمي كان حتى سنة ٥٤٤ وثنيا ،

---

(٤) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٧٤ وأخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ١ ص ٣٧٢ ـ ٣٩٧ ·

(٥) تاريخه مج ٢ ص ٧٧ ـ ٧٨ ·

(٦) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٤٠٠ ·

كما ثبت أعلاه ، فقد ادّعى الاب شيخو اليسوعي انـه كان كاثوليكيا سنة ٥٠٥ !!! وكان في ذلك يرد على علامتنا ابن العبري القائل : ان المنذر كان يعتقد اعتقادنا الارثوذكسي كنصارى العرب • وقال : « ان ابن العبري لم يكن مصيبا في ذلك ، ولعله انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثله »[٧] •
والصحيح أن الغرور المقيت والتعصب الذميم ، أعميا بصيرة الاب شيخو ، فخلط بين المنـذر الثالث اللخمي الـذي نحن بصدده ، وبين المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني[٨] • فالاول كان وثنيا • أما الثاني فنصرانيا على مذهبنا الارثوذكسي ، وهو المقصود بقول ابن العبري الذي ذكر أن يوسطينيانوس وجه اليه وفدا ليصالحه ، لانه كان غزا الروم وخرّب وسبا ، مؤكدا أن سبب الفتنة بين العرب والروم ، كان اضطهاد الملك يوسطينيانوس الآباء القائلين بالطبيعة الواحدة ، لان النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقادنا لاغير[٩] • من هنا لم يكن ابن العبري ، هو المنخدع في ذلك ، انما المنخدع هو الاب شيخو بالذات •

على أن مؤرخي العرب أثبتوا تنصّر المنـذر الثالث في أواخر عهـده ، بسبب حنظلة بن أبي عفراء الطائي الشاعر الجاهلي المعروف •

---

(٧) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٩٠ •

(٨) بل خلط بينه وبين المنذر الاول (٤١٨ ـ ٤٦٢) ابن ماوية ماء السماء (النصرانية وآدابها ص ٨٨) •

(٩) تاريخ مختصر الدول ص ١٤٨ طبعة أولى •

الفصل الرابع عشر

مار سويريوس والمنذر الثالث اللخمي

روى بعض المؤرخين الخلقيدونيين ، بأسلوب رومانتيكي مهلهل ، خبراً مؤداه أن البطريرك القديس مار سويريوس اتصل ببلاط المنذر الثالث اللخمي ملك الحيرة الآنف الذكر بواسطة وفد مؤلف من أسقفين ، يعرض عليه دعوة الكنيسة. وان المنذر ازدرى الدعوة وردّ الوفد خائبا ·

قال الاب لويس شيخو اليسوعي : « انساويرس البطريرك السرياني الدخيل[1] ، أراد أن يجتذب الى بدعته (كذا) ملك الحيرة ، فأرسل اليه أسقفين ليقنعاه بأن في المسيح طبيعة واحدة ، ليس بطبيعتين كما تعلمّ الكنيسة الارثوذكسية (كذا) ·

فالملك سمع كلامهما ساكتا ثم فض كتابا كان في يده ، فبدت عند قراءته الكآبة على وجهه . فسأله الاسقفان : ما الامر ؟ فقال : لقد أبلغني كاتب هذه الرسالة أن رئيس الملائكة قد توفي ، فهذا الخبر قد معضني جدا · فضحك الاسقفان حتى قهقها وقالا للملك : كيف يمكن أن يموت ملاك لا جسد له . فهذا كذب محض · فأردف الملك وقال لهما : وكيف أنتما

---

(١) كان مار سويريوس يونانياً لا سريانياً ، ولكنه نصّب بطريركاً شرعياً على الكرسي الرسولي الانطاكي ، الذي كانت رئاسته تشمل يوم ذاك مسيحيي الشرق طرّاً على اختلاف عناصرهم وقومياتهم · أما قوله « الدخيل » فدليل واضح على جهله الحقائق التاريخية الثابتة ، والا لعلم حتى أن امه الكنيسة الكاثوليكية لا تقر قوله هذا (راجع الجزء الثاني من تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ·

تزعمان أن المسيح وهو ذو طبيعة الهية مفردة (كذا) قد مات ؟ أليس هذا أعظم كذبا وضلالا ؟ ثم رد الاسقفين خائبين» . واستطرد الاب شيخو قائلا :« فيظهر من جواب المنذر لهذين الاسقفين انه ليس فقط كان نصرانيا بل كاثوليكيا . يؤيد ذلك المؤرخ فيكتور تونوي المتوفى سنة ٥٥٦ فقال ان المنذر تعمّد على يد أساقفة من أنصار المجمع الخلقيدوني[٢] .

وقال الدكتور أسد رستم :«أوفد سويريوس الانطاكي أسقفين مونوفيسيين في السنة ٥١٣ الى بلاط المنذر الثالث (٥٠٥ ـ ٥٥٤) ليدعواه الى القول بالطبيعة الواحدة . ويروى انه تظاهر بالأسف الشديد عندما تناول حديثهما ميخائيل رئيس الملائكة . فلما سئل عن سبب تأسفه قال أَوَلاَ يؤسف لموت رئيس الملائكة ؟ فطمأنه الاسقفان مؤكدين ان الملائكة لا تموت . فانتفض المنذر وقال متهكما وهل يموت الاله المتحد بالمسيح بطبيعة واحدة على الصليب (كذا) ؟ فاكتفى الاسقفان ، وبقيت الحيرة نسطورية خالصة » (كذا)[٣] .

لايخفى ما في هذه الرواية عند هذين الكاتبين الخلقيدونيين من تباين بل تناقض جوهري فظيع . ولا غرو فانها خرافة مضللة ، تمخضت عنها المخيلة البيزنطية ، لحمتها الزور وسداها البهتان . فاحقاقا للحق وازهاقا للباطل ، رأينا أن ننقضها بما يلي :

لقد مر معنا أن المنذر الثالث كان وثنيا حتى سنة ٥٤٤ ، فكيف يُعقل أن يدعوه مار سويريوس أو غيره الى القول بالطبيعة الواحدة قبل دعوتهم اياه الى النصرانية ؟ واذا

---

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٩٠ .
(٣) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٤٠٠ .

فرضنا انه كان مسيحيا ، وهو بعيد ، فماذا كانت الحاجة الى أن يوفد مار سويريوس أسقفين الى الحيرة ليدعواه الى القول بمذهبه وهو في المملكة الفارسية حيث كان لاتباع سويريوس جملة أساقفة وكنيسة زاهرة حتى في الحيرة نفسها ؟ كيف لا وقد كان مار شمعون الأرشمي الجدلي الشهير يكثر التردد الى الحيرة ، وقد قابل المنذر الثالث أكثر من مرة[٤] · فلو كانت هنالك حاجة ما الى دعوة المنذر ، لقام بها مار شمعون نفسه أو غيره من الاساقفة الفارسيين · ومن العجب العجاب أن يثبت تاوفانوس البيزنطي هذا الخبر في سنة ٥٠٥ على ما في رواية شيخو ، مع العلم أن مار سويريوس رسم بطريركا في تشرين الثاني سنة ٥١٢ · فكيف يصح أن يوفد الى المنذر أسقفين قبل رسامته بسبع سنين ؟ ومما ينقض هذا . قول أسد رستم ان ذلك تم في سنة ٥١٣ · على أن الحدث المختلق لم يقع ولا في سنة ٥١٣ · وهل من المعقول أن يوجه مار سويريوس أنظاره الى البلاد الفارسية ، فور تنصيبه بطريركا ، وقبل ترتيبه الامور البيعية في الشرق الروماني ؟ واذا صح ما جاء في بعض المراجع ، ان هذا المنذر ملك في الحيرة سنة ٥١٤ كما أسلفنا ، فتكون رواية الخصم منقوضة من الأساس · ولذا فان التواريخ السريانية كلها على اختلاف نحل مؤلفيها ، صفر من ذكر هذه الخرافة · فلو كانت ثابتة إذن لما سكت عنها مؤرخو النساطرة بنوع خاص ·

والظاهر من رواية أسد رستم ، أن حديث الاسقفين مع المنذر هو الذي تناول ميخائيل رئيس الملائكة . فتظاهر الملك

---

(٤) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية الجزء الثاني ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ودفقات الطيب للمؤلف ص ٣١ نقلا عن سير النساك الشرقيين للافسسي مج ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٨٥ ·

بالاسف الشديد ولما سُئل عن السبب قال أَوَلاَ يؤسف لموت رئيس الملائكة ؟ فيما ان رواية شيخو تذكر ان الملك فض كتابا كان في يده فبدت عند قراءته الكآبة على وجهه . ولما سأله الاستفان عن السبب قال قد أبلغه كاتب تلك الرسالة بأن رئيس الملائكة (دون ذكر ميخائيل) قد توفي . فطمأناه بأن الملائكة لا تموت اذ ليس لها أجساد . وبحسب رواية آسد رستم . ان المنذر قال لهما متهكما : وهل يموت الاله المتحد بالمسيح بطبيعة واحدة على الصليب ؟ أما رواية شيخو فتقول انه قال لهما : وكيف أنتما تزعمان أن المسيح وهو ذو طبيعة الهية مفردة قد مات ؟

ان سؤال المنذر المزعوم الوارد في رواية آسد رستم ، ذو شقين ، الاول : « الاله المتحد بالمسيح » وهو اعتقاد النساطرة أي ان الاله شيء والمسيح شيء آخر . والثاني : « هل يموت الاله بطبيعة واحدة على الصليب » ؟ وهو من مغالطات النساطرة والخلقيدونيين ، ولا يمتّ الى معتقد سويريوس بصلة ما . ذلك اننا نعتقد « بأن المسيح الاله المتجسد (لا الاله المتحد بالمسيح) مات في الجسد على الصليب »[٥] . فهو اذن قول هراء لا أساس له من الصحة ، وبالتالي لا يمكن أن يبرز من فم المنذر الوثني الذي كان يجهل كل شيء عن معتقدات الفِرق النصرانية والجدل البيزنطي . وأما السؤال الوارد في رواية شيخو . فهو افتئات على كنيستنا المقدسة ليس الا . ذلك انها لا تعتقد بأن المسيح ذو طبيعة الهية مفردة ، بل ذو طبيعة واحدة متجسدة أو مركّبة من طبيعتي اللاهوت والناسوت .

---

(٥) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية الجزء الثاني ص ١٨٩ و ٣١٢ و ٣٢٥ والمجلة البطريركية (دمشق) الاعداد ٨ و ١٠ و ١٣ .

كطبيعة الانسان الواحد المركبة من طبيعتي النفس والجسد ، مع حفظ خواص كل منهما في هذه الطبيعة الواحدة المركبة ، بدون اختلاط أو امتزاج أو تبلبل أو استحالة[٥] . وبما أن الادلة الدامغة على صحة عقيدة سويريوس لا تُحصى ، وهي متوفرة في مصنفاته القيّمة التي اشبعها ذوو الاختصاص درسا وتمحصيا[٦] ، نكتفي بايراد شهادة واحدة من الدكتور أسد رستم بالذات لدحض هذا الافتراء . قال : « ويلاحظ لهذه المناسبة أن العلماء المؤرخين الذين يُعنون اليوم بتاريخ هذه الحقبة ، يرون أن كيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس ايلوروس الاسكندريين وسويريوس الانطاكي ، لم يقولوا بمزج الطبيعتين الالهية والبشرية في شخص السيد المخلّص ، ولم يُنكروا العنصرين البشريين الجسد والنفس اللذين وُجدا فيه ، وانما قصدوا أن يُظهروا وحدة العامل المتصرف الذي هو الله ، وعبّروا عن هذه الوحدة بالقول بطبيعة واحدة »[٧] .

وهكذا تكون هذه الرواية التي قصدوا بها النيل من القديس سويريوس ، مجرد خرافة بيزنطية لا غير . على أن الاب شيخو أثبت روايته الآنفة الذكر « كدليل لامع على صحة ايمان المنذر الثالث « الكاثوليكي » في ما زعم . ولا ندري كيف تكون وثنيته دليلا لامعا على صحة ايمانه الكاثوليكي !!! أماالدكتور أسد رستم فأثبت روايته ليقول « وبقيت الحيرة نسطورية خالصة » !!!.

---

(٦) راجع كتاب « العقيدة المونوفيزيتية » بحسب رأي مار سويريوس « للقس جوزيف لبون الفرنسي الكاثوليكي ، بالفرنسية .

(٧) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٤ .

الفصل الخامس عشر

مار سويريوس وحيرة النعمان

كانت حيرة النعمان في الربع الاول من القرن السادس ، أرثوذكسية خالصة ، رغم تغلغل النسطرة في بلاد فارس. ذلك أنها استأثرت بالنصيب الأوفى من عناية مار شمعون الأرشمي ومن جهاده المرير في سبيل نصرة الدين المبين ، منذ العقد الاخير من القرن الخامس[1] حتى سنة ٥٢٤ كما تنطق رسالته الاولى النفيسة في شهداء نجران ، التي كتبها فيها سنة ٥٢٤ بالذات . وقد أخطأ الدكتور أسد رستم بقوله عن مار شمعون هذا ، « فاستجاب له بعض النصارى في الحيرة »[2] . ذلك لان نصارى الحيرة كانوا على عقيدة مار شمعون آنذاك. أما دعوته فيها فكانت الى النصرانية ، فاستجاب له خلق كثير من العرب الوثنيين . واليك شهادة مار يوحنا الافسسي التي اعتمدها صاحب « اللؤلؤ المنثور » والتي حرّفها أسد رستم عند نقله اياها الى كتابه : « ومن أجل هذا كان نشيطا يطوف البلاد حتى حيرة عرب النعمان التي زارها مرات عديدة ، حتى انه اجتذب فيها جماً غفيراً من العرب ، ودفع الاشراف الذين تتلمذوا لدعوته الى انشاء كنيسة مسيحية فيها »[3] .

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية الجزء الثاني ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .
(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٩٩ .
(٣) سير النساك الشرقيين مج ١ ص ١٤٠ .

تؤيد هذا رسالة مار فيلوكسينوس المنبجي الى أبي عفر (٥٠٢ ـ ٥٠٥) الحاكم العسكري في حيرة النعمان ، التي أطرى فيها ايمانه وأرثوذكسيته وجهاده ضد النساطرة[٤] .

فليس من الغريب والحالة هذه أن يتفقد مار سويريوس شؤونها وشؤون كنيسة الانبار قاعدة اللخميين قبلها . فقد كتب رسالة في سر التثليث والتوحيد الى القسوس ورؤساء الاديار يوناثان وصموئيل ويوحنا العموديين والى سائر الارثوذكسيين في الكنيستين المشار اليهما . فيها يشرح لهم اعتقاد الكنيسة بهذا السر ويقول : « ان الآب والد والابن مولود من الآب والروح القدس منبثق من الاب أزلياً ، من دون تبلبل أو تشويش ، وان الآب هو علة الابن والروح أزلياً . أما ماهية عدم ولادة الآب ، وماهية ولادة الابن وانبثاق الروح القدس . فلا يدركها الا الآب الوالد والابن المولود والروح القدس المنبثق من الآب . وأما نحن فعلينا أن نعترف بالله واحد في ثلاثة أقانيم ذات جوهر واحد وألوهة واحدة بدون تبلبل[٥] .

انها ولا شك دليل قاطع على أرثوذكسية هاتين الكنيستين العربيتين . اليس من الغريب بعد هذا أن يقول أسد رستم : « وبقيت الحيرة نسطورية خالصة » ؟

---

(٤) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية للمؤلف ص ٨٥ .

(٥) مجموعة بروكس مج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٨ .

الفصل السادس عشر

توديعه انطاكية لزيارة الارياف والاديار

في سنة ٥١٤ عزم القديس سويريوس على زيارة الارياف والاديار وفقا للتقليد الابوي الجاري في كرسي انطاكية الرسولي . وقبل الموعد المضروب بيوم ، اعتلى المنبر ولفظ بخطاب رائع ، فيه ودّع المؤمنين قائلا : « انه عازم على مغادرة المدينة في اليوم التالي للقيام بهذه الزيارة الرسولية التقليدية القانونية والضرورية » . ثم شرح لهم معنى هذا التقليد القديم والجميل الذي نصت عنه قوانين الآباء وفقا للكتاب العزيز قائلا : هكذا فعل صموئيل النبي في العهد القديم[1] والرسل في العهد الجديد[2] . ثم بيّن لهم عَظم الألم الذي سيُلمّ به عند مفارقته اياهم ، تماما كالذي ألمّ ببولس الرسول . حتى انه اذا أطال الفرقة قليلا ، وطال بذلك حرمانه رؤيتهم البهية ، سيستعمل ولا شك نفس العبارات التي كتبها بولس الى أهل تسالونيكي قائلا : « كما تعلمون كيف وعظنا كل واحد منكم وعزّيناه كالاب مع بنيه ... ونحن أيها الاخوة لما تيتّمنا منكم مدة ساعة واحدة وجها لا قلبا اجتهدنا آشد الاجتهاد بمحبة كبيرة أن نشاهد وجوهكم »[3] تلك العبارات التي امتزجت بها محبة المسيح التي سبق فأضرمها[4] ، الامر

---

(١) ١ صم ٣ : ١٥ ـ ١٧ .
(٢) اع ١٥ : ٣٦ .
(٣) ١ تس ٢ : ١١ و ١٧ .
(٤) لو ١٢ : ٤٩ .

الذي حـــدا عروس نشيد الاناشـيد التي كانت ترمز الى الكنيسة ، أن تقول : « المياه الغزيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ، والانهار لا تغمرها »[٥] • وبعد شرحه قول بولس شرحا وافياً يقـول : ان في كلامـه أمرين ، الاول : قولـه « تيتـّمنا منكم » لا « انفصلنا » متخذا لنفسـه صفة البنوة مع كونه أباً لهم • كما انه بيـّن أن لـه نوعين من المحبة ، الواحد : المحبة الوالدية بصفته أبا لهم • والآخر صفة التألم للفراق كولد لايطيق الصبر على التيتم• ذلك أن الأب في طاقته أن يصبر عـلى فراق البنين • أما الولد فلا يصبر على فراق الوالدين • والثاني قوله : ان التيتم كان وجها لا قلبا ، أي انه كان يفكر فيهم بدون انقطاع • وهذه كانت تعزيته • بيد انه كان يتألم متلهفا الى مشاهدةوجوههم • ولذلك أردف: « اجتهدنا أشد الاجتهاد بمحبة كبيرة أن نشاهد وجوهكم » • وبالرغم من أن سـار سويريوس يتمثـل بالرسول ، معربـا عن ألمـه الشـديد للفرقة ، واشتياقه الكبـير الى طلعتهـم البهية ، فانه لا يرى بدّا من الاذعان لاوامر الرب في سلوك الطريق الممهد له • فيذكـّرهم من ثم بقول بولس لاهل فيلبي « اذن أيها الاحباء كما أطعتم كل حين اعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة لا كما كنتم تفعلون عند حضوري فقط ، بل الآن في غيابي أكثر جدا »[٦] • ثـم حثهم على الاعتكاف على ترتيل المزامير واقامة صلوات المساء والليل ، والطلبات التي تـُقدَّم إبـّان المحن ، والتي كانت تمارَس مرتين في الاسبوع في ذلك الشهر ، وأوصاهم بوجوب تقديمها حتى يتحرر المبتلون بها• وحذرهم من ارتياد المسارح والمقاصف ، ومن النوم لئلا يهجم

---

(٥) نش ٨ : ٧ •

(٦) في ٢ : ١٢ •

عليهم الابالسة كالبرابرة فيجدونهم خاوين من قـوة الله ٠ ونصحهم أن يواظبوا على التردد الى الكنيسة ، حيث يبسطون أيديهم الى الله متضرعين ، ليرشدهم الى كل عمل صالح ، وأن يَسِموا أنفسهم بعلامة الصليب ، ويتدرعوا بالاسرار المقدسة . واعدا أن يصلّي من أجلهم وان كان بعيدا عنهم ، وكله ثقة بأن الاله الواحد في الثالوث الاقدس سيكون لمدينتهم سورا مثلّثا لا يُثلم ٠

الفصل السابع عشر

تفقده الأديار

لقد وصف مار سويريوس نفسه زيارته التقليدية للاديار، والحياة النسكية العجيبة التي عاينها فيها بما خلاصته : انه تسلّق جبل الفلسفة وزار الذين يعيشون عيشة نسكية سامية شبيهة بقمة الجبل ، ورأى ليس الاله في النار كما رآه موسى النبي على جبل سيناء ، لكن أناسا يتوقدون بالنار الالهية . وان هؤلاء الناس لايقتبلون الناموس ، بألواح حجرية ، بل ان نواميس الروح كتبت على ألواح قلوبهم ٠ كما انهم لا يلهجون بها نهارا وليلا بفمهم ، لكنهم يطبّقونها بالعمل ٠ كيف لا وهم أنفسهم شريعة للذين يرونهم ٠ أجل انهم شريعة السيرة التي تقود الى الحياة العتيدة ، مزدرية هذه الفانية ٠ انهم ولا شك مساوون للملائك بالمسكن ، ويخطفون بتصرفاتهم السعادة التي ما بعد القيامة ٠ بل يعتقدون بالامور المرجوة قبل القيامة أيضا ٠ ذلك انهم كفروا بالفارق الذي بين الذكر والانثى وفقا لما قاله المخلّص « في القيامة لا يتزوجون ولا يزوّجون . لكنهم كالملائكة في السماء » ٠ وليس في هـذا الامر فحسب

يتشبهون بالاجناد العقلية ، بل أيضا بالتسابيح التي يقدمونها لله بلا فتور ، ترتيلا وركوعا متواصلا وسكبا للعبرات . فضلا عن تلاوة الاسفار القدسية التي منها يجنون ثمار الفردوس ويجمعون الازهار • وفيما هم على الارض بالجسد . يسكنون عقليا في السماء ، ويتناولون الطعام مرة في كل يوم عند غروب الشمس متبلغين بالخبز والماء والبقول • لا محل هناك للحسد ، ولا لحياكة المؤامرات والوشايات والفتن ، ولا للمرافعات في المحاكم ، لان التجرد هو للجميع سواسية • أما محبة الفضة أصل جميع الشرور ، فليس لها مسند رأس عندهم • ذلك انهم جد ّ أغنياء بالفضيلة التي يجمعونها من كل صوب • ويكبحون جماح الغضب وينصرفون الى الكلام الموزون • وبدلا من الضحك المتهتك ترتسم الكآبة على وجوههم • وكل يعتبر له ما هو لغيره • ويرتدون زيّاً واحدا يغطي الجسم ويدفئه بغلاظته ، ولكنه يؤدب هذا الجسم ويقمعه بخشونته • ليس هنالك ضوضاء بل هدوء تام • من هنا تسمية هذه العيشة ب « مجلبة الأسرار أو سيرة الحياة » ، اذ يحيون كلتا الحياتين ، الحاضرة والعتيدة ، في آن واحد • ثم نظم في الرهبان معنيا(١) استهله بالآية القائلة : « صارت لي دموعي خبزا نهارا وليلا » • وفيه يقول : انه كلما فكّر في أولئك النساك الزهاد الذين يحملون في أجسادهم موت يسوع الاله المتجسد والواهب الحياة ، ويلهجون ليل نهار بشريعة الرب ، ويفجّرون من حناجرهم تسابيح الله كالينابيع ، وهو يرى حياته قد بليت سدى في الشقاء وفي العالم الباطل ، لا يسعه الا أن يصرخ بقلب كئيب قائلا : « من يعطي لرأسي ولعيني ينبوعا من الدموع » •

---

(١) هو الـ ٢٧١ في طبعة بروكس •

الفصل الثامن عشر

زيارته لمدينة قنسرين

بعد أن أنهى مار سويريوس زيارته التقليدية للأديار ، قام بزيارة بعض الابرشيات اللائذة بكرسيه الرسولي . ففي زيارته لمدينة قنسرين الشهيرة في أوائل تشرين الاول ، هرع أهلها الى استقباله خارج المدينة ، وأحاطوه بحفاوة كبرى . فألقى فيهم خطابا حماسيا رائعا ، صرّح فيه بأن أمورا كثيرة اضطرته الى رفع صوته عاليا في ذلك الحفل المؤمن والمحب الله منها ، كون كنيستهم ليس انها تؤمن ايمانا قويما وحسب، ولكنها مستعدة أيضا أن تتألم من أجله اذا اقتضى الامر . ولا غرو ، فانها ابنة حقيقية انطبعت عليها صورة أمها كنيسة انطاكية الرسولية . فكيف والحالة هذه لا يمحضها السلام بملء الفم ويعانقها كالاب ؟ وأردف : انه لأمر بديهي أن يخصّ الوالدان بمحبة فائقة من كان من أولادهما متّسما بميزاتهما من حيث الشبه والصورة والجمال واللون . فميزة كنيسة انطاكية الرسولية هي أن تصرخ مع بطرس الى عمانوئيل قائلة : « أنت هو المسيح ابن الله الحي » معترفة بانه اله وهو نفسه انسان حقيقي أيضا . وليس اثنين كمذهب الذين قسموه في مجمع خلقيدون طبيعتين بعد الاتحاد الذي لا يحيط به وصف . ذلك بأن بطرس لم يقل له « أنت هو المسيح الذي فيه ابن الله الحي » . واسترسل مار سويريوس في تفسير قول بطرس هذا مبيّناً أن المسيح هو واحد من

اللاهــوت والناسوت بفرصوف واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة بدون تبلبل ، وان لناسوته نفساً عاقلة ، وهو بذلك مساو لنا في الجوهر • واختتم خطابه بقوله : ان هذا الايمان القويم الكائن طبيعيا في شخص أم كنائس الشرق ، يراه متلألئا في وجــه كنيسة قنسرين بصفتها ابنة حقيقية لها ، دون أن يشوبها شين ورين • أجل ، انها قديسة لا عيب فيها ، ولــم تتكلف أو تستعير جمالها من المساحيق ـ أي انهــا بعيدة عن بدعة أوطيخا ـ كمــا انها لم تزيف جمالها الذي ورثته عن أمها بظلام عبادة الانسان النسطوري أو اليهودي ـ أعني به الاعتقاد بالطبيعتين ـ ولذلك هرعت اليه بشوق جزيل كما الى أب ، واستقبلته خارج المدينة واثقة من نفســها بأنها لم تبدّل شيئا من طيب أرومتها ، وقبلته كنبي بل كملاك الله ، قارنة الايمان بالاعمال •

الفصل التاسع عشر

ترؤسه في كنيسة قنسرين عيد شفيعها مار سرجيس

كان عيد الشهيد مار سرجيس شفيع كنيســة قنسرين ، مناسبة أُخرى حدت مار سويريوس الى فتح كنوزه في هــذه المدينة السريانية الشهيرة • فقد ألحّ عليه المؤمنون بالبقاء عندهم لترؤس حفلة هذا العيد السعيد ، فأجاب الى رغبتهم وألقى فيهم بهذه المناسبة ، عظة بليغة مستهلا اياهــا بذكر المأدبة الفاخرة التي أقامها أبونا ابراهيم لزائريه الثلاثة ، حيث قدّم لهم بنفسه أطعمة شهية ، وقال : « هذا ما عمله أهل قنسرين حيث بالغوا بالحفاوة بمقدمه ، جامعين من كل

صوب أطعمة روحية لذيذة بامكانها أن تقيت النفس عقليا ، وذلك بترتيل المزامير ، بالصلوات ، بالمواظبة على الكنيسة ، وبتناول الاسرار المقدسة · ولكي يبرهنوا على سخائهم في هذه الامور ، لم يتركوه أن يعود الى مقره الا بعد آن يتمتع بهذه المأدبة الاخيرة ، ألا وهي أن يعيّد معهم هذا العيد المجيد » · واسترسل مار سويريوس في تقريظ الشهيد مار سرجيس ورفيقه مار باخوس · وبعد أن أكّد لهم طيب أطعمة هذه المأدبة ، طلب اليهم أن يرفعوا من أجله صلوات الى المسيح الاله كي يمنحه عَوداً صالحاً الى انطاكية ·

الفصل العشرون

زيارته لمدينة قورش

قورش هي احدى الاسقفيات الخاضعة لمتروبوليتية منبج · وقد ردد التاريخ الكنسي اسمها في عهد أسقفها الاسبق ثاودوريطس النسطوري · فزارها مار سويريوس في عهد مطرانها مار فيلوكسينوس المنبجي ، وألقى فيها ثلاث خطب رنانة في التجسد الالهي والعقيدة الارثوذكسية ، ردّاً على تجاديف ثاودوريطس الآنف الذكر بنوع خاص[1] وكانت الخطبة الثالثة بناء على إلحاح المؤمنين القورشيين أنفسهم · وقد استهل الأولى بكلمة عن التقليد القديم الذي سار عليه الآباء في زياراتهم للكنائس ، وفي وعظهم المؤمنين ، نسجا على منوال القديسين بولس الرسول وبرنابا · ثم أخذ يطري مناقب راعيهم مار فيلوكسينوس قائلا « انه مع رغبته الأكيدة

(١) « خطب المنابر » لمار سويريوس طبعة موريس برييه مج ١ ص ٩٩ ـ ١٣٩ ·

في مراعاة هذا التقليد والتفوه بشيء مفيد ، الا انه حين يفكر في الجالس على كرسي رئاسة هذه الكنيسة[٢] يضطر الى القول انه لن يقول شيئا جديدا بالنسبة اليهم • ذلك أن راعيهم[٢] ، يرعى الرعية الناطقة بالمعرفة العقلية والروحية والرعوية بكل ما في الكلمة من معنى • فهو يقودها الى مرعى صالح خالص من كل نبتة مضرة ، ويوردها الى مياه الراحة الصافية الخالية من الكدر والعكر • كيف لا والرعية أيضا تعرف صوت راعيها وتتبعه بانبساط ولا تنفر منه كما من كلام غريب » • وأردف : انه بناء على ذلك لن يكرز لهم بيسوع آخر لم يكرز به راعيهم الصالح ، ولن ينادي ببشارة أخرى لم يقتبلوها ، ولن يضع لهم آساسا آخر غير الموضوع ، ولكنه يبني باحكام على الاساس المتين الذي وضعه راعيهم كمهندس حكيم • وتحدّث مار سويريوس عن ذلك الاساس قائلا : « ان الأساس هو المسيح ، وان الاعتقاد به هو ، انه بتجسده من العذراء القديسة ومن الروح القدس ، اتخذ ناسوتا مساويا لنا في الجوهر ، بنفس عاقلة ، دون أن يستحيل اللاهوت الى الناسوت ولا الناسوت الى اللاهوت وبدون امتزاج • فهو واحد من طبيعتين • أجل ، هو مسيح واحد ورب واحد ، له فرصوف واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة متجسدة » •

وبعد أن طعن بمذاهب أوطيخا ونسطور وثاودوريطس وديودوروس وثاودوروس والمجمع الخلقيدوني ، قال : « ان العذراء هي والدة الاله ، اذ سكن الاله في أحشائها تسعة أشهر ثم ولدته في الجسد • فلا اللاهوت ُوجد في أحشائها قبل وجود الناسوت فيه ، ولا الناسوت قبل وجود اللاهوت » •

---

(٢) يعني به مار فيلوكسينوس المنبجي •

وبعد أن انتقد تعليم والنطينس وماني وابوليناريوس ، وجّه الكلام الى مار فيلوكسينوس قائلا : « هذا هو أساس تعاليمك يا راعي هذه الرعية الناطقة . لقد قتّ خرافك من مرعاك لا من مرعى غريب . هذه الخراف التي ستقيمها أمامه (الرب) يوم الدين العظيم ، فتقتبل أجر وكالتك التي طردت الذئاب وجعلت الخراف أن تصمّ آذانها عن سماع صوت الاجراء ، فتسمع بدورك صوت الثناء من الديان قائلاً : أحسنت أيها العبد الصالح الامين ، قد وُجدت أمينا في القليل فسأقيمك على الكثير ، ادخل الى فرح ربك » .

وفي الخطبة الثانية لمّح الى ما ورد في خطبته الاولى . ومما قال : بما انه رأى أن الاساس قد وضعه جيدا هذا المعلم ورئيس مهندسي هذه الكنيسة الحكيم[٢] ، الأساس الذي رسخ عميقا ، فهو يبني باحكام على هذا الاساس المتين الذي لا يستطيع أن يزعزعه خيال ماني وأوطيخا الملحد ، وان تثلمه حماقة أبوليناريوس ، أو أن يقسمه اثنين ، كلاً لذاته ، جنون نسطور اليهودي القائل بطبيعتين بعد الاتحاد . ويعترف بابن واحد ورب واحد وفرصوف واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة متجسدة ، من اثنين كاملين هما اللاهوت والناسوت بدون تبلبل أو انقسام .

وفي هذه الخطبة شرح أيضا الايمان القويم بالتفصيل ، مفسرا بعض النصوص الكتابية تقريعا لثاودوريطس . أصغى المؤمنون بارتياح الى تعليم الحق المتدفق من فم مار سويريوس في تينك الخطبتين التفسيريتين الرائعتين . واذ علموا بتأهبه لمغادرة مدينتهم ، التمسوا بحرارة الايمان

والتقوى ليُسمعهم خطبة ثالثة وقد اشرأبّت اليه أعناقهم ، وهفت اليـــه قلوبهم • فأجاب الى رغبتهم الملحّة وألقى فيهم خطبة ثالثة كانت مسك الختام •

وفي مستهلّ كلامه ذكّرهم بايليا النبي التشبي . كيف انه غار للرب وقال للشعب الذيأضله الانبياء الكذبة « حتى متى تعرّجون على الجانبين ؟ فان كانالرب هو الله فاذهبوا وراءه ، وان كان البعل فاذهبوا وراءه » ، وكيف استجيب بنار آكلة ، في حين أن صراخ الانبياء الكذبة الى الالهة الكذبة ذهبأدراج الرياح • وقد طبع هو أيضا على غرار ايليا ، وقال بكلجرأة وإقدام للذين يتظاهرون باعترافهم بوحدة المســيح ، لكنهم يعودون يقسمونه اثنين باعتقادهم بطبيعتين بعد الاتحــاد : « حتى متى تعرجون على الجانبين ؟ . فاذا اعترفتم بأن المسيح هو واحــد ، فاعترفوا أيضـــا وجوبا بوحدة طبيعة الكلمة المتجســدة • واذا ناديتم بطبيعتين بعد الاتحاد ، فلا تكونوا واحــداً باللسان للذي تقسمونه اثنين بالقوة » • أمـــا هم فكانوا مثل أنبياء البعل يطلبون العون من معرفة كاذبة •

وفي هذه الخطبة التفسيرية ، رد على ثاودوروس المصيصي معلم نسطور ، وثاودوريطس • وكان هذا قد توانح أن يقلل من أهمية الأعجوبة الباهرة في إظلام الشمس في أثناء صلب الاله المتجسد وقال : انه ليس أمراً ذا بال ، فالمصريون حين ضربهم موسى ، لم يصر عليهم ظلام ثلاث ساعات فحسب بل ثلاثة أيــام • فقال مار سويريوس في رده عليه « هناك ساد

الظلام أرض مصر فقط ، أما هنا فالأرض كلها ، اذ هو رب الارض والخليقة كلها ، الذي ذاق الموت الخلاصي في الجسد بواسطة الصليب ، والذي بسرّه أوقف يشوع بن نون الشمس يوما كاملا ، اذ كان يرمز اليه · هذا فضلا عن أن الظلام الذي صار وقت الصليب ، ذكره حتى المؤرخين الوثنيين على انه غريب عن كسوف الشمس · كيف لا وقد ارتعدت الارض نفسها اذ كانت الخليقة بأسرها تتألم مع الخالق بنوع عجيب » · واستشهد مار سويريوس بنبوءة عاموس على هذا الكسوف الظهري ·

واختتم خطبته العجيبة باطراء مناقب مار فيلوكسينوس المنبجي قائلا : ان الله أقام هذا الشيخ القديس راعيا حاذقا لمتروبوليتيتهم مكافأة لهم عن ايمانهم الصحيح القويم ، وقد جاءهم بملء بركة المسيح ، وبامكانه أن يمنح بنيه بركات حقيقية فعالة على غرار أبينا يعقوب الذي كان قد شاخ وشبع أياما مفعمة بالفضائل · وأردف : « لولا أن أضعفه الزمان والمرض ، إذن لوقف عند سماعه هذه الاقوال ، وأطلق لسانه الفصيح ضد تعاليم الهراطقة ، اذ لا يزال يغار للرب ، بل بهذه وحدها لم يشخ · وما زالت فتوّته تتجدد بالنشاط ، وما زال هو يشبّ بالروح » ·

الفصل الحادي والعشرون

عودته الى انطاكية

بعد أن اختتم مار سويريوس منهاج زيارته الرسولية لبعض الابرشيات اللائذة بكرسيه الرسولي ، عاد الى انطاكية في تشرين الثاني سنة ٥١٤ وهي السنة الثالثة لبطريركيته ، فهرعت الى لقائه بأصوات الترتيل والتبجيل مسرورة بعوده الميمون ، وكأنها في عيد عظيم. وفي تذكار مار يوحنا المعمدان ألقى خطابا رنانا استعرض فيه زيارته للأديار ولبعض الأبرشيات وأفاض في تبيان عظمة كنيسة انطاكية من حيث نشأتها وصحة إيمانها . وقد أوردنا منه في ما سلف ، وصفه الرائع للحياة النسكية العجيبة التي عاينها بأم عينه في الأديار التي زارها . وذكر في هذا الخطاب ، ان ما رآه من جلال الفلسفة النسكية في الأديار ، حداه الى أن يقول لنفسه : « أتريدين أن نعمل ههنا مظلة » ؟ ولكنه حين فكّر في محبة الانطاكيين له ، وفي القِران الشريف الذي تم بينه وبين كنيستهم ، نصحته أن يعدل عن ذلك ـ ولئن كانت مستعدة له ـ قائلة : « انك مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال » . وهكذا نزل من الجبل تاركاً فلسفة النسك جانباً ، وحمل في مخيلته صورة كنيسة انطاكية العفيفة ، وقد وجد نفسه مديناً لها الى حد إهراق دمه من أجلها اذا اقتضى الامر ، على حد تعبيره .

ومما قاله في خطابه هذا في حق الكنيسة ، انها أنشئت

قبل جميع الكنائس المقدسة التي على وجه البسيطة ، وهي الاولى التي اتخذت راعيا وبعلا وبنّاء ، مَن سمع من المخلّص « أنت كيفا وعلى هذه الصخرة سابني كنيستي وأبواب الهاوية لن تقوى عليها » ، وتقلد مفاتيح ملكوت السماء ، فتبعته كراعٍ ، وعاشرته بعفة كبعل ، واكتنزت كما في خزينة الأساس الذي وضعه هو كبنّاء • وقد رفلت بالاسم المسيحي الرفيع شبه حلة ملكية أرجوانية ، وما زالت تغار عليه كثيراً • ولا ترضى البتة بتزييف كلام الحق ، بل لا تقوى على احتمال المتطفلين على الامور الالهية • أما الذين اقترنوا بها بطريقة غير شرعية الى حد أنهم ساكنوها مدة طويلة دون أن يندموا ويرتدّوا عن نفاقهم ، فانها فضلاً عن أنها أعطتهم كتاب الطلاق ، فقد طردتهم أيضا بعنف • واذ أبغضتهم عدلا نفرت من مساكنتهم يائسة من شفائهم • وأردف : واذ يخافها هو نفسه يقدّم لها كلمة الايمان القويم سليمة من كل شائبة خالصة من خيال أوطيخا وسخافة أبوليناريوس وفساد القائلين بالطبيعتين بعد الاتحاد غير الموصوف •

وهكذا سرد إيمانه بيسوع الواحد الذي هو أمساً واليوم والى الابد دون تغيّر ، والطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد والفرصوف الواحد ، ناسبا الامور الرفيعة والوضيعة معا الى هذا الواحد المساوي للاله الآب في الجوهر والمساوي لنا أيضا في الجوهر ماعدا الخطيئة ، بدون انقسام أو تبلبل أو امتزاج •

واستطرد : انه لاجل هذا تتقد أم الكنائس الشريفة والمجيدة حبّا به ، وتدثره بحللها الخاصة ، وتتألم عند سفره ، وتعاتب عند تأخره • أما هو فلم ينسها حتى في بُعده عنها • فقد وجدها في قمة الجبل مع الرهبان . مرسومة على راحة

الرب ، ولها عندهم ذكر عاطر في الصلوات والتضرعات • ولما زار بعضاً من بناتها المعروفات آي الكنائس اللائذة بها : ذكّرهن بطيب أرومتهن بالنسبة اليها ، وبالعقائد الارثوذكسية • فلما تأملن الاصل الرسولي الذي يتحدرن منه ، وجمال أمهن وتربيتها العفيفة ، طرحن عنهن كل ما هو زيف وغريب ، وانصرفن الى الجمال الطبيعي وحده •

الفصل الثاني والعشرون

تفنيده ثاودوريطس القورشي

كان للخطبة القيّمة التي فاه بها مار سويريوس في مدينة قورش ، والتي فنّد بها تجاديف ثاودوريطس أسقفها النسطوري الاسبق ، وتخرصات الذين يقسمون ربنا والهنا يسوع المسيح الى طبيعتين بعد الاتحاد ، أثر عميق في نفوس المؤمنين في كل مكان • لذلك التمس منه الانطاكيون أن يشنّف بها آذانهم أيضاً • فأجاب الى رغبتهم ، وفاه بها في عيد قتل أطفال بيت لحم ، في كانون الاول سنة ٥١٤ ، وفي الكنيسة التي عُرفت بالجديدة ، حيث كان يخلد ثعالب البدعة النسطورية ، مستهلا اياها بحادث قتل الاطفال •

وقد أخبرنا في هذه المرة علاوة على ما ورد في خطبته في قورش ، ان ثاودوريطس في ردوده على حروم « فصول » القديس كيرلس الاسكندري ، يستند الى ما قاله لوقا الانجيلي عن السيد المسيح حين كان يصلّي ليلة آلامه من آن « ملاكاً ظهر له من السماء يقويه • واذ كان في جهاد كان يصلّي باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض » • فيتساءل

مزدريا ضعف السيد المسيح قائلا : « من الذي كان محتاجا الى عون الملاك » ؟ وأخبرنا أن الوقاحة أدت بمن شاكل ثاودوريطس في ازدراء ضعف المسيح هذا ـ الذي انما كان تدبيرا الهيا حكيماً ، بل تواضعا بليغا ـ الى أن يرسموا هذا الحادث حتى على الجدران تهكما وازدراء · لذلك اذ يفسر مار سويريوس عرق المسيح ، وقطرات الدم ، وتقوية الملاك له تفسيرا صحيحا ، يسأل أصحاب المذهب النسطوري قائلا : اذا كان كلمة الله ساكنا في المسيح في ما زعموا ، فكيف احتاج المسيح الى عون ملاك واحد ؟ فهل كان فارغا آنئذ من الكلمة ، أم أن الساكن فيه لم يكن في إمكانه أن يُعينه ؟ ذلك أن أولئك كانوا يعتبرون الذي صُلب من أجلنا انسانا بحتا ·

واتماما للفائدة نقول : ان مار سويريوس كتب بعد نفيه، رسالة[1] الى البطريقة قيسارية يقول : ان حادث عرق المسيح ، وقطرات الدم ، وظهور الملاك لتقويته ، لم يرد في نسخ الانجيل المعتمدة في الاسكندرية · ولاجل هذا طعن به القديس كيرلس في مقالته الثانية عشرة التي وضعها دفاعا عن الدين المسيحي ورداً على يوليانس الجاحد ، قائلا : ان النسخ التي بين أيدينا خالية منه · أما النسخ المعتمدة في انطاكية وفي البلاد الاخرى ، فقد تضمنته ، كما ذكره أيضا بعض الآباء ، منهم ، غريغوريوس اللاهوتي في المقالة الثانية في « الابن » والذهبي الفم في خطابه على قول المسيح « يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكاس » ·

---

(١) هي الرسالة الثالثة من المجلد السادس الذي كتبه بعد نفيه ·

الفصل الثالث والعشرون

استنزاله الغيث

في شتاء سنة ٥١٤ احتبس الغيث حتى كانون الثاني من السنة التالية . فنظم مار سويريوس لاستنزال رحمة الله معنيثين خشوعيين[١] • ففي الاول الذي استهله بالآية « زالت أيامنا كلها بسخطك » (مز ٨٩ : ٩) . ناجى المسيح الاله قائلا « فيما انهم كانوا يرقبون الخلاص منه ، اذا بهم يرونه جدّ بعيدا عنهم ، اذ تنتصب أمامهم المعاصي التي فرّطوا فيها » • ثم تضرع اليه ليفتقد الارض عاجلا ويُرويها بنعمة الغيث والطل بلسما للنفوس الجريحة • وفي الثاني الذي استهله بالآية « أتذوب الارض مع جميع سكانها » (مز ٧٤ : ٢) ؟ يقول : انه بسبب ظلام المعاصي الدامس ، فات أوان الغيث وأوشك أن يذبل زهر كل خضر ولما يصر الى الحصاد • ومع ذلك فانهم لاييأسون حين يلتفتون الى رحمة الله الغزيرة • كيف لا وقد قال قبلا لموسى : الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا (عد ١١ : ٢٣) • اذ كان موسى قد ارتاب في أن الله سيعطي لحما في البرية لبني اسرائيل ليأكلوا • وفي تلك الايام أشاع الخلقيدونيون أن احتباس الغيث انما جرى بسبب حرمهم للمجمع الخلقيدوني • فنظم مار سويريوس معنيثا ثالثا هو ال ٢٥٣ ، مستهلا اياه بالآية « ان الذين يتباعدون عنك يهلكون » (مز ٧٢ : ٢٧) . وفيه ناجى الله تعالى قائلا : انهم علموا ولا شك انه انما صوّب اليهم قوس الغضب من جراء

---

(١) هما ال ٢٥١ وال ٢٥٢ في طبعة بروكس •

زلاتهم وآثامهم • الا أن أصحاب بدعة الطبيعتين أخذوا يفغرون الشفاه ويهزون الرؤوس قائلين : « فوض الى الرب أمره فلينجه وينقذه فانه راض عنه » (مز ٢١ : ٨و٩) • ولذلك فاذ يذرفون العبرات متحسرين ، لايسعهم الا أن يقولوا أن الله الذي يعبدونه هو في السماء ، وهو قادر أن ينجيهم من تلك الشدة • واذا ُفرض العكس أيضا ، فانهم لن يتنازلوا البتة الى القول كاليهود ، بطبيعتين للمسيح الواحد ، لكنهم اذ ينادون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ـ كما تعلّموا ـ يعترفون بأن الذي تألم في الجسد هو واحد من الثالوث الاقدس الذي سيبارك برحمته الغزيرة مدار السنة بالغيوث والامطار •

وبعد عيد الدنح الواقع في ٦ كانون الثاني سنة ٥١٥ نظم معنيثارابعا هو ال ٢٥٤ ، مستهلا اياه بالآية القائلة : « أرددنا يا إله خلاصنا » (مز ٨٤ : ٥) . قائلا : انهم ولئن استناروا بأشعة ظهوره الالهي ، وابتهجوا روحيا معيّدين الا انهم لم ينسوا آثامهم وزلاتهم التي بها أغضبوه • لذلك يضرعون اليه أن يصرف عنهم غضبه ، ولا يحوّل أعيادهم نَوحا (عا ٨ : ١٠)، لكن ليرزقهم مطر الوبل (زك ١٠ : ١) •

وفي ١٥ كانون الثاني منّ الله عليهم بأمطار البركة ، فتهلّلت وجوههم طربا • فنظم من ثم مار سويريوس معنيثا خامسا هو ال ٢٥٥ مستهلا اياه بالآية القائلة : « تعهدت الارض وأسقيتها » (مز ٦٤ : ١١) ، شاكرا الله على تلك المنة العظمى بارووائه الارض اليابسة الظمأى ، بالامطار ، وعلى إسدائه الى المؤمنين نعمة الامن والسلام ، ولئن دعوه هم بالشفاه لا بالقلوب •

وقد نوّه بهذا في المعنيث الذي نظمه عند انتصار الملك انسطاس المؤمن على الطاغية بيطاليان •

الفصل الرابع والعشرون

احتفاله بنقل رمة الشهيدين بروكوبيوس وفوقا

كان بروكوبيوس من بيسان ، وقارئا في الكنيسة ، ومترجما من اللغة اليونانية الى السريانية ، وطارداً للشياطين، ويتعبد لله بالنسك والزهادة . فاستشهد في قيسرية فلسطين بأمر الحاكم فلوينوس سنة ٣٠٣ إبان الاضطهاد العاشر . أما فوقا فهو من شهداء ولاية بنطس على ساحل البحر الاسود ، الذين كانوا في هذا الاضطهاد يُدخلون تحت أظافرهم قصبا حادا ثم يصبّون عليها رصاصا مذوّبا ثم يقتلونهم . ذكر مار سويريوس الانطاكي أن بروكوبيوس صنع معجزات كثيرة في قيسرية فلسطين . أما فوقا فقد ظهر مرات عديدة في البنطس لمتعذبين في البحر وطاف معهم ورافق الذين أوشكت الانواء أن تغرقهم ومنحهم راحة وطمأنينة .

واكراماً لهذه الكرامات التي أظهرها الله بواسطتهما ، نقل مار سويريوس في سنة ٥١٥ رمتهما الى انطاكية حيث أودعها كنيسة مار ميخائيل الملاك باحتفال مهيب . وألقى بهذه المناسبة خطابا جميلا مزدريا فيه عبادة الأوثان وشعائرها السمجة ومعبوداتها الكثيرة الباطلة ، ومندداً ببعض المسيحيين الذين يعبدون الملائكة كالله ، وقد رسموا صورة الملاكين ميخائيل وجبرائيل مثل الملوك الاباطرة ، مرتديا كل منهما حلة ملكية أرجوانية ، وعلى مفرقه تاج ملكي ، وفي يمينه القضيب ، قائلا : ان القوانين الكنسية تحرم مثل هؤلاء الذين أساؤوا بهذا المقدار

الى اكرام الملائكة ، متجاوزين وصايا الكنيسة • ومما قال :
« ونحن أيضا وفقا لقوانين الآباء ، وسدّاً للنوافذ التي تطل منها عبادة الشياطين ، نقدس الهياكل التي أنشئت باسم الملائكة ، برفات الشهداء القديسين المقدس أو بالرميم الحامل الغنبة الذي احترق كله ببسالة وصار ذبيحة ، مذكّرين بهذا ، بأن هؤلاء أيضا هم كالملائكة ، جنود وعبيد أُمناء للرب الواحد » •

وقال ردّاً على الذين كانوا يرتأون كالوثنيين ، ان الملائكة ينفرون ويبتعدون عن رفات القديسين : « تُرى كيف وقف الملائكة حول قبر المصلوب كالحراس للقصر الملكي ، وقالوا للنساء : « انكن تطلبن يسوع الناصري المصلوب ليس هو ههنا لكنه قام » • فكيف يمكن أن ينفر الملائكة الذين أكرموا المصلوب ، من الذين تألموا وجاهدوا من أجله ؟ بل كيف يمكن أن يبتعدوا عن رميم الاعضاء التي عاشت بطهر وعفة وفضيلة ، والذي يمنح كل يوم شفاء لمختلف الامراض ، ويطرد الشياطين ؟ واذا كان الملائكة ينفرون هكذا من الشهداء ، ترى كيف سار الملاك بأمر الله أمام بني اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر وهم يحملون ميتا هو جثمان يوسف البار ؟ كيف لا وقد كان الله نفسه يرافقهم كقوله تعالى ؟• أجل ، وقد جرى هذا في عهد أمر فيه الناموس أن من يمسّ ميتا يتنجس • بل ان ميخائيل الملاك نفسه احتفى بدفن جسد موسى حين وقف الشيطان ضده (رسالة يهوذا ٩) • ويخلص الى القول : ان الملائكة لقريبون من رمة الشهيدين التي أودعت هذا المكان بل يكرمونها ويسبّحون الله مع نفسيهما •

الفصل الخامس والعشرون

احتفاله بالذكرى الرابعة لجلوسه

في ٦ تشرين الثاني سنة ٥١٥ احتفل القديس سويريوس بالذكرى الرابعة لجلوسه على الكرسي الرسولي · وبهذه المناسبة السعيدة ألقى في كنيسة الشهيد مار رومانس في انطاكية ، خطابا رائعا ، تحدث فيه عن القرن العقلي الذي مسحه به الروح القدس رئيسا للكهنة ، وعن تقدمه من الخدر الروحاني حيث ائتمنه السيد المسيح كنيسة انطاكية التي كانت الأولى لترفل بالاسم المسيحي كحلة ملكية فاخرة · ولا غرو فان المسيح نفسه هو مخطّب مثل هذا القِران غير الفاسد ، الذي يؤيده الايمان القويم والاعمال النقية ·

ووصف كنيسة انطاكية بأنها اعتادت أن توحّد معها بعولها ، فتجعلهم أخص الاقربين اليها ، الامر الذي يحدو الذين يرونها أن يقولوا بكل صواب « حقاً من الرب تتحد المرأة بالرجل » · أجل ، وقد طردت عنها كغرباء أولئك الذين ساكنوها زورا وبهتانا ، مما جعل الذين هم مثل يوحنا المعمدان بالروح أن يقولوا لهم « لا يحلّ لك أن تأخذها » ·

ووصف قرن المسحة السري الذي كان يمسح رمزا رؤساء الكهنة والملوك ، بأنه يُعلن أن المسحة لا تأتي الذين يستحقونها من أسفل ، ولا من منحة بشرية ، لكنها تهبط من فوق من عند أبي الأنوار · كما ان الله الذي يمسح هو فوق كل عرش

وسيادة ، كذلك القرن هو فوق الرأس ، وان الذين يُمسحون به يجب أن يُصبحوا قرن الخلاص ، فيحاربون أمام الشعب ويقولون للذي مسحهم « بك ننطح أعداءنا وباسمك نزدري الذين يهاجموننا » • وذلك كما بارك موسى يوسف ونسله (تث ٣٣ : ١٧) مشيراً بذلك الى المسيح الذي كان يوسف يرمز اليه •

وبيّن ماهية صفات الذين يمسحهم الله وهي أن يتجملوا بالفضائل ويحفظوا الايمان ، وألاّ يعبدوا الله والمال معا أو يتمثلوا باريوس ونسطور وأوطيخا وأبوليناريوس وماني وغيرهم من الذين أقلقوا راحة الكنيسة بتعاليمهم الوخيمة • وأردف : ان الذي يُمسح من فوق ويتسلح بكلام الحق كقرن الريم ، يطحن هذه الحروب الهرطوقية كقول الكتاب • ثم ذكر الصك الذي يوقّعه المتقدم الى الكهنوت ، مبينا المسؤولية العظمى التي تُلقى على عاتق من يُمسح لرتبة سامية • ثم وبّخ الذين يتشوّقون الى الدرجات الكهنوتية سعيا وراء الشرف الدنيوي والرزق العالمي ، وقارن ما بين صحة أجسام كهنة العهد القديم وبراءة نفوس كهنة العهد الجديد •

وفي هذا الخطاب القيم بالذات ، جدّد مار سويريوس صحة إيمانه بالثالوث الاقدس ، وبسرّ التجسد الالهي ، وبوحدة طبيعة المسيح بعد الاتحاد ، وبانبثاق الروح القدس من الآب •

الفصل السادس والعشرون

تدشينه كنيسة والدة الاله في انطاكية

في أواخر سنة ٥١٥ انتهى القيصر أنسطاس من توسيع كنيسة والدةالاله في انطاكية ، فاحتفل قديسنا مار سويريوس بتدشينها في ٢٦ كانون الاول ، وقد ضاقت على رحبها بجمهور المصلّين . وبالمناسبة الجميلة ألقى خطابا رائعا نوّه فيه بفضل أنسطاس وبأياديه البيض ليس على هذه الكنيسة فحسب بل على غيرها أيضا حتى البلاد النائية . وطاب له التبسط في الامور اللاهوتية الخطيرة – موضوع الساعة – فاستنكر آراء النساطرة والخلقيدونيين « عبَدة الانسان » والخياليين « الاوطيخيين » جملة . ومما جاء فيه قوله : « كما ان كلمة الله صار انسانا حقا بدون استحالة ، كذلك هو ذاته كان إلهاً بالطبع . فلا يجوز اعتبار العجائب خلواً من الناسوت، ولا النمو البشري والفقر الاختياري بمعزل عن اللاهوت » . الى أن قال : « ان الرفيع والمتمتع طبيعيا بالأمجاد اللائقة بالله بالذات ، هو نفسه جرّد ذاته ، وان الذي كان يُرسل خداماً لاصلاحنا ، هو ذاته صار انسانا وخادما بل صانعا لخلاصنا كقوله تعالى « انه لم يأت ليُخدم بل ليَخدم ويُعطي نفسه فدية عن كثيرين » .

وفي هذا الخطاب الممتع ، فنّد بالبراهين الكتابية الساطعة، مزاعم الذين يتخرصون بتأويل لفظة « علمت » الواردة في نبوءة أشعيا بأنها ستحبل وتلد ابنا ، « بغير العذراء » . وسأل: كيف تكون آية تلك التي تلد بعد زواجها ؟

وبعد أن نصح الشبان والعذارى على صيانة العفاف ، والمتزوجات على حب أزواجهن وأولادهن ، بكّت الذين تجرأوا فمنعوا النساء عن الترتيل وعن تلاوة المزامير قائلا : ان مار بولس الرسول منع المرأة من التعليم لا الترتيل · فاذا ساغ منعهن من الترتيل ، فمن التزمير أيضا ، والعكس بالعكس · ومع ذلك فان الكتاب المقدس يحبذ ترتيل النساء ، كما فعلت مريم أخت موسى مرددة تسبحة الكليم أمام جوقة من النساء · واستطرد : انه حين يرغب في الدفاع عن النساء ، لا يجد لهن محاميا سوى مريم العذراء والدة الاله ·

الفصل السابع والعشرون

اطراؤه مناقب أئمة البيعة

كان مار سويريوس يعتمد كل الاعتماد ، مصنفات أئمة البيعة الذين أقرّتهم الكنيسة الجامعة ، ويقتبس منها مايراه مساندا لحجته · ففي غرة كانون الثاني سنة ٥١٥ لفظ في عيد القديسين باسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي خطابا جميلا ، مُطريا فضائلهما وفضائل مار اغناطيوس النوراني ، مستشهدا بأقوالهم جميعا لدحض المذهب النسطوري القائل « بأن الذي صُلب وتألم من أجلنا انما كان انسانا بحتا » ، قائلا : ان هؤلاء الآباء علّموا بأن كلمة الله الذي تجسد بدون استحالة وصُلب وتألم في الجسد من أجلنا ، هو الله نفسه ، مع علمهم الاكيد أن الألم لا يمس من ليس قابلا للتألم · فاغناطيوس مثلا يقول : « اسمحوا لي أن أكون متشبها بألم الهي » · وغريغوريوس يقول : « من لا يسجد للمصلوب فليكن

محروما وليُحصَ مع قتلة الله » · أما باسيليوس فيقول : « ان هذا الكون كله ، أي السماء والارض ، والبحار وما فيها ، وبهائم البرّ ، والنبات ، والكواكب ، والهواء ، والازمنة ، وما ازدان به من جمال ، ليس في وسعه أن يعبّر عن عظمة القدرة كأن يشتبك الله غير المُمَسك مع الموت في الجسد بدون ألم ، لكي يمنحنا عدم التألم بواسطة تألمه » ·

وفي أول كانون الثاني سنة ٥١٦ ألقى خطابا آخر في هذين القديسين ، في كنيسة مار اغناطيوس النوراني ، ذاكرا أن الكنيسة تحتفل بعيدهما في باب أو مدخل الشهر الاول من السنة الرومانية ، وهو اليوم الذي سمي بلغتهم «يانواريس» · و « يانوا » معناه باب ، لكي يأتي ذكر مار باسيليوس بالبركات للذين يذكرونه ، وللمملكة الرومانية أيضا التي باركها كلمة الله يسوع المسيح بمجيئه في الجسد في عهدها فيتم به ما قاله الرب بواسطة أشعيا « روح الرب علي الخ » · أي يلقي بذار البركة ، ويجعل السنة كلها مباركة ، تعطي مختلف الاثمار والاشفية للقلب الكسير ، ورَدّاً للذين سبتهم الخطيئة ، ونوراً للمؤمنين على أعمال الظلام ·

الفصل الثامن والعشرون

ضمه الايسوريين الى الكنيسة

في سنة ٥١٦ توفي سولون رئيس أساقفة سلوقية ايسورية · وكان الايسوريون الى هذا الحين خلقيدونيين يراجعون فلابيانوس الثاني الانطاكي المعزول · فتبادلوا ومار فيلوكسينوس المنبجي رسائل في صدد اتحادهم مع الكنيسة

فكتب اليهم مار فيلوكسينوس عن طريق الجدل ، مستشهدا بكتاب هنوطيون زينون . كانه كافٍ في ما يخص الايمان ، وملمحا الى شركته مع مدبر كرسي الاسكندرية (وكان قبلا-خلقيدونيا) والى عدم رفعه أسماء الهراطقة من كنائس أبرشيته • وهكذا اذ ترفّع عن المغالاة في الدقة في صدد عقيدتهم ،انفصلوا هم وغيرهم عنشركة فلابيانوس وانضموا الى مار سويريوس • وقد ذكروا في العريضة التي رفعوها الى مار سويريوس بهذا الصدد ، انكتاب الهنوطيقون المشار اليه ناقص ، وانهم لن يشتركوا مع مدبر كرسي الاسكندرية المومأ اليه ، ما لم يبرىءساحته بدفاع يرفعه الى جميع الارثوذكسيين، ملاشيا الشكوك المنتصبة حاجزا بينهم وبينه •

ثم رسم الايسوريون شرعيا رئيس أساقفة لهم يسمى اسطيفان • وفي أعقاب ذلك كتب اسطيفان والاساقفة الذين رسموه الى مار سويريوس رسائل جليلة •

فلما انتهى الامر الى الاسكندرية ، ساء قسوسها الذين كتبوا الى مار سويريوس يُنحون عليه باللوائم ، لقبوله الايسوريين دون استعمال الدقة في أمر عقيدتهم ، بل فقط على أساس كتاب الهنوطيقون مع انه غير كامل ، فضلا عن قبوله مدبر كرسي الاسكندرية في شركته • واذ كانوا قد كتبوا قبلا الى رئيس كرسي أورشليم بل الى اسطيفان الايسوري بالذات بأن الهنوطيقون يتضمن صورة كاملة للايمان القويم ، استدركوا ذلك هنا بقولهم : انهم انما فعلوا ذلك اداريا ليس الا •

فاجابهم مار سويريوس مرحّبا بعتابهم ، وشارحا لهم هذا الامر • ومما قاله : أية نقيصة للايسوريين في هذا الامر ، في

حين انهم بكتاباتهم رفعوا مار فيلوكسينوس الى الذروة ؟ واذ ترفّع عن المغالاة في الدقة في صدد عقيدتهم ، انفصلوا هم وغيرهم عن شركة فلابيانوس الذي كان قبلا جالسا على الكرسي الانطاكي ، واتحدوا معه (أي سويريوس) ، وصرحوا خطيّا بنقصان الهنوطيقون ، وأبوا أن تكون لهم أية شركة مع مدبّر الاسكندريين ما لم يبرىء ساحته في دفاع يرفعه الى جميع الارثوذكسيين • واستطرد « ان كان ما كتبه الايسوريون الى فيلوكسينوس يعدّ جريمة ، فالاولى ان يُنحي هو أيضا باللوائم على بعض منهم . أتحريضهم اياه يوم كان في القسطنطينية[1] على مقابلة فيلوكسينوس وفحص معتقده • بل أن يوجه الى القديس كيرلس بالذات تهم كبيرة ، لمراسلته اقاق رئيس أبرشية حلب الذي اقترح عليه إنكار الفصول الاثنيعشر وغيرها من كتاباته ضد نسطور » الى أن قال : ان استلام رسائل من المتمسكين بالبدع أو من الذين ليسوا كاملين ، لا يسبب ملامة للمرء ، انما يسبب الملامة استسلامه لما كتبه أولئك •

وقد عجب مار سويريوس من مناقضتهم أنفسهم بأنفسهم • ففي حين أنهم يقولون ان الهنوطيقون غير كامل ، يردفون: انهم انما اداريا كانوا قد كتبوا الى رئيس كرسي أورشليم بل الى اسطيفان الايسوري بالذات ، بأن الهنوطيقون يتضمن صورة صحيحة للايمان • ثم حاججهم قائلا : « ترى كيف يمكن أن يكون الهنوطيقون غير كامل وهو صفر من العقيدة القويمة ، وليس في وسعه استئصال الشكوك من الوسط ؟ فما كان غير

---

(١) لا ندري فيما اذا كان يعنى هنا وجوده في القسطنطينيه يوم كان راهباً أم زيارة أخرى لها قام بها في عهد بطريركيته •

كامل لا بد وأن يكون له ولو جزء يتفق مع الكامل ، ليحصل الناقص على الكمال . أما ما لا يتضمن ولا جزءا صحيحا ، فليس انه غير كامل وحسب بل سيان وما ليس في الوجود . وأسف على نبذهم كتاب الدفاع الذي تركه لهم يوحنا الاسقف ورئيس الدير الذي انضم الى القديسين ، والذي تضمن جملة عبارات وردت في الهنوطيقون . وتساءل قائلا : ترى أية بدعة تنجم عن قول قائل : « اننا نقول بأن العجائب والآلام التي احتملها في الجسد ، هي للوحيد الواحد ابن الله » وان التجسد الحقيقي المنزه عن الخطيئة الذي من والدة الاله ، لم يسبّب زيادة رب ، اذ ظل الثالوث ثالوثا حتى بعد تجسد الاله الكلمة الواحد من الثالوث ؟[٢] .

ثم بيّن لهم أن الهنوطيقون ذُكر مرة واحدة فقط في عريضة الايسوريين ، فاستؤصلت شأفة الشر ، وأضيفت الى العريضة ما كان ناقصا في الهنوطيقون . ذلك ان العريضة نفسها صرحت بنقصان الهنوطيقون . وأخبرهم بأن القديس يوحنا الآنف الذكر كان قد التمس منه زيارة مصر . وانه مستعد للقيام بها ، شريطة أن يتوفر للاجتماع مكان منعزل وبعيد عن أهل الغوغاء . وقصّ مار سويريوس على القسوس الاسكندريين ، أمر الارثوذكسيين الايسوريين قائلا : انهم أول من واجه الاحداث ، فرسموا لهم شرعيا رئيس أساقفة استلم في أعقاب ذلك رسائل جليلة مفعمة رجاء منه ومن الاساقفة راسميه المعروفين لديه مذ كان في القسطنطينية ، ونصحهم أخيرا ألاّ يرفضوا هذا الخير كله[٣] .

---

(٢) يبدو أن مار سويريوس ومار فيلوكسينوس في تساهلهما مع المرتدين الى الكنيسة من الخلقيدونيين ، لم يصّرا على أكثر من هذا ، متحاشيين ذكر الطبيعة الواحدة والطبيعتين وغير ذلك .

(٣) رسائله طبعة بروكس مج ١ ص ٢٩٥ ـ ٣٠٥ .

الفصل التاسع والعشرون

تساهله في قبول المرتدين الى الكنيسة

مع ما عُرف به مار سويريوس من تمسك شديد بالايمان القويم ، فان غيرته الوقادة على ضم الاعضاء المبعثرة هنا وهناك الى جسم الكنيسة الواحدة ، حدته في كثير من الاحيان الى التساهل في قبول المرتدين منهم الى الكنيسة· ومن جملة ذلك ، إغضاؤه عن أسماء رؤسائهم السابقين المدونة في ذبتيخا كنائسهم · وغايته ، ألا يمس كرامتهم وشعورهم لطالما ارتدوا الى أحضان البيعة واحتضنوا المعتقد الارثوذكسي ، مفضلا مصلحة الكنيسة العامة على الدقة · وفي نظره ، ان الخطر واحد ، سواء قللت الكنيسة من الدقة مع أناس كامدين ومتمرسين بالدقة أم غالت في الدقة في غير محلها مع الذين تتطلب لهم الادارة والتساهل القانوني[1] · بل كانت ايته الذهبية « ان الادارة فوق كل شيء »[2] . الامر الذي أغاظ بعض المتعصبين من الاساقفة الارثوذكسيين ولا سيما الاسكندريين ، الذين فكّروا في بعض الاحيان في قطع شركتهم منه[1] ، زاعمين انه لا يصحّ أن يكون القربان طاهرا ، والذبتيخا تحوي هذه الاسماء[3] ، ما حداه الى التبسط في تبرير هذا التساهل وبالتالي في تبرئة ساحته من الاساءة الى التقليد الرسولي ·

---

(١) رسالته الاولى الى ابوقراطيس المنطقي الاسكندري طبعة بروكس مج ١ ص ٣١٦ ــ ٣١٧ ·

(٢) رسالته الى تاوفنيس المنطقي ، بروكس مج ١ ص ٣٠٨ ·

(٣) رسالتاه الى اوربانوس النحوي وسوطوريخوس اسقف قيصرية قبادوقية ، بروكس مج ١ ص ٣١٢ ــ ٣١٤ ·

على أنه صرح بأنه اذا تعمّد الدقة كما كان يفعل وهو منزوٍ في الأديار ، لايطيق البتة أن تُذكر لا أسماء القسوس ولا رؤساء الاديار ولا غيرهم ممن اشتركوا في مجمع خلقيدون. ولكن اذا تبيّن وحدة الكنيسة المقدسة الشاملة والخير العام ، لا يطيق أيضا البتة أن يفكر في شيء من هذا القبيل ، سيما وأن هذا الامر لا يضير الكنيسة شيئا[٤] • هذا مع العلم أن بعض الاساقفة الشرقيين كانوا قد تلافوا هذا الامر تلقائيا ، في حين أن ذلك لم يكن في وسع الآخرين لئلا يتشابكوا وأهل المدن المتعصبين ، ويولّدوا لهم مشاكل هم في غنى عنها[٣] •

وقد استشهد مار سويريوس على صحة عمله ، بما آتاه آباء الكنيسة قبله في هذا الصدد • ومما قاله : ان الكثيرين من آباء مجمع نيقية الثلاثمئة والثمانية عشر ، وجدوا بعدئذ في مجمعي ريميني وسرديكا ، ومع هذا فان آحدا لم يحتج على أسمائهم • وكذلك قل عن مجمع نيقية تراقية الذي قرر « أن الابن شبيه بالآب وليس مساويا له في الجوهر » ومجامع سيرميون ولامبساكوس وزومية وزيلو وسلوقية التي سكت عنها مجمع القسطنطينية المسكوني متغاضيا عن أسماء الذين حضروها • بل ان القديس كيرلس الاسكندري الذي عزل نسطور في مجمع أفسس ، لم يبحث بعدئذ آمر الاسماء مع الاساقفة الشرقيين الذين كانوا قد تمسكوا بآرائه الفائلة ثم نفضوا أيديهم منه ورضوا بحرمه وعادوا الى الكنيسة ،مع أن مدة غير يسيرة كانت قد خلت وهم ينافحون عن مذهبه ، كما أن عددا آخر من الاساقفة كانوا قد رقدوا وهم ملوثون ببدعته • ذلك أن مصلحة الوحدة الشاملة كانت تأبى ذلك •

---

(٤) رسالته الى رهبان دير مار باسوس ، بروكس مج ١ ص ٣٠٥ •

كيف لا وأن الكنيسة تعالج الامور بحسب الظروف[5] ·

واستطرد : « أما مار طيمثاوس الثاني رئيس أساقفة الاسكندرية (٤٧٧ +) ، المناضل عن الحق والسعيد الذكر والمحبوب كثيرا ، الذي جالد في معترك آلام المنفى المرهقة مرات عديدة ، فانه بواسطة منشور فقط اتحد مع بولس أسقف افسس ، ومار بطرس الثاني « رئيس كرسي انطاكية هذه المدينة العظمى ومُحبة المسيح » ، وانسطاس أسقف أورشليم وجميع الاساقفة الذين وقّعوه ، دون أن يطالب باقصاء الاسماء التي تحت الجدل ، والتي كانت تُذكر آنذاك في ذبتيخا الكنيسة[6] · بل انه رغم وجود هذه الاسماء اشترك في الاسرار مع المتساوين معه في الرأي والايمان · اذ كانت غايته القصوى استئصال شأفة البدعة وشجبها ، وتطهير المعتقد الارثوذكسي من شينها · وأسف مار سويريوس بعد هذا أن يكون المتشدقون ضده بكلمات نابئة ملؤها الصلف والكبرياء ، حفدة للقديس طيمثاوس المومأ اليه قائلا بكل اعتزاز انهم ليعجزون عن أن يأتوه لدعم رأيهم ولو ببرهان بسيط من الملافنة والآباء القديسين رعاة الكنائس[7] · وقد فنّد قديسنا مزاعم القائلين بعدم طهر القربان ، لاحتواء الذبتيخا على هذه الاسماء قائلا : ان ذلك لا يشين طهر قربان الآباء القديسين الارثوذكسي · فأوسابيوس بمفيليوس (القيسرى) مثلا الذي نافح عن بدعة اريوس قولا وفعلا ، كانت كنيسة

---

(٥) رسالتاه الى موسينوس أسقف ميلؤ ايسورية ، وأوربانوس النحوي ، بروكس مج ١ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ و ٣١٢ ·

(٦) رسالتاه الى تأوفنس المنطقي ، وأوربانوس النحوي ، بروكس مج ١ ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ و ٣١١ ـ ٣١٢ ·

(٧) رسالته الآنفة الذكر الى أوربانوس النحوي ·

قيسرية (فلسطين) تذكر اسمه في الذبتيخا . حتى أقنعها برفعه القديس كيرلس الاسكندري ، عند مروره بها وهو في طريقه الى افسس . فهل شان اسم أوسابيوس قربان كنيسة قيسرية الارثوذكسية ، لوجوده هناك في الذبتيخا طيلة تلك المدة ؟ والأنكى أن القديس كيرلس نفسه كتب بعدئذ الى القديس برقلس أسقف القسطنطينية ليشفق على اسم ثأودوروس المصيصي معلم نسطور ، لئلا يفسح المجال للعابثين بأمور الكنيسة[٨] . ذلك أن الشرقيين كانوا متمسكين بذكر الرجل . في حين أن مار كيرلس بالذات كان قد عنّفه وديودوروس الطرسوسي في احدى رسائله قائلا : « لقد غلبتما فم الوثنيين المغفور ، وبرهنتما على أن نفاق كبرياء اليهود ليس بشيء بالنسبة اليكما »[٩] . فهل ترى مسّت النجاسة بذلك ، قربان الارثوذكسيين ؟ واستطرد : « ان كنا نأبه لهذه الامور فلن نرى نقاء في وقت من الاوقات »[٣] .

وقارن مار سويريوس ما بين هذه الاسماء المدّونة في ذبتيخا بعض الكنائس وبين ما ورد في سفر اللاويين عن النجاسة التي تصيب شيئا اذا مسّته جثة ميت (١١ : ٢٤ _ ٢٦) وقال : « اذا انفصل أحد عن كثيرين ، سواء لأنهم موبوؤون بالبدعة أم لاشتراكهم مع الموبوئين ، فليحفظ شريعة الميت بكل قواه . وكذلك اذا وُجد البعض وحدهم في كنيسة ما أو في مدينة أو في دير وذكرت هذه الاسماء ربما يتنجسون في ذكرها ، كشيء مائت يسقط في ماء قليل في إناء ، ولكن اذا كان المعتقد القويم سائداً في جميع الكنائس والبلاد والابرشيات برمتها ، شبه الينابيع النقية والآبار والغدران ، فلا يستطيع

(٨) رسالته الآنفة الذكر الى سوطوريخوس اسقف قيسرية قبادوقية .

(٩) رسالته المذكورة الى ابوقراطيس المنطقي الاسكندري .

المائت الذي ينجّس أن يشينها اذا اتفق وسقط فيها . لكنه يختفي بفيض السيول الكثيرة الهائلة وبكثرة النقاء . وعلى هذا المنوال ، فان وجود هذه الاسماء لا يشين جسم الكنيسة الجميل » . وقد كتب بهذا الى مار ديوسقوروس الثاني الاسكندري (٥١٦ ـ ٥١٨) يستأنس برأيه[٣] .

الفصل الثلاثون

قبوله القبادوقيين في شركة الكنيسة

في سنة ٥١٦ انضوت الى لواء الكنيسة الانطاكية ، كنائس قبادوقية وأرمينية مع أربعة من أساقفتها ، هم الوسيوس وبروكلس وسوطوريخوس واسطاريوس . وبعد أن بحث مار سويريوس أمرهم ، قبل في شركته أولا الاثنين الاولين وسماهما زميلين ، اذ حرما مع كثيرين مجمع خلقيدون ، في جملة رسائل . أما سوطوريخوس أسقف قيسرية قبادوقية فتمهل مار سويريوس في ضمه الى شركته وفي تسميته زميلا ، ولئن راسله . وأما أخوه اسطاريوس أسقف نوسه ، فأظهر لمار سويريوس استعداده التام لاعتزال أبرشيته .

ولم يتخذ مار سويريوس ، أي إجراء في أمر القبادوقيين قبل استشارة مار ديوسقوروس الثاني الاسكندري ، حرصا منه على وحدة الرأي في الكنيسة . فكتب اليه يطلب موافقته في هذا الامر ، وسماه « القديس ديوسقوروس أسقف الاسكندرية زميلنا ومساوٍ لنا في الرأي[١] . فعقد ديوسقوروس

---

(١) رسالته الآنفة الذكر الى ابوقراطيس الاسكندري .

بدوره مجمعا في الاسكندرية ، بحث فيه هذه القضية وغيرها ، ومن ضمنها « هنوطيقون » زينون . وبعد ارفضاضه بعث الى مار سويريوس ببعض اقتراحات حول هذا الموضوع . أما في ما يخص الهنوطيقون ، فقرر المجمع انه ولئن وُجد حقاً لنقض المجمع الخلقيدوني ، الا انه ليس كافيا لان يُقبل بموجبه المرتدّون الى الكنيسة . فكتب اليه مار سويريوس ، انه لاعتبارات كثيرة لايستطيع الأخذ باقتراحاته ، ولكنه يسلّم بقرار المجمع بصدد الهنوطيقون ، وسيفرض على المرتدّين ، مهما اقتضى الامر التساهل لكسب المنشق ، أن يحرموا ما تم في خلقيدون ضد الايمان القويم وضد الذين ذادوا عنه ، وأن يحرموا طومس لاون « الذي كان رئيسا لكنيسة الرومانيين » والقائلين بالطبيعتين للواحد ربنا والهنا يسوع المسيح من بعد الاتحاد الالهي الفائق وصفه[٢] .

كان في الاسكندرية منطقي صديق لمار سويريوس اسمه أبوقراطيس ، كان مار سويريوس يراسله ويستشيره في الكبيرة والصغيرة . فلما كتب اليه عن رغبة أهل قبادوقية وأرمينية في الانضواء الى الكنيسة ، أجابه أن يُهمل أهل هذا « المكان البلقع » . فعجب مار سويريوس من هذا الجواب وكتب يعاتبه على تسميته كلا من قبادوقية وأرمينية ، مكانا بلقعا . ومما قاله لأبوقراطيس : « انه لم يقل الحق أسوة بأهل بلده . اذ من عادة الإسكندريين أن يحسبوا آن الشمس تشرق عليهم وحدهم . بل عندهم وحدهم ينير المصباح ، حتى ليجرأوا الى تسمية البلاد الاخرى « عديمة المصابيح » . وقال : فاذا كانت المسألة مسألة قلة أو كثرة ، فإن أهل

---

(٢) رسالته الى ديوسقوروس الثاني الاسكندري ، بروكس مج ١ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .

قبادوقية لا يقلّون عن سكان عاصمة الاسكندريين • وهب انهم قلة وضعفاء ، أفلا يتوجب على الأقوياء أن يحملوا ضعف الضعفاء ؟(٣) •

ويبدو أن مار سويريوس كان قد صارحه أكثر من مرة بموقفه من الهنوطيقون ، تماما كما كتب الى البطريرك ديوسقوروس الثاني الآنف الذكر بهذا الصدد • لذلك يقول : ان لا شيء بامكانه اقناعه بتفسير الهنوطيقون مثلما تُفسَّر الأحلام ، بانه كافٍ لنقض الامور غير الشرعية التي تمت في المجمع الخلقيدوني • وأكد له انه لن يعتبر زميلا من يقبل مجمع خلقيدون ولا يحرم طومس لاون ، ولن يؤهّله لسلامه • فاذا اقتضى التساهل ، فسيقف ضمن حدود القديس طيمثاوس (الثاني) الاسكندري ، واضعا نصب عينيه الخير العام ، ألا وهو اتحاد كنائس الله المقدسة ، فارضا حرما صريحا على ما جرى في خلقيدون ضد الايمان القويم ، وعلى طومس لاون والقائلين بالطبيعتين بعد الاتحاد وبتمييز أفعالهما وخواصهما •

واذ كان قد انتهى الى مار سويريوس إن الاسكندريين قد أساؤوا فهم تصرّفه الكنسي مع المرتدّين ، لذلك سأل أبوقراطيس أن يبرز لهم ان أمكن رسائله اليهم مؤكدا انه كان ولايزال وسيطا بين كنيستي الاسكندرية وانطاكية المقدستين ، قابضا بيمين كل منهما • وسيبقى متمسكا بدون ارتياب بالعقائد التي اتفقتا عليها ، ولئن آدى به الامر الى آن ينتقل الى أقصى المعمور(٣) •

---

(٣) راجع رسالتيه الى أبوقراطيس الاسكندري ، بروكس مج١ ص ٣١٧ ـ ٣٢٣ •

الفصل الحادي والثلاثون

رسالته الى مار أنطونين أسقف حلب

رُسم مار أنطونين أسقفا لحلب ، خلفا لمار بطرس الذي اشترك في رسامةالبطريرك مار سويريوس الكبير سنة ٥١٢ · وكان تقيا متمسكا بأهداب الفضيلة والايمان القويم ، فسماه مار يعقوب السروجي « الطاهر والقديس العظيم والمحب الله والصفي » · وقد وقعنا على رسالتين تفسيريتين ، أنفذهما اليه كل من مار سويريوس الكبير ومار يعقوب السروجي · ومنهما يتجلى لنا تلهفه الى معرفة دقائق أسرار الايمان الحق·

ويبدو من رسالة مار سويريوس ، أن شخصا يدعى مارا ، زعم أن العذراء مريم والـدة الاله ، لم تشعر بالولادة حين وضعت المسيح ، وأخذ ينشر زعمه هذا بين المؤمنين · فنما نُمي خبره الى مار سويريوس ، كتب الى مار أنطونين المشار اليه[١] ، يفند ذلك الزعم الباطل قائلا : انه يقاوم الروح القدس والاسفار التي نطق بها · واستشهد باشعيا النبي « ذي الصوت الجهوري بين الانبياء » الذي بيّن كأن شيئا خرج من رباط البتولية وُولد دون أن يثلمها . وذلك بنوع يعلو عن الوصف· فقد قال : قبـل أن تتمخض ولدت ، قبل أن يأخذها الطلْق أفلتت[٢] فوضعت ذكرا » (٦٦ : ٧) · فقال مار سويريوس : أن قولـه « افلتت » ، يعني أن الولادة تمت باحساس التي

---

(١) مجموعة بروكس مج ١ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢ ·

(٢) بحسب الترجمة السريانية البسيطة ·

ولدت ، لا خياليا • وأيد تفسيره هذا بقول القديس غريغوريوس اللاهوتي القائل : « ولكنها صرخت من ألم الرباطات البتولية أي الوالدية ، بصوت عظيم ، حين وُلد الذكر من النبية كما يبشر أشعيا » • واستطرد : كيف لم تشعر بالولادة تلك التي صرخت من الألم ولم يُثلم رباط البتولية ؟ وقال : ان الذي شاء أن يأتي الينا حقيقة بكل ما هو لنا ، وأن يتشبه بنا نحن اخوته ما عدا الخطيئة ، كان لابد له أن يولد ميلادا ظاهرا حقيقيا جسديا ، يجعل التي تلد أن تشعر شعورا خاليا من كل وجع وألم كقول النبي « انها ولدت قبل أن يأخذها الطلْق » • لانه لم يكن معقولا أن تختبر المشقات والألم ، مَن أبطلت القول « بالالم يولد البنون » (تك ٣ : ١٦) ، لانها ولدت فرحا للجنس البشري كله كقول الملاك « هانذا أبشركم بفرح عظيم » (لو ٢ : ١٠) •

الفصل الثاني والثلاثون

تأبينه كاتبه بطرس

رأينا في سيرة مار سويريوس [١] ، انه في عهد رهبنته ، كان كاتبه وتلميذه بطرس يقضي حاجات الذين يؤمّون ديره في فلسطين • وبعد تنصيب سويريوس بطريركا ببضع سنوات ، توفي بطرس فأبنه مار سويريوس بمعنيثين [٢] • ففي الاول الذي استهله بالآية القائلة : « فانه لا يبرّ أمامك أحد من الاحياء » (مز ١٤٣ : ٢) ، ناجى ربه قائلا : « ان الصلاح

---

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٩٤ •

(٢) هما ال ٣٤٠ و ٣٤١ من طبعة بروكس •

الذي يعمله الانسان مهمـا كان عظيما فهو لا شيء أمامه ، ولكنه تعالى يبرر برحمته جميع الذين حفظوا وصاياه ، هذه الوصايا التي اذ أحبها عبده (بطرس) حمل صليبه وارتاض بسيرة الرهبنة ولهج بناموسه المقدس ، مزدريا الجسد والجنس والوطن ، عائشـا له لا لنفسه » • ثم تضرّع اليـه ليكافئه بالراحة والرحمة الواسعة مع الصدّيقين •

وفي الثاني الذي استهله بالآية القائلة : « أنر عيني لئلا أنام نومة الموت » (مز ١٣ : ٤) ، ناجاه تعالى قائلا : انـه نقل عظام يوسف الصدّيق العفيف من مصر الى آرض الميعاد التي كان عتيدا أن يكمّل فيها سر القيامة من بين الاموات ، مانحا البشر رجاء وطيـدا وأكيدا للميلاد الثاني • لذلك يضرع اليه أن يجعل تذكارا لعبده (بطرس) الذي على هذا الرجاء ، حمل بانبساط نير الرهبانية منذ طفولته ، ويريحه مع القديسين الذين تصببوا عرقا من أعمال النسك المتلاحقة •

الفصل الثالث والثلاثون

مار مارون وديره

لقد نقل العلامة المطران يوسف الدبس الماروني في كتابه تاريخ سورية ، خبر مار مارون عن الفصل السادس عشر من كتاب النساك لثاودوريطس القورشي[١] ، وخلاصته : انـه تسلق قمة جبل في منطقة قورش ، ونصب لنفسه مظلة صغيرة ، قلّ ما أوى اليها ، فغرست يداه أغراسا كثيرة مونعة فيها ثمار

---

(١) طبعة مين مج ٨٢ من مكتبة الآباء الشرقيين •

الحكمة • ولما توفي نشب خلاف شديد بين مجاوريه على جثمانه ، فتمكن أهـل البلد الاقرب اليه . وكانوا أكثر عـددا من أن يهزّموا الباقين ويختطفوه ويدفنـوه في بلدهم حيث أنشأوا فوقه هيكلا عظيما[٢] • وأضاف السيد الدبس ، أن معبده وديره كانا على شاطىء العاصي بين حماة وحمص . كما حقق السمعاني ، أي بالرستن[٣] •

وصرّح السـيد الدبس بأن ثاودوريطس لم يذكر سنة وفاة مار مارون ، ولم يعثر هو أيضا على ما يعيّنها • غير انه أثبت لذلك تاريخين هما سنة ٤١٠ على رأي البعض و ٤٣٣ على رأي المعجم التاريخي الجغرافي لبويليا • وقد علّق على الاخير قائلا : « حبذا لو كان مؤلف هذا المعجم أو مصمموه أنبأونا عمن من القدماء أخذوا رواية تاريخهم[٤] ، الامر الذي يدل على أن هؤلاء الرواة لم يستندوا في ما أثبتوه الى مصدر قديم موثوق به • فاذا تبينا هذين التاريخين ، تكونت لدينا فكرة حول عقيدة هذا الناسك • فان صح الاول ،فيكون مار مارون قد توفي يوم كانت عقيدة واحدة سائدة في المسيحية جمعاء ، أي قبل انشقاق الكنيسة وانقسامها الى طوائف • من هنا لم يكن لطائفة دون أخرى • وان صح الثاني ، فلا يُستبعد أن يكون مار مارون نسطوريا يقول بقول ثأودوريطس الذي كان هو الآخر نسطوريا[٥] « معاصرا بل مجاورا بل عشيرا له » كقول السيد الدبس[٦] • ومن هنا لم يكن أرثوذكسيا ، كاثوليكيا ،

---

(٢) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٤١٨ ـ ٤١٩ •
(٣) فيه صفحة ٤٢١ ـ ٤٢٢ •
(٤) فيه ص ٤٢٠ •
(٥) فيه ٣٢٣ ـ ٣٢٤ •
(٦) فيه ص ٤١٧ •

بل هرطوقيا ! ومما يدل على اضطراب هذه الروايات الاعتباطية لدى الموارنة ، قول الدكتور يوسف مزهر في كتابه « تاريخ لبنان العام » ان الذهبي الفم كتب رسالة في منفاه سنة ٤١٤ الى مارون الكاهن الراهب ، وان كليهما كانا يخضعان لاوامر المجمع الرابع المدعو بالمجمع الخلقيدوني ، فدافعا عنها وحاربا البدع ... »[٧] . مع العلم أن الذهبي الفم توفي سنة ٤٠٧ أي قبل تاريخ الرسالة المزعومة بسبع سنوات ، وقبل المجمع الخلقيدوني الملتئم سنة ٤٥١ بأربع وأربعين سنة !!!

أما قول السيد الدبس أن معبد مار مارون وديره كانا على شاطىء العاصي بين حماة وحمص أي بالرستن ، فلا يتفق ورواية ثأودوريطس التي تؤكد « أن معبده ومقره كانا في جبل قورش ، وان آهل البلد الاقرب اليه اختطفوا جثمانه ودفنوه عندهم » ، أي في منطقة قورش بالذات . وقورش أو القورسية والقورشية كما لا يخفى ، منطقة في سوريا الشمالية[٨] ، غربي حلب أي في سوريا الاولى كما كانت تُعرف يوم ذاك . أما الرستن ففي سوريا الثانية . على انه قد يجوز أن يكون في الرستن دير باسم ناسك سرياني آخر اسمه مارون ، اذ ُوجد في القرنين الخامس والسادس أكثر من مارون واحد بين النساك السوريين ، ومنهم مار مارون الذي راسله مار سويريوس الانطاكي[٩] ، ومار مارون الذي راسله مار يعقوب السروجي[١٠] ، ومارون القارىء العين زربي الذي راسله مار فيلوكسينوس المنبجي[١١] ، ومار مارون الناسك العجائبي في

(٧) مج ١ ص ١٥٨ .

(٨) تاريخ سوريه للدبس مج ٤ ص ٣٢٢ .

(٩) رسائله طبعة بروكس مج ١ ص ١٩٦ ــ ٢٠٠ .

(١٠) رسائله طبعة اولندر ص ١٦٨ .

(١١) اللؤلؤ المنثور ص٢٣١ نقلا عن مخطوط لندن رقم١٤٧٢٦ والاحاجي للمؤلف ص٧٩ــ٩٤ .

ولاية آمد الذي أحيى طفلا كان قد فارق الحياة هو مار يوحنا الافسسي الشهير الذي كتب سيرته[١٢] ، ومار مارون رئيس دير المشارقة في جبل الرها الذي نفاه الملك البيزنطي يوسطينوس الاول (٥١٨ـ٥٢٧) الغاشم مع مئات من رؤساء الأديار السريانية[١٣]، ومار مارون رئيس دير الشجرة في داريا الذي أمضى رسالة الايمان الارثوذكسي مع ١٣٥ رئيس دير في جنوبي الشام (سوريا الجنوبية) نحو سنة ٥٧٠[١٤] .

الفصل الرابع والثلاثون

مار سويريوس ورهبان مار مارون

لقد طوى السيد المطران الدبس مجلده الرابع ، على بضع صفحات في أخبار مار مارون وديره ورهبانه ، زاعما أن الموارنة ليسوا الا جماعة من السريان السوريين ، دانوا بالدين المسيحي مذ كان في مهده ، واستمروا متشبثين بعرى الدين الكاثوليكي (كذا) لدى ثوران عواصف البدع في سورية بارشاد القديس مارون ورهبانه الافاضل (كذا)[١] . ولم يتورع سيادته من اتهام قديسنا مار سويريوس الكبير ومار بطرس مطران أفامية المعترف ، بالفتك بثلاثمئة وخمسين راهبا منهم !!![٢] ، وذلك نسجا على منوال أسلافه منذ النصف

(١٢) كتابه سير النساك الشرقيين مج ١ ص ٥٦ .
(١٣) تاريخ زكريا الفصيح مج٢ ص ٨١ .
(١٤) الاسناد السريانية ص ٢٢٠ نقلا عن مخطوط سرياني في لندن وهو من القرن السابع .
(١) تاريخ سورية مج ٤ ص ٤١٧ .
(٢) فيه ص ٥٣٥ ـ ٥٣٨ .

الثاني من القرن السابع عشر . واذ كان الكثيرون يتناقلون أخبار هذه المجزرة الرهيبة دون أن يرجعوا الى روية وتمحيص[٢] رأينا أن نستفيض في هذا الموضوع خدمة للحقيقة التاريخية ليس الا .

ان هذه التهمة النكراء ، باطلة ، تنقضها الامور التالية :

أولا : لم يذكرها ولا واحد من المؤرخين المعاصرين لها ، حتى خصوم القديس سويريوس وما أكثرهم . فلو كانت ثابتة اذن لما سكت عنها هؤلاء ولا سيما كتّاب الموارنة القدماء .

ثانياً : لقد خلّف علماء السريان في التاريخين الكنسي والمدني سلسلة كثيرة الحلقات من المجلدات الضخمة ، كانت وما زالت منهلا عذبا للشرقيين والمستشرقين الذين أحلّوها مكان الصدارة وأحاطوها بعناية كبرى ، نشرا ، ونقلا الى معظم اللغات الحية ، لِما حوته بين دفتيها من أحداث واحداث ، لولاها لظلت طي النسيان حتى تقوم الساعة . وهذه كلها مع تبسّطها في أمور كثيرة فهي صفر من هذه الاخبار ، بل من ذكر رهبان دير مار مارون قبل النصف الاول من القرن السابع . لذلك عكف بعض المتأخرين من الموارنة ومن الذين يعطفون عليهم ، على التنقيب في بطون التواريخ عن الحقب التي سبقت هذا القرن ، علّهم يجدون من أخبارهم ما يُروي الغليل ، ولكنهم جميعا في ليل بهيم يحتطبون .

ثالثاً : لم يكن هنالك أي داع لمثل هذه المجزرة الهائلة . ذلك أن رهبان دير مار مارون على افتراض وجودهم آنذاك ،

---

(٢) تاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ .

لم يكونوا على غير مذهب القديس سويريوس ٠ وهب انهم كانوا واياه على طرَفي نقيض ، فماذا كان محلّهم من الاعراب بالنسبة الى الستمئة الف راهب على مذهب سويريوس ، يقطنون عصرئذ بضع مئات من الأديار السريانية في ولاية الكرسي الانطاكي المترامية الاطراف[1] ؟

رابعاً : لو صحت هذه التهمة ، ترُى متى عاد رهبان هذا الدير وانضووا مرة أخرى الى لواء الكنيسة السريانية الانطاكية الارثوذكسية ؟ أحين كان خصومها يُصلونها ناراً حامية ويضطهدونها بضراوة لا هوادة فيها سحابة ذلك القرن؟ بل كيف يعودون الى حظيرتها وقد سامتهم هي الاخرى اضطهاداً عنيفا فيما زعموا ؟ ذلك ان انفصالهم الثابت عن هذه الكنيسة انما تم في العقد الثالث من القرن السابع اثر الاضطهاد العنيف الذي أثاره عليها القيصر هرقل البيزنطي[2] ٠

خامساً : لو كان مار سويريوس يملك سلطة مدنية لاضطهاد من شاء من خصوم مذهبه ، لاضطهد بالأولى مناوئَيه أسقفي شيزر والرستن[3] ، المجاورَين لهؤلاء الرهبان ، واللذين كانا من أبرشية مار بطرس مطران أفامية الارثوذكسي الآنف الذكر ٠

سادساً : يدّعي الموارنة أن القيصر انسطاس (٤٩١ـ٥١٨) دمَّر دير مار مارون على العاصي ، فجدده القيصر يوسطينيان الاول (٥٢٧ـ٥٦٥) فان صح ادعاؤهم هذا لماذا ترى أهمله رهبانه الكثر في ما زعموا ، خرابا يبابا ، طيلة عهد الملك

---

(١) الكنيسة السريانية الارثوذكسية للمؤلف ص ١١ ـ ١٢ ٠

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤١٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ٢٧٣ ٠

(٣) رسالته الى رهبان الشرق في الاسناد السريانية ص ٢٦٠ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكيه ج ٢ ص ٣٠٣ ٠

يوسطينوس الاول الخلقيدوني « الصالح » كما يسمّيه المطران الدبس[٤] ؟ هذا مع العلم أن تاريخ الموارنة للبطريرك الدويهي نفسه يذكر ص ٨٠ ـ ٨٢ مجزرة رهيبة أخرى جرت في هذا الدير سنة ٦٩٤ قام بها القائدان الروميان موريق وموريقيان بأمر القيصر يوسطينيان الثاني (٦٨٥ ـ ٦٩٥) ، أودت بحياة رهبانه على بكرة أبيهم وقد بلغ عددهم الخمسمئة ، فأمسى الدير بعدها قاعا صفصفا[٥] (كذا) . ما أجمل المصادفات . ان يوسطينيان الاول يجدد الدير ويوسطينيان الثاني يهدمه !!!

الفصل الخامس والثلاثون

مصادر التهمة النكراء

لقد استند السيد الدبس في تهمته النكراء الى رسالتين مترجمتين عن الفرنسية ، قيل انهما تبودلتا ما بين رهبان دير مار مارون في الرستن وبين هرمزدا الروماني (٥١٤ ـ ٥٢٣) ، كما أثبتهما لاباي (القرن السابع عشر) في المجلد الرابع من مجموعة المجامع ، ونقلهما عنه روهربخر (ك٤٣) (القرن الثامن عشر) ورواهما البطريرك اسطفانس الدويهي (القرن السابع عشر) في تاريخ الموارنة ص٤١ ، خلاصتهما: ان الرهبان شكوا لهرمزدا ظلامتهم لينجيهم مما يحف بهم من المخاطر من جراء المضطهدين الذين كمنوا لهم وهم في طريقهم

---

(٤) تاريخ سورية مج ٤ ص ٤٦٥ .

(٥) خطط الشام لمحمد كرد علي ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ و ج ٦ ص ٣٦ وكتاب الروم للدكتور اسد رستم ص٢٦٥ .

الى دير القديس سمعان (العمودي) . وقتلوا منهم ٣٥٠ راهبا وأثخنوا الكثيرين بالجراح وأحرقوا أديارهم ونهبوا ما بقي لهم (كذا) . ومن هؤلاء المضطهدين ساويرس وبطرس . وقالوا انهم شكوا أمرهم في القسطنطينية الى الملك الذي لم يتنازل الى سماعه ، فعلموا انه هو علة كل هذه الشؤون والآمر بها (كذا) . فأجاب هرمزدا في ١٠ شباط سنة ٥١٨ يشجعهم على الثبات في الايمان ورعاية أوامر المجمع الخلقيدوني ورسائل لاون البابا (كذا)[١] .

لا ندري كيف يستنتجون من هاتين الرسالتين انهما تبودلتا ما بين رهبان دير مار مارون في الرستن وهرمزدا الروماني ، مع العلم أن الاولى رفعها في ما زعموا « أحقر رؤساء الاديار في سورية الثانية وغيرهم من رهبانها »[٢] ، وسورية الثانية يومئذ تزخر بعشرات الاديار السريانية كما أثبت السيد الدبس نفسه[٣] . أما الثانية فتضمنت جوابا شاملا لجميع من في الشرق[٤] . بيد أن العلامة المطران الدبس كشف لنا النقاب عن سرّ مكتوم هو أن البطريرك اسطفانس الدويهي انفرد بتذييل الرسالة الاولى بتواقيع مئتي وعشرة رؤساء أديار وقسوس وشمامسة ، يتقدمهم اسكندر رئيس دير القديس مارون (كذا)[٥] . ترى أين وجدت هذه التواقيع ولِمَ لم يثبتها لاباي وروهر بخر ؟ بل كيف يعقل أن يذيّل رؤساء أديار بتواقيعهم رسالة لها هذه الاهمية دون ذكر أسماء الاديار التي يرئسونها أو ينتمون اليها ، اللهم

---

(١) تاريخ سورية مج ٤ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٨ .
(٢) فيه ص ٥٣٥ .
(٣) فيه ص ٤٨٢ .
(٤) فيه ص ٥٣٨ .
(٥) فيه ص ٥٣٧

الا رئيس دير مار مارون ؟ ألم يُثبت البطريرك الدويهي نفسه في ص ٤٥ من تاريخ الموارنة رسالة أخرى زاعما أن اكليروس انطاكية وصور أنفذوها الى يوحنا البطريرك القسطنطيني ومجمعه ؟ ألم يُثبت فيها موقّعوها أسماء أديرتهم الى جانب أسمائهم[١] ؟ أجل ، ان هذا ما يقضي به النظام والعرف المألوف ، كما فعل مثلا رؤساء ١٣٥ ديرا في سورية الجنوبية (في جنوبي الشام) عند توقيعهم رسالة الايمان الارثوذكسي التي وجّهوها الى القديس مار يعقوب البرادعي وغيره من الاساقفة الارثوذكسيين نحو سنة ٥٧٠[٢] ٠

ومما يدل على أن هاتين الرسالتين زوّرتا بعد هرمزدا بمدة بعيدة ، هو غفل الاولى من تاريخ ، وتاريخ الثانية ١٠ شباط سنة ٥١٨ ميلادية ، في حين أن التاريخ الميلادي المتداول اليوم في العالم المسيحي ، لم يكن دارجا آنذاك ، بل ان الذي استنبطه واستعمله أولا هو الراهب ديونيسيوس الصغير السكيثي سنة ٥٣١ م[٣] ٠ واذا قيل أن التاريخ الميلادي وُضع عند نشر الرسالتين ، قلنا : فماذا كان التاريخ أصلا ؟ وبأية لغة كتبتا ؟ وأين حفظ أصلهما في الماضي ، وأين هو في الحاضر ؟ على أن الحقائق التاريخية الثابتة التي لا تحتمل جدلا ولا تقبل تبديلا ، برهنت على أن هاتين الرسالتين هما من قبيل الرسائل الابوكريفا الكثيرة التي أثبتها لاباي في مجموعته المذكورة نقلا عن المجموعة الايزيدورية المعروفة ، والتي قصد من « فبركتها » إثبات رئاسة الكرسي الاسقفي

---

(١) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٥٣٩ ٠
(٢) الاسناد السريانية ص ٢٠٩ ـ ٢٢٤ ٠
(٣) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف الجزء الاول ص ٣٥ ٠

الروماني على الكراسي الرسولية في الشرق[٤] • وسنقدم في الفصل التالي أهم الادلة القاطعة التي تؤكد هـذا التزوير الفاضح •

الفصل السادس والثلاثون

بطلان التهمة النكراء

أ ــ بطريرك المسكونة كلها •

لقد استُهلّت الرسالة الأولى بهذه الديباجة « الى بطريرك المسكونة كلهـا الحبر هرمزدا » • والمعروف من التاريـخ الكنسي ان هذا اللقب لم يكن دارجا يومذاك عند الخلقيدونيين• وأول من لُقّب به منهم هو يوحنا الصوام بطريرك القسطنطينية (٥٩٥ +) ، أطلقه عليه مجمع أساقفة اليونانيين سنة ٥٨٧ فاحتج ضده بيلاجيوس الثاني الروماني (٥٧٩ ـ ٥٩٠) وخلفه غريغوريوس الاول (٥٩٠ ـ ٦٠٤) • فقال الاول في رسالته الى آبــاء المجمع المذكور : « ما من بطرك استعمل في وقت من الاوقات هذا اللقب العظيم الشناعة • فانه اذا كان أول البطاركة يسمى مسكونيا ، فاسـم البطاركة يكون في الباقين لاغيا ••• ان هذا لا يليق الا بالرأس الواحد وحده أعني بالمسيح ••• فانه اذا سُمح له أن يتمادى في الضلال يُفسد شرف بقية البطاركة » •

---

(٤) هي أوامر بابَوية قام بنشرها في الغـرب ايزيدورس مركاتور Isidore Mercator راجع كتاب le Constitution Devine de L'Eglise لكيرلس مقار بطريرك القبط الكاثوليك طبعة ثالثة سنة ١٩٢٢ ص ٢٠٣ أو ترجمته العربية باسم « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » ج ٣ ص ٣٧ •

وقال الثاني في رسالته الى يوحنا نفسه : « ماذا تقول للمسيح رأس الكنيسة العام أنت الذي بلقب « المسكوني » تجتهد أن تُخضع لنفسك جميع أعضائه ؟ بمن تقتدي بهذه التسمية المفسودة كل فساد الا بالذي احتقر سائر أجواق الملائكة المرتبطة معه (أي الشيطان) » ؟ وقال في رسالته الى البطاركة الآخرين : « لا تلقّبوا أحدا بلقب رئيس كهنة مسكوني ··· فان سمحنا له (ليوحنا الصوام) باستعمال هذا اللقب فحينئذ جميع الاساقفة يفقدون وظيفتهم · وان سقط الداعي نفسه « بطريركا مسكونيا » في ضلال ، فلا يوجد عند ذلك أسقف باقيا على الحق » · وقال في رسالته الى القيصر موريق : « انك تذمني وتقول انه لا يجب أن يقوم بيننا خصام على لقب فارغ ··· فعندما يأتي « ضد المسيح » ويسمي نفسه الها يكون ذلك أمرا فارغا ولكن مُضرّا ومبيدا · اذا فحصنا اشتقاق الكلمة نجدها مركّبة من قسمين فقط ولكن معناها يطوي لجة كفر وهلاكا عموميا · فأنا أقول بكل حرية ان من يسمي نفسه « مسكونيا » يكون بترفّعه قد سبق « ضد المسيح » لانه يرفع نفسه فوق الآخرين رفعة متشامخ ، ويسعى الى الضلال متشامخا مثله · فكما ان ذاك (الدجال) يريد أن يظهر أمام البشر إلها هكذا هذا أي من كان برغبته في أن يسمى « الحبر الاعظم » والممتاز بترفّع فوق سائر الاحبار »(١) · والجدير بالذكر أن نواب لاون الروماني في مجمع خلقيدون سنة ٤٥١ كانوا يهوّلون ويسمّون موفدهم « رئيس جميع الكنائس » · غير أن البابا غريغوريوس الاول المومأ اليه يستدرك ذلك في رسالته الى يوحنا الصوام قائلا :

---

(١) راجع هذه الرسائل في تاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ١ ص ٣١٥ ـ ٣٢٠ والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيدورس ج٢ ص ٤٦ ـ ٤٩ ·

« ان ذلك كان لاجل الشرف فقط ، ولكن ما من آحد أراد في وقت من الاوقات أن يسمى هكذا ، ولم يخطف آحد لنفسه اسما جسورا كل هذه الجسارة »[1] الامر الذي يدل على أن هذا البابا العلامة كان مطلعا كل الاطلاع على تقاليد ومراسلات أسلافه ، بل كان يرجع اليها كلما اقتضى الامر ٠ فلو كانت هذه الرسالة ثابتة لما أهملها ٠ فهي إذن « مفبركة » لا غير ٠

ب ـ الجالس على كرسي بطرس ٠

يسمي أصحاب هذه الرسالة هرمزدا على سبيل الاطلاق « الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل » ، فيما ان الاعتقاد السائد يومذاك ولا يزال لدى الشرقيين ، هو أن بطريركهم الانطاكي هو الجالس على كرسي بطرس[2] ٠ قال الذهبي الفم في خطبة لفظها في انطاكية : « لقد امتازت مدينتنا بحصولها منذ البدء على هامة الرسل معلما »٠ وقال آباء المجمع الانطاكي سنة ٥١٢ في رسالتهم الى يوحنا الثاني الاسكندري (فور جلوس مار سويريوس الكبير) : « لقد استعاد عرش بطرس ما اختص به من قوة »[3] ٠ وقال مار سويريوس الكبير في احدى خطبه : « ان انطاكية أولى الكنائس وأمها ، الأولى

---

(٢) ولا يزال بطريرك الموارنة يقرن اسم بطرس الى اسمه الشخصي عند تنصيبه ٠ وبهذه المناسبة نورد على سبيل الاستفهام بعض ما جاء في المنشور الذي أذاعه غبطة بولس المعوشي بطريرك الموارنة ٠ فبعد أن صدره باسمه الكريم « بولس بطرس بنعمة الله بطريرك انطاكية وسائر المشرق » قال : تبارك الله ٠٠٠ الذي جمع من الرياح الاربع ، على يد خليفة بطرس ، رأس الرسل ٠٠٠ خلفاء الرسل » (مجلة السنابل ١٩٦٣ نيسان ص ٢٢٥)٠ فهل ان الحبر الروماني وحده هو خليفة بطرس في نظر غبطته ؟ فاذا كان ذلك كذلك ، فما بال غبطته يقرن اسم بطرس الى اسمه الشخصي ؟ أجل ، واذا كان الحبر الروماني وحده خليفة بطرس . وكان جميع البطاركة والاساقفة الذين حضروا المجمع المذكور خلفاء الرسل الآخرين ، ترى خليفة أى من هؤلاء الرسل يعتبر غبطته نفسه بصفته بطريرك انطاكية وسائر المشرق ؟!!! ٠

(٣) الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك افرام الاول برصوم مج ١ ص ١٣٩ ٠

التي اتخذت لها بطرس راعيا وبعلا ومؤسسا ، وساكنته بعفة بعلا روحياً »(٤) • وقال مار يعقوب السروجي عن كنيسة انطاكية ، في رسالة أنفذها في هذا الوقت بالذات الى رهبان دير مار باسوس المجاورين لهؤلاء الرهبان المزعومين : «العروس بنت النهار التي خطبها بطرس للصليب »(٥) • بل ان هذا الاعتقاد كان سائدا لدى الغربيين أيضا • قال اينوكنتيوس الروماني (٤٠٢ ـ ٤١٧) في رسالته الى مار الكسندروس الانطاكي : « ترى من هذا القانون (السادس النيقاوي) ان كرسيك الانطاكي لم يحز هذا الامتياز الفاخر لعظم شأن انطاكية بل بالاحرى لان انطاكية كانت أول كرسي شغله بطرس هامة الرسل »(٦) • وقال البابا غريغوريوس الاول الآنف الذكر في رسالته الى بطريرك الاسكندرية الخلقيدوني : « ان الذي كلمني عن سدة بطرس هو أيضا صاحب سدة بطرس ••• ان هذه السدة هي لواحد في ثلاثة أمكنة • لان هامة الرسل نفسه رفع الكرسي الذي عليه استراح واستحق أن يتمم الحياة الوقتية (رومة) ، وهو نفسه زين الكرسي الذي أرسل اليه تلميذه الانجيلي (الاسكندرية) ، وهو أيضا ثبّت الكرسي الذي جلس عليه أولا سبع سنوات (انطاكية) • فما دام الكرسي الذي يجلس عليه الآن بعون الله ثلاثة أساقفة هو واحدا ولواحد ، فأنا أنسب الى نفسي كل أمر صالح تسمعونه عني فانسبوه أنتم أيضا الى استحقاقكم لاننا جميعا واحد »(٧) • هذا ولا تزال كنيسة رومية تعيّد في ٢٢ شباط

---

(٤) خطبه ص ٢٦١ ورسائله ص ٩٧ و ١٩٣ •

(٥) رسائله طبعة أولندر ص ٨٥ •

(٦) مجلة المشرق البيروتية ٥ ـ ١٩٠٢ ـ ٤٣ •

(٧) تاريخ الانشقاق ج١ ص ٣٢٨ والخريدة النفيسة ج٢ ص ٤٩ ـ ٥٠ • راجع أيضاً قول العلامة ايرونيمس في مشاهير الرجال ف١ ورسالة لاون الروماني الى أناطوليوس القسطنطيني سنة ٤٥١ •

بتاسيس كرسي مار بطرس الرسول في انطاكية[٨] . أما القول بانفراد أسقف رومية بالجلوس على كرسي بطرس ، فهو من مخلفات القرون الوسطى . فالرسالة اذن « مفبركة » .

ج ـ راعي الرعاة والرئيس الاعلى .

يقول أصحاب الرسالة لهرمزدا : « انهم لجأوا اليه لينجيهم مما يحف بهم من مخاطر » . ويضيفون : « لما كان المسيح الهنا قد أقامك رئيسا للرعاة ... أنت وملكك الصالح ، كان لازما أن نعلمك بالذئاب التي تفترس رعية المسيح لتقصيهم عن الحظيرة بعصا سلطانك ... فانك أبو الجميع ... فقد أولاك الله سلطان الربط والحل ... تأمل ببطرس زعيم الرسل الذي تشرف كرسيه ... أنت الراعي الحقيقي الذي سُلمت اليه الخراف » .

ما أجمل هذه الالقاب والمصطلحات لو كانت دارجة ومألوفة في الكنيسة يومذاك بالنسبة الى أسقف رومية . بيد أن الحقائق الثابتة لا تقرّها . ذلك ان أسقف رومية لم يكن له أي امتياز أو أية رئاسة على الكراسي الرسولية في الشرق ، التي كانت وكرسي رومية على قدم المساواة في كل شيء كما أكد لنا البابا الروماني غريغوريوس الاول . ان هؤلاء الرهبان الذين كانوا متمسكين بأوامر المجمع الخلقيدوني كقول المطران الدبس ، لا بد وأن يكونوا على اطلاع تام على ما كان قد خلعه هذا المجمع جزافا على البطريرك القسطنطيني من صلاحيات بيعية واسعة ، ميّزته على الروماني نفسه ، اذ رفع بقانونه الثامن والعشرين رتبته فوق الكراسي البطريركية كلها ، وأمر بقانونه التاسع أن تُرفع اليه الدعاوى ضد جميع

---

(٨) الكلندار الروماني في آخر الاشحيم السرياني طبعة رومية ١٨٥٣ .

المطارنة والاساقفة ، رغم احتجاج نواب لاون عليهما[٩] ، واعتراض لاون نفسه على تنفيذهما[١٠] في رسالتيه الى أناطوليوس القسطنطيني والقيصر مرقيان قائلا : « ان الامتيازات التي حازتها كراسي رومية والاسكندرية وانطاكية في المجمع النيقاوي ينبغي أن تبقى ثابتة غير متزعزعة لانها مرتّبة بروح الله[١١] . فهل من المعقول بعد هذا أن يلجأ رهبان سوريا الثانية الى هرمزدا ويخلعوا عليه هذه الالقاب « ليقصي مضطهديهم عن الحظيرة بعصا سلطانه » في ما زعموا ؟ فضلا عن هذا فان كل من له المام بتاريخ تلك الحقبة ، يُقر بأن عرى العلاقات ما بين الشرق والغرب كانت منفصمة منذ سنة ٤٨٤ ، وكان الفريقان يتراشقان الحروم طيلة تلك المدة[١٢] . حتى أن مقدون القسطنطيني حين اعتزم أن يكتب الى رومة قبل أن يُعزل سنة ٥١١ ، منعه القيصر انسطاس من ذلك[١٣] . فكيف يُعقل أن يلجأ رهبان سوريا الثانية الى هرمزدا وهو محروم بل لا تأثير له على المملكة البيزنطية ؟ ان ذلك الشقاق الذي استمر لاكثر من خمس وثلاثين سنة ، لم يكن طي الكتمان بل كان ظاهراً للعيان ومعروفا لدى القاصي والداني . كيف لا وقد حاول القيصر انسطاس القضاء عليه بعقد مجمع مسكوني ، فوقف هرمزدا عقبة كأداء في سبيل ذلك . فكيف

---

(٩) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٢ .

(١٠) لقد ظهر تأثير هذين القانونين سنة ٥٥٣ في المجمع القسطنطيني المسمى عندهم بالمسكوني الخامس ، اذ ترأسه أوطاخيوس القسطنطيني بالرغم من وجود ويجيليوس الروماني (٥٣٧ ـ ٥٥٥) في القسطنطينية (الوضع الآلهي لكيرلس مقار ج٢ ص ١٧١ ـ ١٧٣) فلو كان لرومية ميزة السلطة على الكنيسة المسيحية جمعاء في ما زعموا ، كيف يضع ذلك المجمع أنظمة دون رغبتها . بل كيف تنفّذ بعد اعتراض أسقفها عليها .

(١١) من هنا لم يكن لاون يعتقد بأن قوانين مجمع خلقيدون مرتّبة بروح الله !

(١٢) دائرة المعارف النيويوركية مج ٨ ص ٨١٤ .

(١٣) الروم للدكتور أسد رستم ج١ ص ١٣٨ .

يصدق ان رهبانا من الشرق وفي عهد انسطاس بالذات ، يوجّهون الى هرمزدا وفدا مؤلفا من راهبين اسموهما يوحنا وسرجيوس ، يشكون اليه القيصر انسطاس في رسالتهم المزعومة قائلين : اننا كنا قد أرسلناهما الى قسطنطينية آملين انصافنا ومنع هذا الجور عنا فلم يتنازل الملك الى سماع شكواهما بل أمر بطردهما ، فعلمنا ما كان يلزمنا أن نعلمه من ذي قبل انه هو علة كل هذه الشؤون والآمر بها »[١٤] فالرسالة اذن « مفبركة » ٠

أما جواب هرمزدا المزعوم . فلم يكن أقل حظّا في التزوير من الرسالةالموجّهة اليه ٠ فقد ورد فيه نصحه لهم « أن يرعوا أوامر المجمع الخلقيدوني ورسائل القديس لاون البابا » (كذا)[١٥] ٠ ان هذه العبارة وحدها تكفي لان تفضح تزوير الرسالتين المذكورتين ، للأمور التالية :

أ ــ أن العالم المسيحي طرّا لا يعرف للاون الروماني سوى رسالة واحدة عقدية عرفت ب « طومس لاون » ، وهي التي حامت حولها الجدالات المذهبية بين مؤيدي المجمع الخلقيدوني وبين رافضيه ، اذ جُعلت أساسا لعقيدة هذا المجمع[١٦] ٠ فلو كانت هذه الرسالة صادرة من أنفاس هرمزدا، لما شط به القلم وكتب « رسائل » لاون بدلا من رسالة ٠

ب ــ لو كان هرمزدا حقا كاتب هذه الرسالة ، لما أطلق لقب « البابا » على لاون المومأ اليه ، اذ لم تكن كنيسة روما قد أطلقته بعد على أساقفتها ، في حين انه كان قد أطلق في

---

(١٤) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٥٣٦ ٠
(١٥) فيه ص ٥٣٨ ٠
(١٦) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص ١٨٥ و ١٨٨ ٠

القرنين الثالث والرابع على أساقفة الاسكندرية وعلى كبريانس أسقف قرطاجنة وأوغسطينوس أسقف هبو وغيرهم[١٧] . وأول من أطلقه على أساقفة رومية هو أنوديوس مغنوس فيلكس أسقف باريس (٥١٧ ـ ٥٢١)[١٨] .

الفصل السابع والثلاثون

أرثوذكسية مار سمعان العمودي

يحتل القديس مار سمعان العمودي منزلة مرموقة في الكنيسة السريانية ، لا لانه كان سريانيا جنسا وأرثوذكسيا مذهبا فحسب ، بل لطريقته النسكية المدهشة التي بذّ بها أقرانه ، وسيرته التقشفية العباقة بعبير الطهر والفضيلة التي أضحت مضرب الامثال ، وآياتـه البينات التي رن صيتها في جميع الاقطار ، وهدت الى الدين المبين خلقا كثيرا من مختلف الاقوام . وقـد سبق لنا أن تحدثنا عنه في مؤلَّفنا تاريـخ الكنيسة السريانية الانطاكية (ج ٢ ص ٢١٢ ـ ٢١٤) . أما هنا فسنبرهن على أرثوذكسيته .

للقديس مار سمعان العمودي سيرتان بالسريانية ، دوّنهما كاتبان بارعان هما : تلميذه مار مرقولون[١] ، والقس قوزما كاهن قرية فانير ، انتهى منها في ٧ نيسان سنة ٤٧٢[٢] .

---

(١٧) الدرر النفيسة مج ١ ص ٣٩٨ .

(١٨) راجع كتاب
Who's who in the early church, by Rev. w,m.C, Piercy M.A, P. 36

(١) تقع في ٩٨ صفحة من القطع الوسط في مخطوطة سريانية أنجزت في القرن الـ ١٤ وهي في خزانة البطريركية .

(٢) في أخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ٤ ص ٥٠٧ ـ ٦٤٨ .

أما أرثوذكسيته ، فتتجلى في الامور التالية :

أ ــ في ما كتبه ضده وضد معلمه مار يعقوب الكفرشيمي ، اسكندر أسقف منبج واندراوس أسقف سميساط النسطوريان، الى يوحنا الانطاكي وثاودوريطس القورشي ــ والشقاق النسطوري في أوجه ــ قائلين : انهما تآلما مما كتبه شمعون ويعقوب ضد الحق (كـذا) ، فلا يجب أن يصدقاهما وإن أقاما موتى ، بل ليعتبراهما من الهراطقة (كذا)[٣] .

ب ــ في حرمه ومعلمه مار يعقوب للمجمع الخلقيدوني[٤] .

ج ــ في تخييبه أمل ثاودوريطس القورشي الذي حاول مرارا استمالته الى مذهبه النسطوري ــ الخلقيدوني[٥] .

د ــ في جوابه للملك لاون الاول (٤٥٧ ــ ٤٧٤) ، الذي أعرب فيه عن استيائه من الشقاق الذي سبّبه المجمع الخلقيدوني . فقد سماه ب « المجمع المحروم » ، وقال : ان ما تم فيه انما جرى بوقاحة وإثم ضد كلمة الحق » . وطلب الى الملك « لغوه » و « صون الايمان النيقاوي المقدس بلا لوم ولا تغيّر حتى النهاية »[٦] .

هـ ــ في شهادته « بالقداسة » لرئيس الابيلين مار برصوم الذي اشتهر بمقاومته العنيدة للمجمع الخلقيدوني . فقد ورد في سيرته بقلم تلميذه مار مرقولون ما يلي : « لنتحدث

---

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ .

(٤) فيه ص ٢٥٠ .

(٥) جاء في سيرة القديس ثاودوسيوس أسقف أورشليم (٤٥١ــ٤٥٨) للأفسسي ان حضر من مصر سراً الى سوريا وانطاكية ليصلح ذات البين بين الارثوذكسيين ، وليحذّر مار سمعان العمودي بنوع خاص من مكائد ثاودوريطس وغيره من الهراطقة ، لئلا يسلّم بكفرهم . ذلك انه كان بسيطا ساذجا غير متمرس بحقائق التعاليم البيعية .

(٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢١٨ .

عن الزيارة الثانيةالتي قام بها الىأورشليم ، الصفيوالقديس الآلهي مار برصوم رئيس الابيلين والمتوحدين في جبال الشمال، يصحبه أربعون أخا من تلاميذه . فقد تجلّى في الرؤيا لمار سمعان فقال عنه : « اليوم خرج الابيل مار برصوم لزيارة أورشليم » . ولقد اعتزم الصفي مار برصوم أن يصلّي في أورشليم في زيارة ثانية » . وكان هـذا البار مار سمعان وقتئذ واقفا على عمود ارتفاعه ستة أمتار . أما الشريف مار برصوم ففي عودته من أورشليم كان يقوّض بل يدكّ بل يحرق هياكل الوثنيين ومجامع اليهـود ، ويعمّد خلقا مـن الوثنيين واليهود . فتجلّت عنه لمار سمعان رؤيا ثانية فقال للشعب الغفير الذي كان حاضرا لديـه : « ان الرجل الذي أخبرتكم عنه قبل مدة بأنه ماض لزيارة أورشليم ، قد اجترح أمورا باهرة ، وهو الآن قادم الى هنا بالسلامة ، كيف لا وقد سمع الله صوتي أنا الخاطىء الضعيف ، فألهمه أن يراني » . ولما وصل مار برصـوم الى كورة مدينتي أفامية وحمص ، تجلّت عنه لمار سمعان رؤيا ثالثة ، فقال للجموع الحاضرة : من أراد الحصول على بركات ذلك الصدّيق الذيقلت لكم عنه أنه قادم الى ههنا ، فلينتظره ثلاثة أيام » . وبعد ثلاثة أيام وصل عبد الله . وفي صبيحة اليوم الثالث نادى مار سمعان بصوت عالٍ قائلا : من أراد التبرك من صفي الله مار برصوم الابيل ، فلينتظر حتى الساعة الثالثة التي سيدخل فيها صفي الله الى هنـا » . وفي تمام الساعة الثالثة وصل الشريف مار برصوم واستند الى صومعة مار سمعان الصدّيق . ولما تطلّع من بابها ليدخل بسط مار سمعان البار ذراعيه صوبه ورفع صوته قائلا : هلم بالسـلام يا عبد الله الحي » ، « بوركت جيئتك » ، « حمدا للمسيح الذي سمع صوتي أنا الخاطىء

وأهّلني لرؤيـة وجهك » • ثم صافحه وقبّل هامته وعينيه فرحا مسرورا مسبّحا الله • وأضافه بضعة أيـام • وبعد أن تبرّكا الواحد من الآخر ، وقبّلا بعضهما بعضا بمحبة آلهية ، عاد الأبيل مار برصوم الى ديره بالسلامة • وفي تلك السنة دخل بعض تلاميذه اهراء الدير ، فوجدوا الخمر والزيت والعدس والحمّص وما اليها من مختلف الاطعمة ، يفيض الى الخارج • ودامت هذه البركة مدة ثماني عشرة سنة • وكانوا يوزعون منها على المعوزين بسخاء • وقد تم هذا بصلوات مار سمعان ومار برصوم • فلتكن صلاتهما معنا » •

والكنيسة السريانية ، اقراراً منها بأرثوذكسية مار سمعان العمودي ، فقد تمسكت به تمسكا شديدا كما تؤيد الامـور التاليـة :

أ ــ انها ضمّت اسمه الى الذبتيخا بواسطة مار سويريوس الكبير •

ب ــ انها عيّدت له منذ عهد مار سويريوس الكبير •

ج ــ انها أشـادت بقداسته وعجائبه بواسـطة ملافنتها ومؤرخيها(٧) • فنظم مار يعقوب السروجي الملفان الشـهير

---

(٧) راجع سيرتيه المذكورتين بقلم مرقولون والقس قوزما ، وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص١٧١ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ١٤١ • ذكر المؤرخ السرياني الرهاوي المجهول بين أحداث ختام القرن السادس وبدء القرن السابع ، « انه فيما كان المؤمنون يحتفلون مرة بعيد القديس مار سمعان وفي ديره ، انقض عليهم جماعة من الاعرابيين واعملوا فيهم تقتيلا ونهبـا وسبيا ، الامر الذي ولّد الشكوك للكثيرين من المسيحيين فتساءلوا ، لماذا حلّت بنا هذه النكبة في تذكار القديس مار سمعان ؟ ولم يفقهوا ان التذكارات التي كان يقيمها المؤمنون قديما للقديسين ولا سيما للمجاهد مار سمعان ، انما كانت تتم بالتراتيل الروحية والتسابيح الآلهية وسماع الكتب المقدسة وسرد سيرة القديس • أما الآن فبالاكل والشرب والملذات الدنيوية والالعاب والرقص المجوني والفحشاء ، ما استوجب ليس غضب الله فحسب بل تألم القديس المجاهد نفسه ، وهو يرى هيكله يدنّس بمثل هذه المحرّمات، وبيت الصلاة وقد جعلوه مغارة للدعارة ، فوافق هو أيضا ارادة ربه وسمح باذلال الشعب » (مج ٢ ص ٢٦٠) •

ميمرين بديعين في وصف جهاده الحسن[٨] . ونظم مار سويريوس الكبير معنيثا (نشيدا) جليلا[٩] في اطراء مناقبه ، مستهلا اياه بآية المزمور القائلة : « هلموا واسمعوا فأخبركم » جاء فيه قوله : « ان سمو سيرة سمعان الصدّيق والبار الرفيع والعظيم ، ليذكّر المؤمنين بقول الرب : « لا تستطيع مدينة مبنية على جبل أن تختفي » . فانه حين ارتقى الى قمة الفضائل الرفيعة ، آيد هذا القول بجلاء . كيف لا وقد برهن بوقوفه على العمود ، على انه عمود الحق وقاعدته كما هو مكتوب . هذا فضلا عن اجتذابه غير المؤمنين والبرابرة الى عبادة الله ، والجالسين في ظلام الضلال الى نور المعرفة كالكوكب اللامع » . وفي ختامه يرجو من المخلّص أن يشفق عليهم بصلوات مار سمعان . وفي القرن الخامس عشر انشأ الربان يشوع السبريني (١٤٩٢+) حسايات (صلوات استغفارية) لعيده[١٠] .

د ـ انها أنشأت كنائس باسمه تيمّنا ببركته . منها كاتدرائية كبرى حول عموده منذ سنة ٤٧٦ حتى سنة ٤٩٠ بمساعدة الملك زينون الارثوذكسي[١١] . وكنيسة في الحدث بين صدد وحوّارين ، ولا تزال أطلالها باقية[١٢] .

هـ ـ انها أَولت مقامه وديره رعاية كبرى بواسطة رئيسها الهمام مار سويريوس الكبير الذي كان على اتصال تام برهبانه .

---

(٨) نشر أحدهما بيجان في أخبار الشهداء والقديسين مج ٤ ص ٦٥٠ ـ ٦٦٥ .

(٩) هو ال ١٤٧ في طبعة بروكس ص ٦٠٤ ـ ٦٠٥ .

(١٠) اللؤلؤ المنثور ص ٤٤٩ .

(١١) ست جولات في منطقة حلب بالانكليزية بقلم صبحي الصواف ص ٨ .

(١٢) المجلة البطريركية (القدس) السنة الاولى ص ١٤٨ .

ورسالته القيّمة الى رئيسه المفضال ، كبرهان ساطع على ذلك[١٣] ٠

واذا كانت الكنيسة اليونانية أيضا تقدّسه وتعيّد له ، فلأنها ورثت هي الاخرى تقليد مار سويريوس الكبير ليس الا، كما ورثت مثلا عن القديس البطريرك مار بطرس الثاني الانطاكي المعروف بالقصّار (٤٦٨ ـ ٤٨٨) تقليد تلاوة قانون الايمان النيقاوي في الكنيسة[١٤] ٠ وكم في ما خلّفه مار سويريوس من أنظمة ظلت سرعية في الكنيسة اليونانية بالذات[١٥] ٠

الفصل الثامن والثلاثون

مار سويريوس ومقام مار سمعان العمودي

من المخازي حقا ، أن يفتري بعضهم على قديسنا مار سويريوس الكبير بقولهم : « وعلم سويريوس في هذه الآونة أن عددا كبيرا من المؤمنين الارثوذكسيين (يعني الخلقيدونيين) سيقصدون مقام سمعان العمودي احتجاجا على قساوة سويريوس وهراطقته ، فأرسل سويريوس من كمن لهؤلاء

---

(١٣) الكتاب السادس من رسائل سويريوس المنتخبة طبعة بروكس مج١ ص ١٣٤ ـ ١٣٧ ٠

(١٤) دائرة المعارف النيويوركية مج ٨ ص ٨١٣ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٦٢ ٠

(١٥) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٠٠ ٠ وبعد هذا أفليس من الظلم للحقيقة التاريخية أن يقول صاحب كتاب « ست جولات في منطقة حلب » ص ٦ و ٧ أن مار سمعان توفي خلقيدونيا ؟ أليس من المهازل تضمين دليل معتبر يُنشر بمعرفة مديرية السياحة ، مثل هذه الامور الخاطئة ؟

وانقض عليهم فقتّل تقتيلا »[١]!! لماذا يقصد الخلقيدونيون مقام مار سمعان العمودي في عهد سويريوس بالذات للاحتجاج عليه ؟ ألم يكن مار سمعان منا نحن الارثوذكسيين حتى النسمة الاخيرة ؟ ألم تكن كاتدرائيته التي ضمت مقامه هي الاخرى أرثوذكسية خاضعة لسويريوس ؟ ألم يكن رهبان ديره أرثوذكسيين على مذهب سويريوس ، ويدينون بالولاء لسويريوس ؟ ألم تكن كنيسة سوريا بأجمعها أرثوذكسية خاضعة لسويريوس ، سوى أسقفي شيزر والرستن ومطران صور ومتروبوليت بُصرى الذين أعلن القديس حرمهم[٢] ؟ ألم يشهد الخصم نفسه بهذا قائلا : ان مجمعي انطاكية (سنة ٥١٣) وصور (سنة ٥١٤) أقرّاه وأيّداه في كل ما ذهب اليه وشجب المجمع الخلقيدوني وطومس لاون ؟ ألم يشترك في مجمع صور أساقفة انطاكية وأبامية ووادي الفرات والرها وما بين النهرين والعربية وفينيقية اللبنانية[٣] ؟ فهل يُعقل والحالة هذه أن يقصد مقام سمعان العمودي عدد كبير من الخلقيدونيين «احتجاجا على قساوة سويريوس وهراطقته»؟ لو كان مار سويريوس قاسيا كما وهم الخصم ، لاضطهد بالاحرى أسقفي شيزر والرستن ومطران صور ومتروبوليت بصرى المشار اليهم . ولكي تتأكد من انه لم يكن يعترف البتة بوجوب اخضاع الهراطقة بالقوة ، بل كان يعالج أمورهم بالطرق القانونية والانظمة البيعية ، تبيّن رسالته الى والي صور بصدد مطرانها المومأ اليه ، ورسالته الى أمنطيوس وزير

---

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٦٠ .

(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٥٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ . هذا وقد أضاف اليهم أسد رستم ثلاثة أساقفة آخرين هم : أساقفة دمشق وحماة والرفنية .

(٣) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٥٨ .

البلاط التي قال فيها : « انه لا يستطيع بل لا يحل له قبول ابيفان (مطران صور) ولئن تاب ، لئلا تنشق الكنيسة ، اذ أدمى قلوب جميع المؤمنين وجرح شعورهم وصار مثالا رديئا للآخرين ، متجبّرا على وصايا الله ونظام الكنيسة »(٤) .

بل تأمل رسالته الى رئيس دير مار سمعان العمودي في حق الاسقف نونوس . كان نونوس مجرما في حق القوانين البيعية . يتعاطى السيمونية في الرسامات الكهنوتية ويبيع موهبة الروح القدس بالمال ، بالرغم من الحروم الرهيبة التي كان يسمعها من فم مار سويريوس بين الفينة والفينة ، وفي كل شرطونية يقوم بها ، ضد الذين يتعاطون السيمونية . فعقد مار سويريوس في انطاكية مجمعا محليا لمحاكمته ، واستدعاه اليه مرات عديدة وفقا للقوانين ، ولكنه أبى الحضور بل جاء اليه سراً في أحد الليالي ظناً منه أن ذلك كافٍ . وأخيرا لجأ الى دير مار سمعان ، فاستدعاه مار سويريوس بواسطة رئيس الدير ، فلم يُلبّ الدعوة . فصبر عليه وأنذره مدة عشرة أيام ، ثم ضاعفها ، فلم يرعو ، بل أجاب بواسطة رئيس الدير نفسه ملتمسا ألا يحضر محاكمته أحد من الاكليروس الذين تعاطى السيمونية في رسامتهم . فاستدعاه ثانية فثالثة بواسطة رئيس الدير بالذات ليدافع عن نفسه بحضور الاساقفة كما تنص القوانين البيعية ، مؤكدا له انه سيحاكم بحضور الانجيل المقدس في الوسط ، وبوجود الانذار الرهيب فوق هامات الذين يعوّجون العدالة . فاذا تمادى في غيّه هذه المرة أيضا ، سيصدر الحكم في حقه وفقا للقوانين الآلهية الخاصة بالنظام

---

(٤) رسائله مجموعة بروكس مج ١ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص ٣٠٤ . هذا وقد سميناه هنا في ص ٢٥ رئيس الوزراء والصحيح وزير البلاط .

الكنسي الجميل . ويضيف انه قد أنهى أمره الى السلطات المدنية ، وكان في ودّه أن يفوّض اليها أمر بتّه لولا قضت القوانين البيعية بمعالجة مثل هذا الامر من قِبل الاساقفة وحدهم . أما الذين يقصدون السلطات المدنية فهم تحت الملامة . وقد أوفد الشماس أوسابيوس الى دير مار سمعان ليعلمه بأنه لن يؤخر بعد في انطاكية ، الاساقفة الذين آن لهم أن يعودوا الى أبرشياتهم(٥) . وعلى هذا النمط عالج جميع المشكلات التي اعترضت سبيله من قِبل الخلقيدونيين والخارجين على التقاليد الرسولية كما أثبتت رسائله الرسولية .

هذا وقد كفانا الدكتور أسد رستم نفسه مؤونة البحث باشارته الى المصدر الذي استقى منه روايته ، ألا وهو مجموعة رسائل هرمزدا الروماني . وقد سبق لنا آن نقضناه من أساسه(٦) .

وكأن الغرور والتعصب الذميم غشيا بصيرة السيد مكسيموس مظلوم الرومي الكاثوليكي ، فأخذ هو الآخر يضرب أخماسا لأسداس ، متخبطا خبط عشواء كما في ليل بهيم ، في محاولة فاشلة للتوفيق ما بين هذا الحادث « المفبرك » وبين الذي وقع في دير سابا ، فقال : « ٢٠ آذار ـ تذكار آبائنا الابرار المقتولين في دير القديس سابا ـ واذ كان يوما ما هؤلاء الرهبان الابرار المضطَهدون مجتمعين من نواحي مختلفة في دير القديس سابا أو بالحري في دير الانبا سمعان (كذا) لكي يدبروا ما يلائم الايمان الكاثوليكي قد وقعوا بين أيدي السافاريين الذين وثبوا غفلة على عبيد الله هؤلاء

---

(٥) الكتاب السادس من رسائل سويريوس المنتخبة طبعة بروكس مج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٧ .
(٦) راجع هنا ص ٨٢ ـ ٩٢ .

الابرار فقتلوا منهم ثلثمائة وخمسين راهبا ... وهذا جميعه حدث سنة ٥١٧»[٧] . .

قلنا محاولة فاشلة ، لأن دير سابا شيء ودير الأنبا سمعان شيء آخر . فالأول في فلسطين ، والثاني في سوريا في منطقة حلب . كما ان الحادث « المفبرك » جرى سنة ٥١٧ فيما زعم . أما حادث دير سابا الذي تعيّد له الكنيسة اليونانية في ٢٠ آذار[٨] ، فقد وقع حقيقة سنة ٦١٤ بواسطة جنود كسرى ملك الفرس عند حملته على الارض المقدسة[٩] . وهكذا بعد أن اضطربت روايته وطاش سهمه ، عاد بصفقة المغبون . أجل ، هكذا تكون حملات الدعايات المضللة وإلا فلا !!!

ومن الغريب العجيب ، انه في الوقت الذي يدّعي فيه الموارنة ان هؤلاء الرهبان ال ٣٥٠ المزعومين كانوا منهم ومن ديرهم ، ولم يحيدوا قيد شعرة عن الايمان الكاثوليكي في أي وقت من الاوقات ، يتجاهل هذان المؤرخان الروميان هذا الادّعاء . والأنكى قول السيد مكسيموس مظلوم « انهم كانوا من بلاد سوريا الثانية الذين بعد أن كانوا خُدعوا وتمسكوا مدة من الزمان بضلال أوطيخا (كذا) ، قد رفضوه مطلقا وأضحوا محامين بغيرة متقدة عن المجمع الخلقيدوني (كذا)»[١٠] .

---

(٧) الكنز الثمين مج ٢ ص ٤٠٧ .
(٨) فيه مج ٢ ص ٤٠٦ والسواعى الكبير ص ٣٣٨ .
(٩) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣٦٠ .
(١٠) الكنز الثمين مج ٢ ص ٤٠٦ .

الفصل التاسع والثلاثون

إشادته بمبرات القيصر انسطاس

سنة ٤٩١ توفي القيصر زينون المؤمن فخلفه أنسطاس السرياني المحتد . وكان في الحادية والستين من عمره ، وقد ذهبت له في الورع ودماثة الاخلاق والرأفة بالفقراء والعمال[١] شهرة مستفيضة . وكان مستمسكاً من الايمان القويم بالعروة الوثقى ، ما حداه أن يُبلي بلاء حسنا في مساندة الكنيسة . كيف لا وبهمته الشماء عُزل افيميوس ومقدون بطريركا القسطنطينية سنتي ٤٩٥ و ٥١١ ، ونُصّب القديس طيمثاوس سنة ٥١١ ، كما عُزل فلابيانوس الثاني بطريرك انطاكية سنة ٥١٢ ونُصّب مكانه صاحب الترجمة . ومن أجلّ أعماله ، إنشاؤه عدداً وافراً من الكنائس والاديار ، باذلا في سبيل ذلك مالا جزيلا وهمة عالية تُذكر فتُشكر . منها ، تجديده وتوسيعه كنيسة والدة الاله في انطاكية ، التي نوّه بها القديس سويريوس مشيداً بمبراته قائلا : « ان الملك المؤمن يمدّ يد السخاء الى البعيدين أيضاً »[٢] . وقد ذكرنا في الجزء الثاني من تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية[٣] ، ما سجّله التاريخ السرياني لهذا القيصر التقي من إنشائه معظم أديار وكنائس طورعبدين ، أعني قبة الزعفران وهيكل صلح وهيكل مار ابراهيم بمذيات وهيكل كفوني (قرية

---

(١) الروم للدكتور أسد رستم ج ١ ص ١٣٥ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى له ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) انظر هنا ص ٦١ .

(٣) ص ٣٢٠ .

دير كفان) وكنيستي عرتاس وكفرزي وهيكل دير الصليب بحصن كيف (بيث ايل) • وكان العاملان ثأودوسي وثأودور ابني شوفني • هذا فضلا عن إنشائه سنة ٥٠٧ مدينة دارا التي سُميت باسمه « انسطاسيوبوليس »[٤] •

ومع ان الشعب قابل ارتقاءه الى عرش الامبراطورية بالهتاف على الرغم من قوله بالطبيعة الواحدة[١] ، إلا أن بعض مريضي النفوس حاولوا أكثر من مرة إثارة الرأي العام ضده • أما هو فصمد معتصما بحبل الله حتى قمع جميع الفتن والمؤامرات التي حيكت ضده في الخفاء • وكان نهاية المطاف ، انتصاره على الطاغية بيطاليان قائد الفرقة البلغارية في الجيش البيزنطي ، الذي هاجم العاصمة براً وبحرا يريد الاطاحة به[٥] •

وكان مار سويريوس يراقب التطورات والمفاجآت ، ويرافق انسطاس بدعواته المسموعة خطوة فخطوة ، ليُحرز النصر المؤزّر على دسائس الماردين • فلما بلغه نبأ اندحار بيطاليان ، نظم معنيثا (نشيدا كنسيّا)[٦] مستهلا اياه بآية المزمور القائلة : « الله تكلم في قدسه » (مز ٥٩ : ٨) وقال : ليس للمنافقين سلام ، أما التقي فله رجاء • هوذا كلمة الله المتجسد قد أحب وثبّت وساند شعبه ، مخزيا الضالين عَبَدة الانسان[٧] ، اذ رزقه غيثا ومطر الوبل ، وحطّم وآباد الماردين الطغاة » •
ومن المكابرة بعد هذا قول أسد رستم عن بيطاليان : « انه صُدّ ولكنه لم يُغلب ، فعاد برجاله الى بورغاس وبقي فيها ثائرا غاضبا حتى وفاة الامبراطور »[٥] •

---

(٤) فيه ص ٢٧٧ و ٢٧٨ •
(٥) الروم ج ١ ص ١٣٩ •
(٦) هو ال ٢٦٢ بين معانيثه طبعة بروكس •
(٧) يعني الخلقيدونيين والنساطرة •

الفصل الأربعون

ولاية الكرسي الانطاكي في عهده

اذا تبيّنا مليّاً ما تبقّى من رسائل مار سويريوس[1] ، تبيّن لنا ولا شك خضوع ولاية الكرسي الانطاكي برمتها لهذا البطريرك الجهبذ • ففيها نرى رسائله الى قسطنطين أسقف اللاذقية ، سولون أسقف سلوقية سوريا ، قسطور أسقف برجا ، اسطيفان أسقف طرابلس ، آوترخيوس أسقف عين زربا ، أساقفة ولاية عين زربا ، أنطونين أسقف حلب ، ديونيسيوس أسقف طرسوس ، فيلوكسينوس آسقف منبج ، فيلوكسين أسقف دلوك ، بطرس أسقف أفامية ، أساقفة ولاية أفامية واكليروسها وأشرافها ، شمعون آسقف قنسرين ، قسيان أسقف بُصرى ، سرجيس أسقف قورش ، ماريون أسقف شورا ، مارينا أسقف بيروت ، توما آسقف مرعش ، أساقفة فينيقية ، الاساقفة يوحنا وفيلوكسينوس وتوما في جبل ماردين ، نونس أسقف سلوقية ، بقطر آسقف فيلادلفيا (عمّان) ، ثاودور آسقف أولبا ، موسينيوس أسقف ميلوا في ايسورية ، سوطوريخوس أسقف قيصرية قبادوقية ، يوليان أسقف هاليكرناس ، الاساقفة السوريين الذين في الاسكندرية ، اكليروس طرطوس ، اكليروس حمص وأشرافها وأهلها

---

(١) هي ٢٢٠ رسالة ، نشرها بروكس منقولة الى الانكليزية في أربعة مجلدات سنة ١٩٠٤ ـ ١٩١٥ • جمعت من ٢٦ نسخة قديمة يتراوح زمانها بين القرون السادس والثالث عشر ، وهي من نقل القس اثناسيوس النصيبيني سنة ٦٦٩ (اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥) •

الارثوذكسيين ، الاخوة الارثوذكسيين في صور ، الرهبان الشرقيين ، والرهبان والقسوس ورؤساء الاديار : يوناثان وصموئيل ويوحنا العموديين وسائر الارثوذكسيين في بيعتي الانبار وحيرة النعمان ·

هذا فضلا عن رسائل أخرى الى كثير من الاساقفة والقسوس ورؤساء الاديار ، والرهبان ، وأديار الرهبان والرواهب ، والشمامسة والاعيان ، فيها جاوب على مسائل لاهوتية وتفسيرية ، أو نقض سفاسف بعض المبتدعين والمفسدين ·

الفصل الحادي والاربعون

هربه الى مصر

كان البطريرك القديس مار سويريوس الكبير ، فضلا عن علمه الواسع ، مدبراً حكيماً مقداماً ، ومناضلا عنيداً صامداً ، وراعياً يقظاً ساهراً على خلاص النفوس ، بل آية في حماية ذمار الايمان القويم · فكان لا بد له والحالة هذه من أن يتصادم أحياناً واليساريين الذين كان دأبهم التنكر للتعليم الرسولي · ومرّت ست سنوات وقديسنا يسير بالكنيسة قدماً في دروب المجد ، ويرتقي بها صعداً في معارج الفضيلة ، وهو غير حاقد ولا شامت ولا متكبر ولا متجبر ولا متبرج · وكانت الظروف مؤاتية لاعماله الرسولية طيلة حياة القيصر انسطاس رغم العواصف الهوج التي زمجرت في وجه هذا القيصر الهمام من حين الى آخر كما مر معنا ·

وفي ٩ تموز سنة ٥١٨ توفي انسطاس بدون عقب ، ففكر امنطيوس وزير البلاط في تنصيب القاضي ثاوقريطس خلفا له . ولكي يضمن تنصيبه ، سلّم الى يوسطينوس أحد قادة الحرس الامبراطوري ، مالا جزيلا ليوزعه على ذوي المناصب الرفيعة وقادة الجيش . بيد ان يوسطينوس استغل ذلك لصالحه فنصّبوه[1] في ١٠ تموز باسم يوسطينوس الاول . واذ خشي تمرد بيطاليان ، استدعاه ليحالفه . فاجتمعا في كنيسة القديسة أوفيمية في خلقيدون حيث حلفا وتحالفا ثم دخلا العاصمة[2] . وعقب هذا الامر الخطر ، تبدل خطير في السياسة البيزنطية .

كان يوسطينوس على مذهب رومة ومن ولاية كرسيها . واذ كان أميّاً ، استدرجه مواطنوه الى إصدار مرسوم بوجوب الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني وذكره في الكنيسة الى جانب المجامع المسكونية الثلاثة الاولى . فعارضه امنطيس الآنف الذكر قائلا : لا يجوز نبذ تواقيع البطاركة الثلاثة والاساقفة البارزين في المملكة ، الذين حرموا هذا المجمع . فكانت صراحته هذه وبالا عليه ، اذ بطش به مع ثاوقريطس وحاجبه أندراوس[1] . وكان ثلاثتهم أرثوذكسيين . وكان القديس طيمثاوس القسطنطيني قد توفي في ربيع هذه السنة ، وخلفه يوحنا . فلم يأبه هذا في أول الامر لمرسوم يوسطينوس ـ اذ كان أرثوذكسيا ـ ولكنه رضخ له أخيرا حين توعّدته زوجة يوسطينوس بأنها لن تدخل كنيسته ما لم يذكد المجمع الخلقيدوني . ووافته المنية في السنة التالية[3] .

في هذه الاثناء فوّض يوسطينوس الى ابن آخته القائد

---

(١) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٦١ و ٦٢ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٥ و ٢٦٦ .
(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .
(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٧١ .

يوسطينيان تسوية الخلف الذي كان ضاربا أطنابه بين الكرسيين الروماني والقسطنطيني منذ سنة ٤٨٤ حين تراشق الحرم فيلكس الثالث الروماني واقاق القسطنطيني بسبب هنوطيقون القيصر زينون . فتصالح الكرسيان شريطة الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني وحذف أسماء البطريرك اقاق والقيصرين زينون وانسطاس من الذبتيخا[٤] .

وفي ايلول هذه السنة أثار اضطهادا عنيفا على الارثوذكسيين ، وخاصة الذين في ولاية الكرسي الانطاكي ، حيث أمر بقطع لسان البطريرك مار سويريوس ، وبنفي الاساقفة الذين يأبون الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني . وكان ذلك باشارة بيطاليان الآنف الذكر الذي كانت له كلمة نافذة في بلاطه ، وكان حاقدا على القديس سويريوس . ولا بدع فانه كان اشبينا لفلابيانوس الثاني المعزول[٥] . وهكذا في لحظة سمحت بها أحكام الله غير المدركة ، أصيب الحق في الصميم ، فتجهمت الايام ، وابتليت الكنيسة بمحنة عصيبة ، أدت الى انتهاك حرماتها وسحو معالمها .

أما مار سويريوس فاحتقر المجد الباطل ، وبرح انطاكية في ٢٥ ايلول هائما على وجهه ، في طريق وعث عسر محفوف بالمخاطر ، يبحث عن ملجأ يواريه عن أبصار المضطهدين ، حتى وصل الى سلوقية الساحل ، ليُبحر منها في ٢٩ منه الى مصر حيث استقر به المطاف مجهدا منهوك القوى .

وأما بيطاليان ، فاقتصّ منه العدل الالهي ، فاغتيل وحارسه بولس وكاتبه قلر في بلاط يوسطينوس ، في أثناء مأدبة كان قد دُعي اليها[٦] .

---

(٤) دائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics مج ٨ ص ٨١٤ .
(٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٦٣ .
(٦) فنه مج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .

الفصل الثاني والاربعون

كيفية وصوله الى مصر

بعد أن وصل مار سويريوس الى مصر ، كتب رسالة[1] الى أحد أعيان المؤمنين الانطاكيين ، يخبره باقتضاب ، عن حاله ، لينقل ذلك الى الذين يهمهم آمر خلاصه • وقد أكبر في هذه الرسالة فضل العناية الربانية التي رافقته في سفرته الشاقة ، وقال انه رأى ان انتقاله على ذلك النمط ، يتفق والشرائع الالهية القائلة : « اذا اضطهدوكم من هذه المدينة فاهربوا الى أخرى » وأردف : انه في انتقاله على هذا النحو ، ولئن بدا كأنه سيكون خارجا عن الاسقفية على زعم الذين يقضون جسديا في مثل هذه الامور ، الا انه روحيا لا يحق لأيٍّ كان أن ينزعها منه سوى الله الذي منحه اياها •

ومن هذه الرسالة نستقي الامور التالية :

ان مار سويريوس حين صمم على الهرب ، أقام صلاة المساء ، وتحدّث مع الحاضرين كالمعتاد ، وكتب بعض رسائل ، ومارس أعمالا أخرى لتغطية العمل الذي خطّط للقيام به ، دون أن يبدي في كل ذلك أي ارتباك • ثم تزيّى بزيّ رهبان سورية (أي السريان) ، ووضع على رأسه غطاء الفلسفة (أي القلنسوة) الذي يعتمره غالبا الذين يسدرون شعرهم •

---

(١) تضمنتها مخطوطة سريانية أسطرنجيلية على الرق من القرن الثاني عشر ، هي في الخزانة البطريركية ، وعنوانها : « الرسالة التي أنفذها القديس مار سويريوس بطريرك انطاكية سورية لما اضطهده الخلقيدونيون المنافقون » •

ورافقه اثنـان ، تزيّى أحدهما بالزي نفسه • أمـا الآخر فكان من رهبان سورية • ولم يميزهم أحد لا في أبواب السور الموصدة ولا في مكان آخر • وأمضوا الليل كله مشيا عـلى الأقدام • وفي الصباح وصلوا الى مدينة سلوقية • واذ لـم يعرفوا الى أين يذهبون ، دلّهم السيد المسيح الى مغارة قبر كان يقطنها راهب فاضل ، أمضـوا عنده يوم السبت • ثم استضافوا بعض الرهبان الفضلاء • ثم اتفقوا مـع بعض الملاحين بواسطة بعض الأمناء ، على ركوب البحر في تلـك الليلة •

في هـذا الوقت بالذات كان مار ايسـيدوروس أستف قنسرين وغيره يبحثون عن مار سويريوس وصحبـه ، الامر الذي سبّب لهم جميعا عناء شـديدا • فقد قبضـوا عـلى ايسيدوروس ورفاقه وأوقفوهم ، ومنعوا إقلاع السفن • فخاف الذين خدموا مار سويريوس وصحبه أن يوصلوا اليهم الخبر • ولما انقضى جزءا الليل ، ويئسوا من الابحار ، عادوا فاتكلوا على الأقدام بعد الله ، وساروا سيرا حثيثا ، يهديهم السبيل الرهبان الفضـلاء الذين أضافوهم • وكان خوفهم الشديد من انهم اذا صاروا الى نهر العاصي ، لا يجدون زورقا لينقلهم الى الشاطىء الآخر ـ اذ كان ذلك اليوم يوم أحد ـ ولكنهم وجدوا زورقا قديما محطّما معظمه الى درجة انـه كان يُدخل ماء فعبروا به الى الشاطىء الآخر • وقد علموا بعدئذ ان الذين كانوا يبحثون عنه ، ركبوا السفينة في تلك الساعة بالذات عن طريق الزورق نفسه ، وأخذوا يطاردونهم بهمة لاتعرف الملل ، تنفيذا لأوامر رؤسائهم الصارمة • فسار مار سويريوس وصحبه بزخم ونشاط أوفر ، حتى أمّوا قرية على ساحل البحر ، يسمّيها أهل المكان طوفيون ، كانت السفن

تتزوّد منها بالماء • وكانوا ينوون الوصول الى بلدة تسمى « بيطولون » ، إلا أن الطريق اليها كان في البحر • لذلك تخفّوا هناك في أحد الكهوف ، وآخذوا يطلّون من فجوته بين آن وآخر علّهم يرون سفينة ما ، ولكن بدون جدوى ، الامر الذي أخذ يقضّ مضجعهم ، لا سيما وقد عاينهم قوم من قرويي سلوقية وتأمّلوهم مليّاً • وبعد برهة يسيرة ، لاحت لهم سفينة صغيرة قادمة من رودوس ، جاءت طوفيون للتزود بالماء ، فركبوها وأبحروا • وبعد مسافة قصيرة غادروها ليشخصوا الى بيطوليون• وتخفّوا في مغارة على ساحل البحر ، في حين انهم أرسلوا اليها لجسّ المخاضة ، بعض الذين كانوا يهدونهم السبيل ، وهم الذين كانوا قد أضافوهم في سلوقية • فوجد هؤلاء في بيطوليون عبيد ايريناوس المطارد ، يبحثون عن مار سويريوس وصحبه في كل مكان • وكان الأمر صارما بهذا المقدار حتى انهم لم يثقوا بذوي الرتب الكهنوتية ، لكنهم دخلوا الدير الذي في بيطوليون وفتشوه ، بل سلبوا الآنية المقدسة التي لا يحلّ لمسها الا للكهنة ، وفتحوا الآنية الكهنوتية القديمة وفتشوها علّهم يعثرون على مار سويريوس متخفيا فيها • كما انهم فتشوا السفن الراسية هناك أيضا • وأخيرا انكفأوا الى شرب الخمر • أما الذين أرسلهم مار سويريوس فأخبروا بالامر القسيس الراهب الفاضل رئيس دير بيطوليون ، الذي أرسل أحد تلاميذه المتمرسين بتسلّق الجبال ، فتسلّق القمم الشاهقة الصعبة السير ، حتى وصل الى حيث كان مار سويريوس وصحبه ، ونقل لهم هذه الاخبار التي كانوا يجهلونها • كما انه أخبرهم بشراسة الآمر والمنفّذين لأمره • ثم قادهم ـ وقد أخذ منهم الاعياء كل مأخذ ـ في منعرجات الأودية

والغدران العارمة والكهوف الرهيبة · فسلكوا الملاوي حتى تسلّقوا قمة الجبل ، مستعملين في ذلك الايدي الى جانب الاقدام · وهناك أشار اليهم أن يجلسوا حذاء صخرة عظيمة جـدا صامتين · وما أن انتهى من كلامه حتى غصّ ساحل البحر بمطارديهم وهم يُطلقون صرخات مزعجة في المغاور والكهوف ، ويحرّكون كل حجر في سبيل بلوغ مآربهم · ولما وصلوا الى طوفيون وعلموا ان مار سويريوس وصحبه لوحظوا هناك ، عادوا أدراجهم في البحر للبحث عنهم · وفتشوا المغاور · ولما ابتعدوا قليلا قام مار سويريوس ومن معه مـع الراهب الذي أرسـله رئيس دير بيطوليون ، وانحدروا واديا آخر وعرا جدا ، لكي يسلكوا الى قمة الجبل دربا شاقا قائما على شفير الهاوية · وكان التسلّق منه محفوفا بالمخاطر الى حد انه لو شذّت خطوة واحدة لهوت بهم الى قلب الارض · ومع ان مار سويريوس وصحبه كانوا مصابين بألم في أقدامهم ، فانهم لم يشعروا بذلك نظرا الى الجهاد الذي كانوا يخوضون غماره · فتسلقوا بسرعة فائقة منكبه العالي وقضقضوا بنعالهم قمة هامته التي كانت من المحال أن تلمحها أبصار مطارديهم · وهناك انضـووا الى شجرة كثيفة الظلال تخلّصاً من حرارة الشمس المحرقة · ونحو الساعة العاشرة أو الحادية عشرة (التوقيت القديم) ، بعث اليهم رئيس دير بيطوليون تلميذا آخر حاملا طعاما ، عنبا وخبزا · فأقاموا الصلاة · واذ كانوا يحملون القربان المقدس ــ وهو الوحيد الذي تزوّدوا به من كنيسة انطاكية المقدسة في إناء خشبي ــ دعوا الآب السماوي بالصلاة الربانية ، وأضافوا عبارة « لا تدخلنا في التجربة لكن نجنا من الشرير » وغيرهـا · ثم اشتركوا في الاسـرار المقدسـة وتناولوا الطعام · وبعد غروب الشمس نزلوا من

الجبل من جهته الاخرى التي كانت تطل على الدير ، وذلك بنفس المخاطر ، وبالاقدام التي لم تكن معتادة على التعب · وعلى ضوء القمر ، وبعد لأي ، وصلوا سالمين الى البيدر الجاثم فوق الدير · وما ان أخذوا قسطا من الراحة حتى هبّوا لاستئناف سيرهم ، اذ أحسّوا بقدوم مطارديهم ثانية ، وعلموا ان ذلك المكان ليس أمينا · فاجتازوا الى جبل آخر ظهر لهم بالتجربة انه كان سهل المسلك · وكانوا طيلة تلك الليلة ، والنهار الذي تلاها ، يتنقلون من كهف الى آخر بألم جزيل · وهناك استدعوا اليهم أحد الملاحين الاقباط واتفقوا معه على ركوب البحر · وفي المساء انحدروا عن قمة الجبل وعبروا الوادي وانتهوا الى الصخور التي تتحطم عليها أمواج البحر ، وركبوا السفينة مودّعين القسيس الفاضل رئيس دير بيطوليون وتلاميذه الأعفة بالشكر الجزيل ، اذ صار سبب خلاصهم بعد الله ·

وفي السفينة اقتاتوا بخبز الملاحين وطعامهم ، ما لا يطيق كثيرون حتى ان يروه لعتقه ، فضلا عن الدود الذي كان ينخر فيه ، وعن نتانته وما إليها من الاشياء التي يشمئز منها المرء · ومع ذلك فقد أكلوا بشهية وافرة · واذ كان الملاح ينوي الشخوص الى قيليقية ، ليحمّل منها السفينة بقلل الخمر ، اضطُرّوا – زيادة في الحرص على سلامتهم – آن يدفعوا أجرة السفينة كلها · وما هو إلا شوط جازوه حتى برزت لهم من بعيد سفينة تسير في اتجاههم ، فظن مار سويريوس انها أُرسلت من قِبل مطارديهم · فقال من صميم قلبه انه لن يصدّق انه سيقع في آيدي الأعداء بعد أن أفلت من مدينة انطاكية مُحبة المسيح · ولما وصلوا الى جزيرة قبرص أقاموا فيها بضعة أيام ، أقلعوا بعدها الى مصر في

وسط الأنواء الشديدة والامواج الصاخبة · وبدلا من المكان الذي نووا النزول فيه ، حملتهم السفينة الى مكان آخر أفضل وأجدى ، أي الى بلاد مصر العليا (الصعيد) المجهولة يومذاك·

وفي هذه الرسالة حث مار سويريوس مؤمني انطاكية على وجوب إكرام القسيس رئيس دير بيطوليون سرًّا ، وتقديم الاثمار لديره ، مبينين له بالفعل انه لم يُسد ذلك الفضل اليه وحسب بل الى كنيسة المؤمنين بالذات · كما انه بيّن لهم ان ما دفعه أجرة للسفينة كان من هداياهم التي كانت حقا سببا في خلاص نفوسهم · وأردف : « ان هذه الهدايا لم أشأ وأنا أمارس حياة التقشف كما تذكرون ، ان آخذ منها شيئا رغم إلحاحكم الشديد» · ودعا لهم بالخير ، وأبدى تألّمه مع الكنيسة من جراء تمزّق جسم المسيح قائلا : « ان الذين اضطهدونا ، نفعونا أكثر مما ضرّونا · ولكنهم ضرّونا فقط باذلالهم اياكم ··· فاذا كان هنالك من يلوم هربنا ، فليعلم ان إيليا النبي أيضا هرب خوفا من وعيد ايزابل · وبولس الرسول دلّوه في دمشق من السور ، وكتب يقول انه هرب من الفريسيين الذين كانوا يرجمون ويخطفون ، في حين انه لم يكن هنالك مبرّر ما لهربه ··· إنكم حكماء بالرب وبامكانكم أن تسدّوا الفم الوقح ··· فان جميع الذين كانوا يريدونني أن أبقى في انطاكيـة ، لما عاينوا عُنف الاضطهـاد ، واننا نُسلَّم الى أيدي الاعداء بدون قضاء ، طلعوا بنغمة أخرى ، ملتمسين مني أن أهرب من الخطر ومن الموت المحتّم » ·

وبعد أن سلّم على الكنيسة وعلى جميع الذين هم في المسيح ، ختم رسالته بعبارة الرسول القائلة : « من لا يحب ربنا فليكن اناثيما » ·

الفصل الثالث والاربعون

مسيرته في مصر

هبط مار سويريوس أرض مصر وعلى قسماته تلاويح الجهاد ، وفي قلبه آلام الكنيسة الانطاكية الجريح ، فتلقته الكنيسة الاسكندرية الشقيقة في غمرة من الغبطة الطاغية والفرحة العارمة ، مقدّرة فيه مواهبه النادرة وطاقاته الهائلة التي زوّدته بها العناية الربانية ،من طلاقة في اللسان وبلاغة في الكلام الى عمق في التفكير وتعمّق في كشف غوامض آيات الله البينات ، فضلا عما حلّته به من شخصية فذة وخبرة واعية . فأخذ من ثم يواصل الجهود الخيّرة لدعم صف المؤمنين والعمل على إعلاء كلمة الحق ، ويصارع من أجل صون مصير الكنيسة وانقاذ كرامتها المهدورة متدرعا بقوة الحق في حقها الصرّاح الهضيم . رائده الاخلاص والمحبة والوفاء ، وعماده الايمان والتضحية والفداء . وفي كل مواقفه برهن عن عزيمة حديدية وحكمة وحنكة وإقدام . فكان لجولاته الموفقة أثرها البليغ في نفوس المؤمنين ، بقدر ما كان يجيش في قلبه الكبير من آلام وآمال .

ما ان وطئت قدماه أرض مصر ، حتى أخذ يجوب مدنها وقراها ، ويختلف الى براريها وأديارها ، متفقدا شؤون المؤمنين والرهبان ، ومثبتا اياهم في المعتقد الارثوذكسي ، وهو أشد مراسا وأصلب عودا مما كان .

أقام في مصر عشرين سنة يتابع أعماله الرسولية ،ويشجع رعيته الانطاكية تارة بنوابه الافاضل وطورا برسائله الجليلة،

وهو صامد صمود الجبال ومعتصم بالرسالة المثلى اعتصام الابطال . وهل يتاح للمرء بلوغ الاهداف إلا من خلال العمل الجاد المخلص ؟ وهكذا نهض بأعباء مهامه خير نهوض ، دون أن ينفذ الى سمو نفسه وعد أو يثنيه عن عزمه وايمانه وعيد. وكان الروح العلوي يعقد فوق هامته القدسية هالة اثر هالة، حتى حفلت مسيرته بجلائل الاعمال .

هذا وقد أصاب كبد الحقيقة أحد ملافنة الكنيسة السريانية، بأنشودة نظمها في هذا الصدد بلحن ܐܕܡ ܒܟܐ ܗܘܐ قائلا :

ܡܨܪܝܢ ܡܨܪܝܢ ܩܒܠܝܗܝ ܠܣܘܝܪܐ ܕܥܪܩ ܡܢ ܐܬܪܗ

ܘܦܬܚܝ ܠܗ ܬܪܥܝܟܝ ܘܟܢܫܝ ܠܗ ܫܘܩܝܟܝ

ܕܢܥܘܠ ܠܟܝ ܘܢܛܪܘܕ ܡܢܟܝ ܝܘܠܦܢܗ ܕܢܣܛܘܪܝܘܣ ܗܘ ܡܪܝܪܐ

« يا مصر يا مصر ، قومي رحّبي بسويريوس الهارب من بلده. وافتحي لـه أبوابكِ ، واكنسي شوارعكِ ، ليدخل اليكِ ويطرد منك تعليم نسطور الوقح ». فعقّب على هذا ، الخوري اسحق أرملة السرياني الكاثوليكي ، بما يدل على نزقه ،قائلا: « لكن مصر لم ينلها خير كبير بشيوع بدعة أوطيخا بدلا من نسطور »[1] ، مع علمه الاكيد ان أوطيخا لا يمتّ الى مار سويريوس بصِلة ما ، وان عقيدة مار سويريوس أرثوذكسية لا غبار عليها ، بل هي نفس العقيدة التي حامى عنها القديس كيرلس الاسكندري والمجمع الافسسي ـ المسكوني الثالث ـ سنة ٤٣١ ، وذلك بشهادة كنيسته الكاثوليكية بالذات[2] . ولكن اذا علم القارىء الكريم ، ان الاب أرملة الفاضل ، كان

---

(١) بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري ص ١١ .

(٢) راجع خاصة كتاب « المونوفيزيته » بحسب رأي سويريوس » تأليف الاب جوزيف لبون بالفرنسية .

قد ارتمى منذ نعومة أظفاره في أحضان الباطل ، وجعل نفسه في يده أداة طيّعة للتجني على أ'مه الكنيسة السريانية وللنيل من كرامتها بشتى وسائل التدجيل والتضليل ، عذره وأعرض بالتالي عن باطله الزهوق ٠

الفصل الرابع والاربعون

الكرسي الانطاكي بعد مغادرته

لملء المكان الشاغر في انطاكية ، بانتقال البطريرك مار سويريوس الى مصر ، أقام يوسطينوس في ما زعم سنة **٥١٩** القس بولس الخلقيدوني كاهن كنيسة القديسة اوفيمية في خلقيدون[١] ، بطريركا على انطاكية ، سماه الانطاكيون منذ اللحظة الاولى « بولس اليهودي »[٢] ٠ وقد جاء الى انطاكية ب « ذبتيخا » تتضمن اسم المجمع الخلقيدوني[٣] ٠ وما كاد يستلم أزمّة الرئاسة حتى كاشف الارثوذكسيين بالعداوة وجاهر بها ، وخصّ رهبانهم بشطر وافر من كرهه وحقده[٤]، واستدعى اليه أساقفتهم وضغط عليهم للاعتراف بالمجمع الخلقيدوني ، وأقرّ في أبرشياتهم الذين ارتخت أيديهم واعترفوا به ، ونفى الذين تمسكوا بصدق عقيدتهم ورسم بدلا منهم ٠ كما أثار سنة **٥٢١** اضطهادا عنيفا على الاديار الكبيرة والصغيرة في جميع ولايات سورية وفلسطين والجنوب والشمال حتى حدود فارس وبلاد المشرق ، وابتز آموالها ،

---

(١) لم يكن كاهنا انطاكيا كما ذكر أسد رستم (كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص٣٦٣)٠

(١) رسالة مار فيلوكسينوس المنبجي الى رهبان دير سينون وتاريخ زكريا الفصيح مج٢ ص٦٢ ٠ وتاريخ يوحنا الافسسي ج٣ س١ ف ٤١ ٠

(٣) تاريخ يوحنا الافسسي ج٣ س١ ف ٤١ ٠

(٤) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٦٣ ٠

وكبّل رهبانها وأذاقهم صنوف العذاب جوعا وعطشا وعريا وطردا ، وذلك بواسطة جنود برابرة قساة . عاملوهم بلا رحمة ، وأنزلوا العموديين منهم من أعمدتهم والحبساء من محابسهم وسحلوهم . وكانوا اذا استقروا يوما في مكان ، طردوا منه في الغد . وهكذا باتوا في البادية مع العجماوات ، مفترشين الارض وملتحفين السماء حتى في أيام الشتاء ، إبّان البرد القارس والجليد والامطار . وكم من مرة جلسوا لتناول العشاء ، ففاجأهم المضطهِدون وانهالوا عليهم ضربا بالعصي وطردوهم ، وأكلوا طعامهم ، فبرحوا هم المكان خائرين . ولم يُفلت من شر هذا الأهوج حتى الشيوخ المرضى والعجائز والنساء والاطفال[٥] . وقد سرد المؤرخ الشهير المعاصر لهذه الاحداث زكريا الفصيح ، أسماء كثير من تلك الاديار المنكوبة وأشهر رؤسائها ونساكها المضطَهدين[٦] .

فلما بلغ القديس سويريوس خبر اضطهاد الرهبان ، كتب اليهم قائلا : « انتم هم أعمدة مدينة الرب ومساندها . فاذا كنتم انتم الاعمدة وقد تزعزعتم وتزحزحتم من اماكنكم ، فأي شيء آخر نتوقعه سوى الضربة من الله والبلايا الفادحة التي لا مفرّ منها »[٧] .

وقد أخبرنا مار فيلوكسينوس المنبجي نحو سنة ٥٢٢ ، بأن جميع الرهبان من انطاكية حتى حدود البلاد الفارسية ، ثاروا على أثر هـذا الاضطهاد مستبسلين ، وحرموا المجمع الخلقيدوني . بل ان كثيرين منهم كتبوا هذا الحرم على أبواب أديارهم . أما المؤمنون الانطاكيون فقد نزلوا الى الميدان وهم يصرخون بأعلى أصواتهم قائلين : « فلتطلق الوحوش على

---

(٥) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

(٦) تاريخه مج٢ ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٧) راجع سيرته بقلم مار يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا .

الراغبين في الشهادة من أجل الايمان » • في حين انه قُتل من رهبان كورتهم عدد وافر ، وأُثخن بالجراح عدد آخر • وكذلك استُشهد في الرها كثيرون من الرهبان والعلمانيين[٨] •

ذكر زكريا الفصيح ، ان برنيقينا الناسك العجائبي من دير مار حنينا ، حفزته الغيرة على الايمان فشخص الى القسطنطينية حيث نصح القيصر ووبخه وجها الى وجه ، الامر الذي استحق شكر مار فيلوكسينوس ، في رسالة أنفذها اليه من غنغرة[٩] •

الفصل الخامس والاربعون

تعيينه يوحنا التلي نائباً بطريركياً عاماً

كان البطريرك مار سويريوس الكبير ، يتابع في مصر العمل في انطاكية وأبرشياتها بصلابته المعهودة ، وكان على اتصال وثيق بكثير من الاساقفة المنفيين والمؤمنين الانطاكيين ، يتبادل واياهم الآراء الصائبة في تسيير دفة الكنيسة المعذبة بين أنواء الاضطهاد المتلاطمة • ودرءاً للأخطار التي كانت تجابهها ، قلّد مار يوحنا بن قوروسوس أسقف تلاّ ، النيابة البطريركية العامة ، وفوّض اليه رسامة أساقفة وكهنة بحسب حاجة الكنيسة ، كما ان المطارنة والاساقفة المنفيين أو الهاربين الى البلاد النائية أيضا ، فوّضوا اليه تفقّد أبرشياتهم برسامة كهنة لكنائسها • ومار يوحنا التلّي رجل همّك من رجل • فهو لم تفتر عزيمته فيما مضى بابتعاده عن أبرشيته ، لكنه

(٨) رسالته الى رهبان دير سينون (الرها) •

(٩) تاريخه مج ٢ ص ٨١ •

أخذ يضاعف جهوده الجبارة لحماية التطيع الصغير ،ويواصل جهاده المشكور في الذود عن الايمان الارثوذكسي • من هنا مبادرة مار سويريوس الى تقليده هذه المهمة الخطيرة . ووضعه فيه كل ثقته الغالية • ومن هنا أيضا اصالة الرأي التي تميز بها ذلك البطريرك الهمام •

تشجع التلي وتدرع بالايمان ،وقام بالمهمة التي أوكلت اليه خير قيام ، رغم وعيد الملك وتهديد الرؤساء • وكان يساعده في مهمته ثمانية أساقفة • فلما رأى المؤمنون توقد غيرته ومضاء عزيمته ، تسارعوا اليه من كل صوب وحدب فرسم عددا كافيا من الكهنة للكنائس والاديار بعد الفحص الدقيق• وما أجمل المواعظ والنصائح التي كان يقدمها للكهنة عند رسامته اياهم •

ولما بلغت أخباره المؤمنين في بلاد الفرس والمشرق ،وكان عددهم قد تضاءل يومذاك ، بعد أن غادرهم مار شمعون الارشمي ، أرسلوا اليه والى القديس مار توما أسقف دارا ، بعض الاكليريكيين ليرسماهم أساقفة لبلادهم • فرسماهم بالاتفاق مع مار سرجيس أسقف قورش ومار ماريون أسقف شورا ومار نونو أسقف قرقيسياء• فعادوا الى بلادهم وناضلوا حتى الدم عن الايمان القويم ، واجتذبوا الى حظيرة الكنيسة في بلاد الفرس ألوفا من غير المؤمنين •

فلما أنهي أمره الى القيصر يوسطينوس ، استدعاه ورفاقه الاساقفة الثمانية بغية استمالته اياهم الى مذهبه • واذ رآهم صلبي العود وشديدي التمسك بعقيدتهم ، توعدهم ومنعهم من ممارسة الخدم الكهنوتية للذين لا يخضعون لمذهبه • فقال له مار يوحنا : يجب أن نطيع الله أكثر من الناس • وعبثا

حاول يوسطينوس ويوسطينيان إقناعه بأخذ هدية منهما · فقد كان يقول : كيف أقبل هبتهما المادية في حين أنهما يرفضان هبتنا الحقيقية الروحية ؟

ولم يأخذ مار يوحنا من أحد فضة أو ذهبا أو نحاسا ، لكنه كان يتبلّغ وحاشيته بالنزر اليسير الذي أعطته اياه أمه حين اعتزاله الابرشية ·

أما أساقفة بلاد الفرس المار ذكرهم ، فقد تكلل بعضهم بالشهادة من أجـل الايمان ، بوشاية النساطرة والمجوس ، وبعضهم غادروا هذه الحياة في بلاد نائية بعد جهاد مثمر · واذ لم يبق سوى نفر منهم ، جاء بعضهم الى مار يوحنا وهو مقيم عند بعض النساك في أحـد الجبال ، مصطحبين بعض الاكليريكيين ، ليرسمهم أساقفة للابرشيات الشاغرة · وكان رفاقه الاساقفة المذكورون أعلاه ، قد انتقلوا الى جوار ربهم، فقام هو برسامة هؤلاء الآخرين ·

هكذا كانت بيعة الله تنمو بجهوده يوما بعد يوم حتى لم يبق من ذوي الطبيعتين في ما بين النهرين سوى عدد ضئيل[1]·

الفصل السادس والاربعون

نقضه مزاعم الهراطقة

لقد فنّد مار سويريوس في مصر ، مزاعم بعض الهراطقة، بما حبّره من روائع المصنّفات· منها إنجازه في ثلاثة مجلدات، كتابه الضخم الذي سفّه فيه الاسقف يوحنا النحوي (غرماطيقوس) القيسراني الملكي ، وكان قد بدأ به

(١) راجع سيرته بقلم تلميذه ايليا ·

بانطاكية[1] ، ونقضه السديد لمذهب الشيخ الأخرق يوليان الخيالي الاوطيخي أسقف هاليكرناس ·

فيوحنا غرماطيقوس ، كان قد وضع كتابا دفاعا عن المجمع الخلقيدوني ، وعزّزه بجملة شهادات ممسوخة ، نسبها الى الآباء القديسين والملافنة الأولين · ومما جاء فيه قوله : « حسنا قالوا ان ربنا وإلهنا يسوع المسيح هو في طبيعتين متحدتين وأقنوم واحد ، وهو نفس القول بطبيعة واحدة متجسدة للاله الكلمة » · فسخر مار سويريوس من مزاعمه الواهية ، لا سيما وقد تبيّن له من خلالها سقوطه في بدعة أخرى أكثر شناعة من الاولى ، ألا وهي « تجسّد الثالوث بكامله مع البشرية كلها » · وفي ردّه هذا شدّد النكير على غرماطيقوس ، وبرهن استناداً الى مقررات المجمع الخلقيدوني بالذات ، على أن هذا المجمع مظلم ، قائلا : ان القول بطبيعتين متحدتين دون اضافة واحدة متجسدة ، هو « للرأي المظلم » ، وفقا لتحديد القديس كيرلس الاسكندري عن الشرقيين ، الذي لم يفهمه غرماطيقوس · وقد ورد قول القديس كيرلس هذا ، في رسالته الى سوقنسوس أسقف قيصرية الجديدة ·

فلما تصفح الخلقيدونيون هذا المصنّف النفيس ، أخذوا يُنحنون على غرماطيقوس باللوائم قائلين : كان الافضل أن تعقل لسانك من أن تفتح فم أسد كهذا ضدنا ، اذ استأصل عقيدتنا من جذورها[2] ·

أما يوليان الشيخ ، فكان قد نُفي الى الاسكندرية مع غيره من الاساقفة الارثوذكسيين في سبيل الدين القويم · فسأله بعضهم مرة عن عقيدة الكنيسة ، فأجاب بمقال مستفيض ،

---

(١) اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام الاول برصوم ص ٢٤٠ ·
(٢) راجع سيرته بقلم مار يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ·

نقض فيه ذوي الطبيعتين. فلما وقف عليه القديس سويريوس وجده جانحا فيه الى بدعة أوطيخا. ولكنه صمت عنه خشية أن ينقسم بسببه بيت على بيت، خاصة وقد كان يوليان صديقا له حميما. وفي تلك الاثناء كتب اليه يوليان قائلا: ان قوما يقولون ان جسد المسيح قابل الفساد، مستندين الى رسالتي القديس كيرلس الاسكندري الى سوقنسوس والقيصر ثاودوسيوس (الثاني). فقد قال في الاولى: «ان الجسد الذي تألم، كان بعد القيامة ... غير قابل الفساد». وقال في الثانية: «انه لمن العجب العجاب أن يقوم الجسد القابل الفساد، بغير فساد». وقد حاولوا أن يدللوا بهذا على ان هذا الجسد كان قبل القيامة قابلا الفساد ـ كأنه مساوٍ لنا في الطبع ـ أما بعد القيامة فأصاب عدم الفساد. بل أروه المقالة السابعة والستين لكيرلس في العذراء القديسة والدة الاله، وقد جاء فيها قوله: «ان جسد ربنا لم يكن البتة خاضعا لخطيئة الفساد، لكنه كان قابلا الموت والدفن الحقيقي اللذين أبطلهما به». وعقّب يوليان على هذه الاقوال قائلا: انه اذ ظنها خطأ، رأى أن يرفع اليه مع هذه الرسالة مقاله أيضا ليفحصه ويكتب اليه بالسرعة الممكنة، كي يتمسك بالرأي السديد، وذلك تفاديا لخلاف قد ينشب في هذا الامر. وقبل أن يلقي القلم، أكد له مرة أخرى انه لا يجوز القول عن الذي لم يفسد «انه قابل الفساد»، وثوقا منه بأن الآباء الملافنة رأوا رأيه في ذلك.

واذ كان مار سويريوس قد سبق فوقف على مقاله المشار اليه، كتب اليه يقول: انه رغم تنقّله من مكان الى آخر، ورغم ضيق وقته حتى للأمور الضرورية، فقد فحص جهد الامكان مقاله، نزولا عند رغبته، مستعينا بما لديه في

الحاضر من مؤلفات الآباء • وذكر له ان بحثا مماثلا كان قد ثار مرة في القسطنطينية (في أثناء رهبنته) ، فحسمه هو بمقال معزز بأقوال آباء الكنيسة • ثم لمحّ الى وجود بعض الاخطاء في مقاله ، خاصة قوله : ان ملافنة البيعة المقدسة أفهموه خلافا لذلك • وقال : انه أرجأ ارسال ما كتبه حول هذا البحث لئلا ينسب البسطاء ذلك الى خلاف بينهما ، مع العلم الأكيد ان ما يُبحث حُبّيا ، مفيد • وطلب جوابه السريع قائلا : انه على استعداد تام لأن يفعل ما يريح محبته •

فأجابه يوليان ممتعضا من عدم كشفه له أخطاءه واستئصاله جذور شكه • وادعى مرة أخرى انه في كل ما كتبه في موضوع « التجسد الذي منا » انما أعلن الحقيقة الثابتة وفقا لرأي الآباء ، واعتقادا منه بأنه من المحال الايمان والقول عن المسيح « انه قابل الفساد أو غير قابل الفساد » قائلا : « اننا في الوقت الذي فيه نعتقد بتألمّ الذي شفى الجميع بحُبُره ، في هذا الوقت بالذات نعرفه منزها عن الآلام • كذلك ولئن عرفناه قابلا الموت ، فاننا نعترف بأنه بموته وطىء الموت ووهب الحياة للمائتين » • ثم التمس منه أن يوضح له آراء اثناسيوس وكيرلس الاسكندريين وغيرهما من آباء البيعة بل رأيه بالذات ، في هذا الشأن ، وأكد له انه قد اقتفى في هذا إثر الآباء ، وهو يعتقد بأنهم لا يناقضون أنفسهم بأنفسهم من جهة ، وبعضهم بعضا من جهة أخرى ، كما لايناقض مثلا قول بولس الرسول «ان الخلاص هو بالايمان لا بالاعمال » ، قول يعقوب الرسول « ان الايمان بدون الاعمال ميت » • وأورد قول القديس كيرلس القائل : « انه ليس من اليسر علينا قط القول بأن الفساد يستطيع أن يصيب الجسد الذي اتحد بالكلمة » ، وقارنه بقوله الآخر القائل :

« انه لعجب عجاب ، ان الجسد القابل الفساد قد ارتفع » • وسأله قائلا : « ترى ماذا يعني بهذا اذا كان لا يناقض نفسه بنفسه ، ويقول بفساد الطبيعة البشرية » ؟ واستطرد : « انه حمل أوهاننا بمشيئته لا عن اضطرار الطبيعة ، ورفع خطايانا بجسده الى الخشبة ومات عن خطيئتنا » •

فأجاب مار سويريوس قائلا : ان الآباء لا يناقضون بعضهم بعضا ، كما لم يكن بولس الرسول نقيض يعقوب الرسول • ذلك بأن بولس تحدّث عن الايمان الذي قبل العماد قائلا : انه يبرّر الانسان حين يؤمن ويعترف ويعتمد • أما يعقوب فأشار الى الايمان الذي يعقب العماد قائلا : انه ميت بدون الاعمال •

وقد استفاض مار سويريوس في شرح هذا الامر •

ويبدو من هذه الرسالة ، ان بعضهم كتبوا الى مار سويريوس بأن يوليان أذاع مقاله ليس في الاسكندرية وحسب بل في بلاد أخرى أيضا ، في حين انه كتب الى قسيس اسمه توما كي يحتجز عنده رسالة مار سويريوس لئلا يطّلع عليها المؤمنون ، الامر الذي استنكره مار سويريوس ، وأفهم يوليان انه لا يجوز لهما التخلّي عن النضال ضد الهراطقة ليشتبكا بعضهما مع بعض في الردود •

فلما تسلّم يوليان هذه الرسالة تميز غيظا وقاطع مار سويريوس ، ما حدا هذا القديس الى وضع كتاب ضخم معزّز بأقوال ملافنة البيعة ، أكد فيه ان الناسوت الذي اتخذه السيد المسيح منا ، كان حتى القيامة قابلا الآلام والاهواء البريئة خلا الخطيئة • وقد جاء مصداقا على عقيدته القويمة السليمة من كل شائبة • وأرسل نسخا منه الى يوليان والى بعض أشياعه ،

والى عدد وافر من المؤمنين والرهبان الذين أعرضوا عن باطله[٣] .

ويبدو أن الخلقيدونيين ضخّموا ما جرى بين مار سويريوس ويوليان ، وأشاعوا عن مار سويريوس انه فرّق مالا في الاسكندرية وأثار فتنة . وقد لمحّ الى هذا مار سويريوس في رسالته الى القيصر يوسطينيان في سنة ٥٣٣ موضحا مدى شناعة بدعة يوليان[٤] .

هذا وقد نقل هذه المراسلة والردود على يوليان ويوحنا النحوي (غرماطيقوس) الى السريانية ، بولس أسقف الرقة (٥٢٨ م)[٥] .

الفصل السابع والاربعون

اعتذاره عن حضور مؤتمر القسطنطينية

في سنة ٥٣٣ عقد القيصر يوسطينيان مؤتمرا في القسطنطينية من الارثوذكسيين والخلقيدونيين ، ستة أساقفة من كل جانب[١] ، ووجّه دعوة خاصة الى القديس مار سويريوس ، أعقبها بجملة رسائل من هذا القبيل . ولكنه اعتذر ولم يحضر . وقد استهلّ رسالة الاعتذار التي أنفذها الى يوسطينيان بالعبارة التالية التي دلّت على سلامة عقيدته :

« ان كلمة الآب الازلي ، ابن الله الذي تجسّد أخيرا ولم

---

(٣) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٠١ ــ ١١٣ . هذا وقد كان الأرمن بين الذين أغواهم تعليم يوليان .

(٤) فيه مج ٢ ص ١٢٣ ــ ١٣١ .

(٥) اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٤ .

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٧٠ .

يتغير ، وتأنّس كاملا بواسطة الروح القدس ومريم العذراء القديسة والدة الاله ، وتشبّه بنا في كل شيء ما خلا الخطيئة » ٠

ومما قاله ليوسطينيان في هذه الرسالة ، ان خصومه الدين ثلبوه وأبعدوه ، ظنوا انهم قد أوصدوا الابواب في وجهه من جميع الجهات ، فاذا به ــ كما بأعجوبة ومن دون أمل ــ يدعوه اليه برسائله ٠ فكما أنقذ الله بني اسرائيل من فرعون بواسطة موسى بأعجوبة ، كذلك هو (يوسطينيان) حالما قبض على زمام المملكة صرف الحزن عن جميع الرتب التي كانت في المنفى ، أي الاساقفة والاعيان والشعب ٠ وأردف : انه يخشى أن يرتعب كثيرون اذا ما تراءى هو في العاصمة ، في حين انه ليس سوى انسان ضعيف تحت نير الخطايا الثقيل ، وبسبب محبته له يتميّزون غيظا ويلحّون ويقلقون عظمته ٠

وفي هذه الرسالة أيضا ، نفى ما ثلبه به بعضهم بأنه وزّع في الاسكندرية مالا وفيرا ، فسبّب فتنة كما مر معنا ، ويقول: انه عاش منذ البدء مسكينا ولا يزال كذلك كسبط لاوي ٠ وقد فنّد بدعة الشيخ يوليان الخيالي أسقف هاليكرناس الآنف الذكر ، وبيّن للقيصر بشاعتها ٠

والتمس أخيرا من القيصر أن يعذره ولا ينزله بين الناس، وقد ضعف جسدا ونفسا ، وشاخ ووخطه الشيب مؤذنا بقرب مغادرته العالم ٠ وقال : انه سهل عليه أن يقيم مستترا حيث هو ، لان أيامه السالفة أيضا قد أمضاها متخفيا منزويا كراهب ٠ وختم الرسالة بالصلاة لأجله ولأجل مملكته ، متمنيا أن يتم اتحاد الكنائس المقدسة في عهده[٢] ٠

---

(٢) راجعها في تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٢٣ ــ ١٣١ ٠

وكان بين الاساقفة الارثوذكسيين الستة الذين حضروا المؤتمر ، سرجيس أسقف قورش ، توما أسقف مرعش وفيلوكسين أسقف دلوك[٣] كما ذكر المطران يوسف الدبس نقلا عن السمعاني - المكتبة الشرقية مج ٢ ص ٨٩ - عن امينوشنسيوس أسقف مارونيا في كلامه على مؤتمر القسطنطينية سنة ٥٣٣[٤] .

الفصل الثامن والاربعون

تهنئته مار ثيودوسيوس الاسكندري

لقد تبوّأ السدة المرقسية الاسكندرية في الربع الاول من القرن السادس ، ثلاثة باباوات ، تميّزوا بالتقوى والتمسك الوثيق بالارثوذكسية . وهم يوحنا الثاني (٥٠٥ - ٥١٦) ، ديوسقوروس الثاني (٥١٦ - ٥١٨) وطيمثاوس الثالث (٥١٨ - ٥٣٥) . وهذا الاخير ، ليس انه لم يتزحزح ولم يسلّم بالمجمع المسكوني فحسب ، بل رحّب أيضا بسرور بالغ بالاساقفة والكهنة الهاربين الى مصر وشجّعهم[١] . واليه أرسل ابراهيم ملك الحِميريين بعد سنة ٥٢٥ واستقدم أسقفا للحِميريين[٢] . وفي مطلع عام ٥٣٥ توفي ، فاغتصب الكرسي الاسكندري شخص اسمه جنيس ، كان من أشياع يوليان الخيالي . ولكنه عُزل بعد ثلاثة أشهر ليُنصَّب شرعيا بدلا منه ، القديس ثيودوسيوس الصديق الصدوق لمار سويريوس[٣] .

---

(٣) كانت مدينة في سورية تبعد عن سميساط واحدا وأربعين ميلا .

(٤) تاريخ سورية مج ٤ ص ٤٨١ و ٤٨٢ .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٧ .

(٢) فيه ص ٢٧٤ .

(٣) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٥ .

وفي حزيران وجّـه الى مار سـويريوس رسالته المجمعيـة (السلامية) الاولى ، حملها اليه وفد مؤلّف من الأساقفة : أوسابيوس ، اورنيس، توما، ايوانيس وطيمثاوس ، والقسوس: امونيوس ، تاوفمفطوس وألفيوس ، والشمامسة : ايوانيس، اوفموس (اوفمكوس) وابيفانيوس • وفيهـا أكبر منزلة مار سويريوس بقوله : « ان الله القدير أقامه قضيبا بوسعه أن يثمر ثمار الرسل والمبشرين » • وتساءل منذهلا قائلا : « ترى من في جيلنا هـذا ، أيها القديس ، حرس في نوبته الروحية ، واعتلى بقوة الله صخرة الرجاء بالمسيح ، الصخرة الثابتة وغير المتزعزعة ، وطبع على غرار آبائنا الطوباويين القديسين في تعلّم الاسرار الالهية بنقاء ، كنفسك الطاهرة القديسة اليقظة الكدودة » ؟ وأردف : « انه اعتمادا على عون الله وشركته (مار سويريوس) التي زادته يقظة لا تُقهر ، تسلَّم بسرور مجاذيف البيعة المقدسة التي لا يدري بأيأقوال أحكام الله غير المدركة أُخذ الى ادارتها »•وبعد أن سرد صورة إيمانـه ، خلص الى القول : « ان على أساس هـذه التعاليم الرسولية والابوية والالهية التي لا عيب فيها ، نعطيكم يمين الشركة أيهـا الاخ القديس ، أنا وجميع الكنائس التي في ولاية كرسي الاسكندرية الانجيلي » •

وفي ٢٦ تموز أجابه مار سويريوس برسالة مجمعية جليلة في ٢٢ صفحة ، رصّعها بأغلى درراريه اللاهوتية والتفسيرية • ومما جاء فيها قوله : « انه قبل تسلّمه رسالته المجمعية ،كان قـد علم باعتلائه الكرسي الانجيلي ، وسُرّ بذلك سرورا بالغا ، ولكنه في الوقت نفسه تألّم كثيرا لِما انتابه من الآلام في سبيل كلمة تقوىالله • • • ولا غرو ، فانها قد انتابت بولس العظيم أيضا حين بدأ بالرسالة والتعليم ، من اليهـود الذين

همّوا في قتله في دمشق ... ان هـذه الامور الصعبة انما جرت لاختباره ليس إلا » . وأردف : « انه لما تسلّم رسالته من الاساقفة والاكليريكيين الذين اوفدهم اليـه ، احتضنها ووضعها على عينيه علّه يراه فيها قريبا منه ويُقبّله أخويا » . وبعد أن أثبت إيمانه القويم ، قال : « انه ما دام يستنشق هذا الهواء لن ينفصل عن الاتحاد الروحي والاتفاق معه » . وأردف : « انــه اذا ما استند بثقة الى الايمان القويم الذي هو مصـدر جميع الخيرات ، سيثبت الى الابد ، ولن يغلبه لا التكريم ولا العطايا ولا الذهب (المـال) الذي يُبذل . ذلك ان العطية والظلم يُمحيان ، أما الايمان فيثبت الى الابد . كيف لا وان مال الظالمين سيجفّ كالنهر ، وان الظالمين سيبيدون لا محالة »[٤] .

قال الدكتور أسد رستم : « وكدّت ثيودورة للمونوفيسيين وسعت . فعلمت بقُرب أَجَل تيموتاوس الثالث بطريرك الاسكندرية فأرسلت في مطلع السنة ٥٣٥ أحد خدامها الخصي كالوتيخيوس الى مصر فحضّ السلطات فيهـا على مسـاعدة ثيودوسيوس الشماس أحد تلاميذ سويريوس الانطاكي »[٥] .

قلنا : أولا ــ ان القديس ثيودوسيوس لم يتبوأ الكرسي الاسكندري فور وفاة القديس تيموتاوس الثالث ، بل بعدها بثلاثة أشهر . ذلك ان جنيس الخيالي كان قد اغتصبه هذه المدة كما أسلفنا . قال زكريا الفصيح المعاصر لهذا الحادث : « في الاسكندرية بعد عزل جنيس الخيالي الذي ظلّ هناك ثلاثة أشهر بعد وفاة طيمثاوس نُصّب ثيودوسيوس المؤمن ، الجميل المنظر ، الفصيح ، اللطيف والوديـع ، وكان صديقا ودودا

---

(٤) الاسناد السريانية طبعة شابو ص ٥ ــ ٣٤ .
(٥) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٧١ .

للقديس سويريوس »[٣] • من هنا لا صحة لزعم أسد رستم ، وإلا لنُصّب ثيودوسيوس فور وفاة تيموثاوس • ثانيا ـ لم يكن تنصيب مار ثيودوسيوس بمساعدة السلطات كما وَهَم أسد رستم ، لكنه كان ضد هذه السلطات التي ضيّقت على ثيودوسيوس وشددت عليه الخناق بما يعجز القلم عن وصفه، وبسببه على كنيسة كرسي الكرازة الانجيلية برمتها ، وذلك من أجل الايمان الرسولي ، ما حداه أن يقول في رسالته السلامية الى مار سويريوس ومار انتيموس القسطنطيني ، « قد يضطرّه الامر إما الى الهرب تلقائيا ، أو الى الصبر على مضض اضطهاد الخصوم الذين سمحت لهم الظروف آنذاك أن يفعلوا ما يشاؤون هناك أيضا ، أو الى تحمُّل النفي »[٦] • فلو كان تنصيبه بتدخّل ثيودورة ومساعدة السلطات ، إذن لما ابتلته السلطات نفسها بهذه الشدة العنيفة •

الفصل التاسع والاربعون

شخوصه الى القسطنطينية

بعد رسالة الاعتذار التي أنفذها مار سويريوس الى القيصر يوسطينيان الاول ، تناول منه جملة رسائل مُلحّة في وجوب حضوره الى القسطنطينية كما مر معنا • واذ لم يرَ بدّا من تلبية دعوته[١] ، توجّه في شتاء[٢] سنة ٥٣٥

(٦) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ و ١٦٩ •

(١) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣١ •

(٢) ذكر الدكتور أسد رستم ان ذلك تم في صيف سنة ٥٣٥ في حين أن سيرة مار سويريوس تذكر الشتاء وهو الأصح • ذلك ان مار سويريوس كان في مطلع هذه السنة عند رسالة ثيودوسيوس الاسكندري ، في مصر حيث قابله في حزيران وفد ثيودوسيوس حاملا اليه رسالته السلامية ، ومنها كتب اليه في تموز جواب هذه الرسالة • وفي الشتاء شخص الى القسطنطينية •

وهموم الكنيسة المضطَهدة تعتلج في صدره ، دون أن يأبه لنفسه ، رغم أن الموسم كان غير مشجع على ركوب البحر ، مبينا بهذا انه ليس هنالك مَن هو أقوى ممن هو مستعد أن يتألم في كل شيء من أجل الحق · أجل ، شخص الى القسطنطينية وهو يعلم يقينا أن لا فائدة من شخوصه ، ولكنه فعل ذلك تفاديا لِما قد يتقوّله عليه المغرضون ، بأنه يقف عقبة كأداء في سبيل اتحاد الكنائس ، مضحيا بالجميع حبّا بنفسه ! بيد أن المغبة أنّبتهم على سوء تقديرهم للأوضاع[٣] ·

ولما وصل الى العاصمة البيزنطية ، رحّب به يوسطينيان في بلاطه ترحيبا بالغا ، بتأثير الملكة ثيودورة ، التي كانت تحبّ مار سويريوس حبّاً جمّا ، مكبرة فيه فضيلتي العفة والتجرد[٤] ·

وما ان انتهى نبأ وصوله الى مار أنتيموس القسطنطيني ، حتى تاق الى مقابلته ، فحققت له الملكة ثيودورة هذه الأمنية ، التي أسفرت عن دخوله في حظيرة الارثوذكسية وانضمامه الى صفوف المناضلين الذائدين عن ذمارها[٣] · وفي أعقاب ذلك وجّه اليه والى مار ثيودوسيوس الاسكندري رسالته السلامية التي ضمّنها معتقده القويم كما سيأتي ·

---

(٣) سيرته بقلم مار يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ·
(٤) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٥ ·

الفصل الخمسون

اجتذابه مار أنتيموس القسطنطيني الى حظيرة الكنيسة

في حزيران سنة ٥٣٥ توفي ابيفانيوس القسطنطيني ، فأجمع القيصر والاساقفة على تنصيب مار انتيموس أسقف طرابزونطا خلفا له نظرا الى سيرته الفاضلة[١] ٠

قال الدكتور أسد رستم : « وفي شهر حزيران توفي ابيفانيوس القسطنطيني ، فتدخّلت ثيودورة وجعلت زوجها والاساقفة يوافقون على سيامة انتيموس أسقف طرابزون بطريركا على رومة الجديدة ٠ وكان أنتيموس هذا يتظاهر بالارثوذكسية ويُبطن القول بالطبيعة الواحدة ٠ فلما تبوأ العرش القسطنطيني وجّه رسالته السلامية الى سويريوس وثيودوسيوس معتبرا كلاً منهما أسقفا شرعيا ، متناسيا خلع سويريوس عن عرش انطاكية وقيام افراميوس بطريركا أرثوذكسيا على سدة الرسولين »[٢] ٠

قلنا : أولا ــ لم يكن أي تدخّل لثيودورة في سيامة القديس أنتيموس ٠ قال المؤرخ زكريا الفصيح : كان أنتيموس في أول أمره ناسكا ، متجردا ، محبّا للمساكين ومؤمنا ٠ وكان أسقفا على طرابزونطا ٠ فلما توفي ابيفانيوس القسطنطيني، جاء الى القسطنطينية في بعض أموره ٠ واذ كان فاضلا بسيرته ومعروفا لدى القيصر وعظمائه ، انتُخب ونُصّب بطريركا

---

(١) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٥ ٠

(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٧٢ ٠

على القسطنطينية · ولكنه لم يقبل المجمع الخلقيدوني عن عقيدة »[١] · ثانيا – لم يكن يبطن القول بالطبيعة الواحدة ، لكنه لم يقبل المجمع الخلقيدوني عن عقيدة كقول زكريا الفصيح ، أي انه لم يكن مرتاحا لِما حدده هذا المجمع في ما يخصّ عقيدة الكنيسة · ثالثا – انه لم يوجّه رسالته السلامية الى مار سويريوس الانطاكي ومار ثيودوسيوس الاسكندري فور تبوّئه العرش القسطنطيني بل بعد أن تمت مقابلته للقديس سويريوس ودخوله في حظيرة الارثوذكسية كما مرّ معنا · واليك ما قاله كاتب سيرة مار سويريوس المعاصر لهذا الحادث : « في تلك الايام ، تاق مار آنتيموس القسطنطيني الى رؤية مار سويريوس ، فالتمس من الملكة (ثيودورة) أن تحقق له ذلك · فلما أفضت الى مار سويريوس بهذه الرغبة المُلحّة ، تأنّى في الاجابة الى سؤلها ، منتظرا قضاء أمره من العلاء · ثم اذن في ذلك · فلما دخل عليه مار أنتيموس ، طأطأ رأسه أمامه وطلب اليه أن يصلّي · واذ أَبى مار سويريوس قائلا : انه لا يجرؤ على هذا الامر ، كرر عليه الطلب ، فصلّى · ولما انتهى من الصلاة ، آجاب هو آمين · ثم جلس · فقال له مار سويريوس : انني أثني على هذا العمل الذي هو تقريبا غير جسداني ، وانني أصلّي ليتلألأ هذا الايمان القويم · فقال له الشيخ المكرم : انني يا أبانا لم أقبل تحديد المجمع الخلقيدوني إلا لابسال نسطور وأوطيخا · فقال له أيها العجيب ، اذا كنت تعتقد بأن للهراطقة سلطانا على الابسال ، فمن الضرورة أن تعتقد أيضا باستقامة إيمانهم · ذلك اننا بالتعليم الصحيح وحده يمكننا أن نؤنّب الماردين كما قرر بولس العظيم · وشاهدنا على هذا ، ان

مجامع كثيرة للهراطقة الاريوسيين طردت هراطقة... وليس لاجل هذا يجب أن نقبل مجامع أولئك الهراطقة لابسال الهراطقة الذين نبذتهم. فمن ليس له ايمان قويم لا يستطيع أن يؤنّب ولا أن يفصل . فالذي ينكر ايمان بطرس قد نُزع منه سلطان هذا أيضا . فذاك قال له المخلّص حين اعترف به إلها : « سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما ربطته على الارض يكون مربوطا في السماوات ، وكل ما حللته على الارض يكون محلولا في السماوات » . لذلك فبما ان هذا المجمع قد أنكر ايمان بطرس ، ليس له سلطان أن يحل أو يربط أو يُبسل أيضا . فلما استوعب هذه الأمور وخطّها في ذهنه جيدا ، خرج من عنده وترك للحال كل شيء ، العرش ، المنبر ، ألأُبّهة والمجد . وبعد آن قابل القيصر وصرّح أمامه بأشياء كثيرة ، خرج من لدنه وصار نصيب المضطَهدين بل بطريركهم ومعلّمهم »[٢] . عند ذاك وجّه رسالته السلامية الى كل من سويريوس وثيودوسيوس. رابعا ـ ان مار أنتيموس لم يتناسَ ما أتاه الخلقيدونيون في حق مار سويريوس من غبن وغشم ، كما لم يتناسَ قيام الطاغية افرام الآمدي . ولكنه كان يعتقد في قرارة نفسه بأن مار سويريوس هو بطريرك انطاكية الشرعي ، وان عمل الخلقيدونيين انما كان ظلما وعدوانا وتعدّيا على عقيدة الكنيسة وشرائعها . كيف لا وان أنتيموس وجّه رسالته هذه بعد أن تخلّى عن عرش القسطنطينية واعترف بالايمان الارثوذكسي واتحد مع سويريوس كما مر معنا .

---

(٢) سيرة مار سويريوس بقلم مار يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا .

الفصل الحادي والخمسون

تبادله ومار أنتيموس الرسائل السلامية

بعد أن دخل القديس أنتيموس القسطنطيني في حظيرة الارثوذكسية على النمط الذي وصفناه في ما سلف ، تبودلت رسائل سلامية جليلة[1] بينه وبين القديسين سويريوس الانطاكي وثيودوسيوس الاسكندري من جهة ، وبين القطبين الاخرين من جهة أخرى . وكانت فاتحتها رسالة أنتيموس الى سويريوس .

يسمي مار سويريوس « البطريرك الطاهر القديس والاخ الشريك » ، ويُطري « أعماله الجليلة وأتعابه الرسولية وتعاليمه الروحية المنبثقة من النعمة الالهية » ، ويُكبر « نضاله العنيد المديد الذي لم يضاهه فيه أحد زمانئذ ، وهو يتنقل من مكان الى آخر لئلا يتزعزع ايمانه » . ويقول : « انه لَيرى فيه ملافنة البيعة ، اذ وضع السراج على المنارة جيدا وعلانية وهو يتلألأ قولا وفعلا » . واذ يشكر الله لانه أقامه رئيسا للبيعة المقدسة التي في العاصمة ، يشترك معه في هذا السلام الاول الروحاني الطافح بالمحبة مسرورا باتحاده معه . وبعد أن يتحدث عن نفسه بأنه تسلّق ذروة هذه الرتبة بدون استحقاق ، ويقول ان شقاق الكنائس يعذّب نفسه كثيرا ويحزنها ، يُنحي باللوائم على الخلقيدونيين قائلا : انهم اذ يتظاهرون بأنهم ينفرون من التعليم « بالتغير والتبلبل » — مع ان لا وجود لهذا التعليم (في بيعة

---

(١) راجع هذه الرسائل في تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٤١ ـ ١٧٣ .

الارثوذكسيين) ـ يخاصمون ويقسمون الاله الكلمة الواحد وغير المنقسم والمتجسد بدون تغير » ·

أما ايمانه فهو ايمان « المجامع المسكونية الثلاثة » · فهو يسمي نسطور « عابد الانسان » . ويقبل جميع مصنفات القديس كيرلس الاسكندري بمثابة ناموس مقدس ، وهنوطيقون « زينون ذي النهاية الصالحة » الذي كان « لنقض المجمع الخلقيدوني وطومس لاون » ، ويعتقد « بتجسد الاله الكلمة الكامل من الروح القدس ومن مريم القديسة والدة الاله الدائمة البتولية ، بدون تغير وتبلبل ، وبالاتحاد الاقنومي والطبيعي » ، ويعترف « بأن والدته هي والدة الاله حقا ، وانها لبثت بتولا بعد الولادة أيضا ، وان المولود منها في الجسد هو اله تام وانسان تام ، وله طبيعة واحدة من طبيعتين بدون تبلبل ، وانه آحد الثالوث ولم يُضف الى الثالوث رابوعا ، وهو غير متألم لمساواته للآب في الجوهر ومتألم في الجسد لمساواته لنا في الجوهر ، فلم يتألم الكلمة الاله في طبعه الالهي بل في الجسد الذي من طبعنا ، وقد تألم حقيقة لا خياليا ، واحتمل الآلام الارادية والطبيعية البريئة ، ومنها الموت على الصليب ، في جسده القابل الآلام الذي أصلحه بأعجوبة قيامته اللائقة بالله وجعله غير متألم وغير مائت وغير قابل الفساد على أنواعه ، في حين انه كان منذ الاتحاد في الحشا قدوسا بلا خطيئة ، وان الطبيعة الواحدة المشار اليها هي «إلهية وبشرية» معا ، لا يبلبلهما عدم تمييز خواص اللاهوت والناسوت ، وان عمانوئيل هو واحد من اثنين » · ويحرم جميع الهراطقة فردا فردا . أشهرهم : أريوس ، مقدونيوس ،أوطيخا والخياليون ، نسطور ،طومس

لاون ، المجمع الخلقيدوني والقائلون بالطبيعتين بعد الاتحاد وبرصوم الفارسي (النصيبيني) ٠

ويخلص الى القول : « انه وفقا لهذه التعاليم الرسولية الالهية التي لا عيب فيها والتي هو متمسك بها حتى النسمة الاخيرة ، يعطيه يمين الشركة ، ويسأله أن يصلّي لاجله الى المسيح ليؤهلّه أن يُمضي ما تبقّى من عمره بحسب مشيئته . وينجيه من التجارب المعدّة له ، وان يمضي اليه بهذا الايمان الذي يجاهد في سبيله على قدر طاقته » ٠

فلما تسلّم مار سويريوس هذه الرسالة الجليلة ، بادره بمثلها ٠ وفيها يسميه « البطريرك الطاهر والقديس في كل شيء والاخ والشريك » ٠ ويشكر الله على آلائه ، « اذ فور جلوسه (أنتيموس) على كرسي بطريركية بيعة العاصمة ، استوجب حبّا بالايمان القويم ، احتقار ذروة رئاسة الكرسي التي هي للآخرين سبب في التخلّي عن ايمانهم » ٠ وقد شبّهه بابراهيم رئيس الآباء الذي بعد تنقّله في بلاد شتى ، جاء في نهاية المطاف الى بلد شرب من بئره وسمى بئره « بئر الاقسام » ، وغرس ثمة غرسات مثمرة ٠ وقال : « انأنتيموس أيضا بعد إقامته في جملة أماكن ، وصل الى كرسي العاصمة المشحون بالخيال العالمي والغنى الفاحش ٠ ولما شعر بأن بعضهم يريدون أن يُرجعوه الى العقل الرذيل ، لم تتعثر بصيرته بجمال العالم وبمجد أباطيله الفانية » ٠ وأكد له سروره العظيم بهذه البشرى التيكانت ضرورية ليُنهيها اليه برسالته القانونية والبيعية ٠

وفي جوابه هذا أكد له تمسكه هو أيضا بنفس الايمان الذي تضمنته رسالته السلامية اليه ٠ وبما اننا سنبحث في

فصل خاص عقيدة مار سويريوس ، فلا نرى ضرورة اثبات هذا الايمان هنا ·

وقد صارحه بأنه على ضوء هذا الايمان يفرح بشركته مع طهره · وشجعه على الجهاد والنضال · ومما قاله له في هذا الصدد : « اذا جعلوك تحت الحرم ، فقل مع داود « هم يلعنون وأنت تبارك الخ » · ذلك انالذين يؤمنون ايمانا قويما فقد دنوا من جبل صهيون مدينة الله الحي أورشليم السماوية كقول الرسول · فالذين اختلطوا هكذا بكنيسة السماء ، كيف يصيبهم من يرشقهم من الارض ؟ لا شك في ان سهامه تعود اليه · « فمن رمى حجرا الى العلى رماه على رأسه » كقول أحد الحكماء · وبيّن له ان هذا الاتحاد تم بواسطة هذه الرسالة القانونية ، وسيكتب بهذا الىشريكه مار ثيودوسيوس القديس بابا ورئيس أساقفة الاسكندرية المدينة العظيمة ومُحبة المسيح ، الذي تعب كالرسل وناضل ولا يزال يخاطر بنفسه في سبيلالعقيدة الارثوذكسية ،مضاعفا بتعبه اليومي الوزنات التي اؤتمنها » · وأكد له انه (أنتيموس) اذا ما كتب اليه سيجاوبه برسالة الموافقة والشركة وفقا لدساتير الكنيسة المقدسة وشرائعها ·

الفصل الثاني والخمسون

زفه البشرى الى ثيودوسيوس الاسكندري

في أعقاب الرسالتين السلاميتين المتبادلتين بين أنتيموس وسويريوس ، كتب الاخير الى مار ثيودوسيوس الاسكندري رسالة فيها يسميه « رئيس الكهنة الطاهر والقديس في كل

شيء والأخ الشريك الدي هو أحب اليه من كل أخ طاهر » . ويبشّره بتضاعف فائدة الكنيسة التي اقتناها المسيح الاله . بدمه ، وذلك بانضمام القديس أنتيموس راعي كنيسة العاصمة الى شركته برأي الايمان الصحيح ، بعد آن قطّع وثق فساد الهراطقة واشراكهم ، ووبخ النفاق سرا وجهرا ، وكتب بالتفصيل متبرئا من شركة الخصوم (الخلقيدونيين) ، وأنفذ اليه بالذات رسالته السلامية التي فيها تعهد باشتراكه في العقيدة الارثوذكسية الكاملة . وحرم المبتدعين والغرباء فردا فردا وفقا لفرائض الرب التي سلّمها الآباء الروحيون الى الكنيسة . وأكد له مار سويريوس ان عمل مار أنتيموس هذا قد تم بمشيئة صالحة ، ولهذا سارع هو في إنهائه اليه . ولم يفته أن يقول له : « لقد كان يجب على القديس أنتيموس أن يبادر أولا الى الكرسي الانجيلي (الاسكندري) ويقدّم بواكير الموافقة لثيودوسيوس ، ولكن ضيق الوقت وبُعد المكان والاسراع في الامر ، كل هذه بدّلت النظام . هذا فضلا عن أن الامر قد تم سرّا ، كما كانت أبواب علّية الرسل مغلقة خوفا من اليهود ، على ما ذكر يوحنا الانجيلي » . وأردف : « انه قد قرن الى رسالته هذه صورتي الرسالتين السلاميتين المتبادلتين بينهما ، اعتقادا منه بأنه سيفرح بأنتيموس ولا سيما لدى مطالعته اياهما . هذا مع علمه الاكيد بأن وكيله القس ثاوفمطس الذي اشترك مع مار سويريوس في هذا الاجراء ، يكون قد سبق فأخبره به » .

فأجابه مار ثيودوسيوس برسالة طافحة بالمحبة والايمان . وفيها يسميه « البطريرك الطاهر والقديس في كل شيء والاخ الشريك والرئيس المحبوب اليه أكثر من الكل ، وصخرة المسيح وحارس الايمان النقي وغير المتزعزع والاب القديس » .

ويُطري منذهلا ، فضائله التي « لا لوم فيهـا » ، ويقول : « انه لا يدري بأيّ منها ينذهل أولا . اذ ليس فيها فضيلة صغيرة ، بل كلها صعبة الممارسة • واذ يُعجب بأعمال سيرته الخشنة اللائقة ، تجتذبه فضيلة العفة ونقاء الايمان ، وأعمال الصلاح لمدة مديدة من أجل الله ، وهربه من مكان الى آخر مؤثرا احتمال الآلام على تزييف شيء من الايمان القويم • كما انه لا يدري ، بأية رتبة يضع ملفنته التي توبّخ الضالين وتخلّص المؤمنين وتغرسهم بجوار الايمان الصحيح • كيف لا وقد قال له المسيح ما قاله الآب لارميا النبي « هوذا قـد وضعت كلامي في فمك » ، وقال عنه ما قاله عن بولس الرسول « انه إناء مختار لي » • وينسب الى أعمال نفسه « الطاهرة اليقظة » ، الخير الكبير الذي عمّ بيعة الله بانضمام القديس انتيموس القسطنطيني اليها • وجوابا لقوله له « انه يحفظ للكرسي الانجيلي الكرامة الاولى اللائقة به » ، يقول « ان ذلك انما يليق حقا بنفسه القديسة التي تسعى أن تفعل كل شيء عدلا بحسب مشيئة الله ، وان كرامته الاولى التي تبهجه كثيرا هي الكرامة التي يقدمها لمار سويريوس عدلا كل أحد ، وانه لمستعد أن يسلّم بدون ريب بما يرضيه في سبيل البيعة المقدسة ، علما منه بأنه لا يفتر عن عمل ما ينفع الكنيسة وعن الاستشـارة » • ويصف انتيموس بأنـه « يتلألأ الآن بالاعمال والايمان » وقد وطىء الغنى الزائل ، وأيقن أن العظمة البشرية ليست شيئا ، ونادى علانية بالايمان الحق الذي لا يخيب ، الامر الذي ابتهجوا به وعيّدوا له روحيا بما لا يمكن وصفه •

وأخبره في هذه الرسالة ، بأن كرسيه الانجيلي تسلّم من انتيموس رسالته السلامية كالتي سبق فأرسلها هو اليه ، وهي

خالصة من كل شائبة ، مما جعله أن يقول : لقد أُضيفت بهذا الحادث خيرات الى بيعة الله المقدسة ، وآن يسارع الى مبادلته برسالة مماثلة ، أرسل اليه صورة عنها ، اذ لم يشأ أن يفوته شيء من أموره ولا سيما التي تخصّ كنيسته ٠

وفي هذه الرسالة أيضا ، أخبره بالشدة التي ابتلته بها السلطات في الاسكندرية كما مر معنا ٠

الفصل الثالث والخمسون

ذكره في رسالتي انتيموس وثيودوسيوس السلاميتين

لقد تضمنت رسالة مار انتيموس الى مار ثيودوسيوس ، فضلا عن اتفاقه معه في وحدة الرأي والايمان كما سبق فكتب الى مار سويريوس ، إكباره أيضا لكفاءته ولقيادته الحكيمة ٠ فهو يسميه « البطريرك الطاهر والقديس في كل شيء والاخ الشريك » ، ويقول : « ان الله قد أعد قداسته ليتبوأ رئاسة شعب الاسكندرية العظيمة ، وسلّم اليه مجاذيف الكنيسة ليس في حالة الهدوء بل في تلاطم الانواء ، لانه كفوء لأن يقود السفينة فوق الامواج الى أمن ميناء المسيح الاله بالروح القدس المسجود له ٠ ذلك انه بصلوات آبائه القديسين المدبرين الاولين ، اؤتمن بنعمة الله ، رئاسة الشعب محب المسيح الذي بواسطة الايمان القويم وغير المتزعزع ، يقتفي اثر تعليم الآباء ويجاهد قولا وفعلا حتى الموت من أجل راعيه» ٠

فأجابه مار ثيودوسيوس بمنتهى المحبة والايمان ومخافة الله والسرور ٠ وقد سماه « بطريرك العاصمة ورئيس الاساقفة الطاهر والقديس في كل شيء والاخ الشريك » ٠

وقال : « انه رئيس كهنة حكيم ويقظ ، احتقر مجد الناس حفاظا منه على تقوى الله ، وان عمله هـذا يذكره باعجاب جميع الذين أحسّوا بـه من المؤمنين ، وستنذهل به أعمال الرب كلها حين يُذكر في جميع الكنائس المقدسة • ومع هذا فهو ليس أسـمى من بقية سـيرته الرسولية المقدسة » • ثم امتدح نسكه الخشن الدائم قائلا : « انه كموسى النبي حسب عار المسيح غنى أعظم من كنوز مصر ، مؤثرا التألم مع شعب الله على نعيم الخطيئة الوقتي • واما مايعانيه هو (ثيودوسيوس) من الضيقات مع كنيسة الكرسي الانجيلي ، والذي ليس من الهين وصفه ، هو بعينه يعانيه هو أيضا (انتيموس) من أجل الايمان القويم الرسولي » • وبعد أن أعلن اتفاقه بالرأي معه ومع سويريوس « القديس بطريرك الكنائس الشرقيـة » « لصيانة التعاليم الالهية الحقيقية » ، بيّن له « انه (انتيموس) جعله ينسى كل الشدات التي انتابتهم في الكرسي الانجيلي المرقسي » ، « وان الله ساعد كنائسه المقدسة باقامته اياه الآن مثبتا لها وأول مجاهد في سـبيل تقوى الله » • وأخبره بأن رسالته السلامية ، كان قد كتب له عنها « القديس البطريرك سويريوس الذي هـو سبب كل الخيرات والمعونات لكنيسـة المسيح ولي » •

الفصل الرابع والخمسون

تأسفه من عمل أغابيط الروماني

كان البطاركـة الثلاثة : سـويريوس ، ثيودوسـيوس وأنتيموس ، مرتبطين معا برباط المحبة الوثيق ، الامر الذي أقضّ مضجع افرام الانطاكي الدخيل ، وحداه أن يستقدم

الى القسطنطينية أغابيط الروماني (٥٣٥ ــ ٥٣٦) ، ليحرّض القيصر ضد هؤلاء البطاركة القديسين ، اذ كان من بني جنسه ولغته · وفي تلك الاثناء شخص الى انطاكية سرجيس رئيس أطباء رأس العين المعروف[١] ، ليشكو أسقفها اسول الى افرام المشار اليه · فلما اختبره افرام ، أُعجب بتمرسه بالأمور ، فوعده بالاجابة الى سؤله شريطة أن يحمل رسالة الى أغابيط · فرضي وسافر الى رومة يصحبه فتى آمدي · فرحّب أغابيط بهما وسُرّ بالرسالة التي تضمنت موافقة افرام على رأيه ودعوته اياه الى القسطنطينية · ثم قام يرافقهما الى القسطنطينية التي بلغها في آذار سنة ٥٣٦ · فأجرى له القيصر استقبالا حافلا ، لا لانه من بني جنسه ولغته وحسب ، بل لكونه أيضا رئيس كهنة ايطاليا التي كانت قد خضعت له حديثا[٢] ·

وقد أخبرنا المؤرخان زكريا الفصيح ويوحنا الافسسي المعاصران لهذا الحادث ، ان أغابيط كان يعرف من الكتاب العزيز حرفيته فقط دون معناه · أما رأيه في تجسد كلمة الله ، فكان وضيعا جدا ، بحيث ان تجاديف أشياع بولس السميساطي كانت تُفضّل عليه · من ذلك انه قال بالطبيعتين للمسيح نتيجة اعتقاده بسبق حَبَل العذراء بالجنين لحلول اللاهوت فيها كرأي المتبدعَين ديودوروس الطرسوسي ونسطور ، وأبى أن يسمي العذراء مريم « والدة الاله » · بل أوشك أن

---

(١) هو سرجيس الرأسعيني الشهير ، الذي تضلع من اللغتين السريانية واليونانية ، ونقل من الثانية الى الاولى بعض كتب الفلاسفة اليونانيين · وشغف بالفلسفتين الارسطاطاليسية والافلاطونية الجديدة أي فلسفة « أفلوطين » ، ووضع تآليف في المنطق والطب (تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٦ واللؤلؤ المنثور ص ١٥٦ و ١٥٧) ·

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٧ ·

يُصدر أمرا بابطال ذكرها من الكنيسة .وبعدم إبقاء صورتها مرسومة في أي مكان ، لولا أن باغته القضاء من السماء[٣] ٠

كان مار زعورا الناسك السرياني الشهير ، قد أمَّ القسطنطينية مع من أَمَّها يومذاك من الاساقفة والرهبان ٠ وكانت أخباره العجائبية قد بلغت رومة حتى أقلقت راحة أغابيط ٠ فلما شخص الى القسطنطينية ولمس نفوذه المتزايد في جميع الاوساط ، قرر القضاء عليه مهما كان الثمن غاليا٠ وفي مقابلته للقيصر أخذ يعاتبه قائلا : لماذا تركت ذلك السرياني[٤] المضل المقيم ههنا ، أن يستميل العالم الى ضلاله؟ أما القيصر فاذ كان مقتنعا كل الاقتناع بقوة مار زعورا العجائبية ، أجابه : وماذا في وسعي أن أفعل به ؟ انه رجل قاسٍ لا يهاب الناس ٠ فقال له أغابيط : « أوكل الي أمره ، فاما يُذعن لنا أو يُطرد من جميع البلاد » ٠ فأجاب القيصر الى رغبته ٠

كان مار زعورا يقيم مع تلاميذه في عبر سوقوس ، في بناية ضخمة كانت قد وهبته اياها القيصرة ثيودورة التقية ٠ وفي أوائل الصوم الاربعيني أرسل اليه أغابيط بواسطة بعض الرسميين يقول : « لقد أمرنا نحن ــ الملك والبطريرك ــ إما أن تأتي أنت حالا الى هنا أو آتي أنا الى هناك ٠ واذا كنت

---

(٣) فيه ص ١٣٧ و ١٣٨ وسير النساك الشرقيين للافسسي مج ١ ص ٢٦ و ٢٧ ٠

(٤) لقد كان الاسم « السرياني » في عرف رومة عصرئذ ، خاصا بأبناء كنيستنا السريانية كما يستنتج من قول أغابيط ، رغم ان كثيرين من أبنائها بما فيهم البطريرك افرام (الآمدي) الدخيل الآنف الذكر ، كانوا قد انفصلوا عنها واعتنقوا مذهب الملك البيزنطي ٠ أما اليوم ، وبعد مرور الف وأربعمئة سنة على هذا الحادث ، يعمد الذين انفصلوا عنها في القرنين الاخيرين وانضموا الى رومة ، في محاولة فاشلة ، الى احتكار هذا الاسم ، واظهار نفسهم بمثابة الاصل ، وأُمّهم بمثابة الفرع ٠ فيقولون مثلا عن بطريركهم « مات بطريرك السريان » « وانتخب مجمع الكنيسة السريانية » الخ ، دون اضافة « الكاثوليك » و « الكاثوليكية » وهي الصفة التى لازمتهم بعد انفصالهم عنا والتحاقهم برومة ٠

ترفض أمر الملك وأمرنا ولا تُذعن لنا ، فلن تبقى في هذا المكان » • فازدرى مار زعورا كبرياء أغابيط وأجاب : « ان ملكنا القويم الرأي قد سنّ لنا قانونا ألا نستقبل أو نجاوب أحدا في هذه الايام المقدسة • وها اننا قد سيّعنا الباب أيضا ، ولذلك لا نستطيع أن نجيب الى سؤلك أو سؤل الملك ، فانتظروا الى خميس الفصح الذي فيه نفتح الباب ، وعندئذ يفعل الله ما يراه ملائما •• أما الآن فان اقتحمتمونا عنوة فالأمر لكم » • فتميّز أغابيط غيظا وأمر الحاكم أن يأخذ مفرزة من الجند ويستقدم الطوباوي مكبّلا • فركب الحاكم قاربا ليمضي الى الشاطىء الآخر • فلما وصل اليه القارب ، اذا بشبه ريح حملته وأعادته الى ميناء المدينة من حيث انطلق • فأعادوا الكرّة • ولما بلغوا الشاطىء وأخذوا يستعدون للنزول ، اذا بشبه انسان حمل القارب بقوة فائقة وأعاده الى حيث كان • فغضب الحاكم على الملاحين ، ظنّاً منه ان ذلك نتيجة اهمالهم • واذ كانوا يكدّون للوصول الى هدفهم ، انقضّ بغتة شبه برق على قاربهم ، انتزع منه خشبة من الرأس الى الرأس ، الامر الذي جعل الحاكم أن يؤمن بأن قوة الله هي التي تحاربهم عن الطوباوي • فسارعوا الى البَر وهم يولولون من الرعب الذي ملأ قلوبهم ، وقصّوا الخبر على مرسليهم ، فبهت الجميع مما سمعوا[٥] •

ولفرط كراهية أغابيط للقديسين سويريوس وأنتيموس ، كان يسمي الاول أوطيخيا والثاني فاجرا كما انه حرّض عليهما القيصر الذي أمر بطردهما من العاصمة[٦] • على أن

---

(٥) سير النساك الشرقيين للافسسي مج ١ ص ٢٧ ـ ٣١ وتاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٨ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٨٥ و ٢٨٦ •

(٦) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٧٢ و ٣٧٣ •

أغابيط عقد في القسطنطينية برئاسته مجمعا محليّا ، قطع فيه في ما زعم مار انتيموس وانتخب بدلا منه مينا • واقترح على القيصر عقد مجمع آخر ضد مار سويريوس ، ولكن الله كان له بالمرصاد ، اذ مات قبل أن يبلغ الأرب[٧] • ذلك انه اذ كان يحرّق الأُرم وينفث سمومه هنا وهناك ، مجدّفا على الايمان ، ومسمّما أفكار القيصر ، ومتوعّدا المؤمنين في كل مكان ، ضربه الله بلسانه فتورّم وانتفخ وطال وخرج من فمه وتدلّى على صدره في منظر بشع رهيب ، فأخذ يقطّعه بأسنانه • واستمرّ على هذا العذاب الاليم حتى خميس الفصح وهو الموعد الذي ضربه له مار زعورا ، وفيه لقي حتفه • وبقدر ما فرح الارثوذكسيون بهذا الحادث ، بهذا المقدار خجل الخلقيدونيون ومُنوا بالخذلان • وقام مار زعورا يشكر الله على هذا الامر الذي رفع من شأنه في أعين المؤمنين وغيرهم[٥] • وكان ذلك في العشرين من آذار •

أما مار انتيموس فأخفته القيصرة في قصرها ١٢ سنة • وفي هذا القصر بالذات أقام مار ثيودوسيوس الاسكندري عشر سنوات ، وكان يقوم بالرسامات لجميع الكنائس المصرية • أما كنائس الشرق فكان يزوّدها بالرسامات ، مار يوحنا التلّي[٨] النائب البطريركي العام • وفي الثامن من أيار هذه السنة (٥٣٦) التأم مجمع في القسطنطينية برئاسة مينا المشار اليه ، أيّد قطع مار أنتيموس وقَطَع مار سويريوس وأبطل مصنفاته ،كما قَطَعمار بطرس أسقف أباميةومار زعورا[٩] •

---

(٧) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٨ •

(٨) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٨٦ و ٢٨٧ •

(٩) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج١ ص ٣٧٢ و ٣٧٣ •

الفصل الخامس والخمسون

عودته الى مصر

أقام مار سويريوس في القسطنطينية نحو سنة ونصف ، في جوّ صاخب خانق مشحون بالتوتر . بفعل مضاعفات وضغوط من الخارج والداخل ، وهو من جهة يحاور ويناقش أئمة الخلقيدونيين الذين تنكروا للمبادىء القويمة ، مبيّنا انحراف مجمعهم عن النهج السوي ، ومن جهة أخرى يبذل أقصى الجهود في نطاق مساعيه الرامية الى توحيد الكنائس ، عاملا لهذا الهدف العمل الحازم الحاسم . وقد وَعَى مسؤولياته أمام موجات الانحراف العارمة والازمات المتلاحقة . وان المهام الجسام التي اضطلع بأعبائها ، برهنت ولاشك على انه كان على مستوى الاحداث وقدر المسؤوليات . ولكم دجى ليل الخطوب ، فصلّى فأتاه من ألطاف الله فرج لم يحتسبه . هكذا صمد قديسنا في وجه الشدائد ، وواجه الاحداث المصيرية ، ولعب دورا هاما في مجال التوجيه والارشاد ، متطلعا الى الغد بأمل باسم ، رغم ما تكبده من خصومه الذين ما فتئوا يُمرّونه ، لِما بينه وبينهم من صراع عَقَدي مرير ، وقد جنّدوا جميع أجهزة قواهم للايقاع به والاجهاز على عقيدته . ولكنه لم يتنازل عن حق الايمان قيد شعرة مؤمنا بأن الحقيقة ـ كل الحقيقة ـ يجب أن تقال بالفم الملآن والقلم العريض ، ما أدهش خصومه أنفسهم وحداهم أن يعلنوا على رؤوس الاشهاد قائلين : انه لَهذا الرجل وطلاّع آنجدٍ . وما زال على هذا المزن حتى تأكد من أن المؤتمر لم يكن الا مضيعة وقت ،

وان وعود القيصر الخلابة في معالجة صلح الكنائس لم تكن إلا مجرد أقوال جوفاء . ذلك ان الخلقيدونيين أصرّوا على عنادهم اغترارا بانحياز القيصر الى جانبهم ، وكانوا يناورون لكسب الوقت لا غير .

واذ هكذا تعذّر الوصول الى حلّ سليم لمعضلة الكنيسة ، وتضاءل الأمل في جمع الشمل ورأب الصدع ، بل ازدادت الشقة تباعدا وتنافرا ، انتابت قديسنا هموم متنوعة المصادر ومتشعبة الفروع ، فرأى أن الظرف يستدعي الاخلاد الى الصمت والسكينة . وبمساعدة القيصرة ثيودورة أفلَت من أيدي الطغاة ، وغادر القسطنطينية حاملا اكليل المعترفين بل الشهداء المظفّرين[1] ، وعاد الى برية مصر موطن غربته ، التي استمرت مريرته على العيش فيها .

وبعد وصوله بمديدة أنفذ رسالة الى « محبي الله القسوس والشمامسة ورؤساء الأديار والمدبّرين وسائر الرهبان القديسين في الشرق » قال لهم فيها : « انه اذ أفلَت من المدينة المترئسة المدن ، ومن السجن الذي رآه بعضهم بأُمّ عينهم ، رأى أن يُنفذ هذه الرسالة الصغيرة لينهضهم الى تقديم الشكر للعناية الربانية على أعمالها التي تجعلهم ثابتين في الايمان القويم » . وأخبرهم بأن « القيصرة مُحبة المسيح كفته ، وان الله أرشدها بصلواتهم الى ما يرضيه » . « وانه تعالى لم يهبه خلاصا عجيبا وحسب ، بل أضاف أيضا الى نصيب المؤمنين . ذلك ان القديس انتيموس رئيس أساقفة العاصمة ، مع انه كان في وسعه أن يتمسك بالكرسي الذي تسلّم رئاسته لو شاء ، الا انه بعدل وعن عقيدة صادقة ومعرفة ، كره نفاق الخلقيدونيين وقَبِل شركته وشركة البابا ثيودوسيوس

(١) سيرته بقلم يوحنا رئيس دير ابن افتونيا .

الاسكندري وشركة جميع الرعاة المتمسكين بعقيدتهما » . وخَلص الى القول : « انهم (يعني افرام الآمدي وأشياعه) باطلا يُضلّون بقولهم : « انهم لا يقبلون المجمع الخلقيدوني في دستور الايمان ، لكنهم انما يقبلونه لابسال أوطيخا ونسطور فقط » ، الامر الذي كان يتشدق به فلابيانوس (الثاني الانطاكي المعزول) أيضا . ولم يستطع أن يُضلّهم »[٢] .

ذكر كاتب سيرته[٣] ، انه كتب هذه الرسالة بيده ، اذ كان منعزلا وليس لديه أحد من كتّابه . وانه أرسلها الى رهبان الشرق بواسطة الفاضل رئيس الدير مار يوحنا ابن أفتونيا الشهير الذي عاش خمسة عشر يوما فقط بعد تسلّمه اياها ، ثم انتقل الى جوار ربه .

الفصل السادس والخمسون

انتقاله من هذا العالم

بعد أن جاهد مار سويريوس الجهاد الجميل وأتمّ شوطه وحفظ الايمان ، وافته المنية في الثامن من شباط سنة ٥٣٨ ، فغادر الحياة الدنيا الى الخدور العلوية ليحظى بأكليل العدل المحفوظ له والذي يجزيه به الرب يوم الدين . وقبيل وفاته كان قد ضعف وذبل جسمه ، فنقله تلاميذه من البرية الى بلدة

---

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٣٨ _ ١٤٠ .

(٣) له أربع سير ، كتب احداها رفيقه زكريا الفصيح ، وتقف عند ارتقائه الى السدة البطرسية. وكتب الثانية يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا اجابة الى رغبة الفاضل دومط من هذا الدير ، وتنتهي عند وفاته . ودوّن الثالثة البطريرك الانطاكي اثناسيوس الاول (الجمّال) . ووضع الرابعة كاتب مغمور . وهنا نعني بكاتب سيرته ، يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا المشار اليه .

سخا . وهناك التمسوا منه مع الاطباء أن يستحمّ في الحمّام ، فاستصعب ذلك قائلا : انه مذ ترهّب لم ير جسمه . فألحّوا عليه قائلين : « هبنا حياتك ، لا تفرّط فيهـا قبل الاوان ، فتُمنى الكنيسة بخسارة فادحة . اننا نُدخلك الحمّام بثيابك دون أن ترى جسمك » . وهكذا أدخلوه الحمّام بثيابه . ومدوّه على الارض فوق رخامة . فلما رفعوه عنها ، ترك عليها قوة عظيمة ، جعلتها مَعينا لشفاء مختلف الامراض بمجرد لمسها . ولما شعر تلاميذه بدنوّ أَجَلَه ، التفّوا حوله يبكون ويولولون ويلتمسون منه أَلاّ يتركهم يتامى في ذلك الزمن العصيب . أما هو فكان يشجعهم بقول الرسول بولس القائل : « انـه خير لي أن أنطلق لاكون مع المسيح » . ثم انطفأت شعلته النيّرة ، وطفق جثمانـه الطاهر يبعث رائحة عطرة ، هي رائحة الميرون المقدس .

كان الضريح الذي أُعدّ لـه قصيرا لم يتّسع لجثمانه المكرم . فارتأى بعضهم أن يكسروا ساقيه . وفيمـا كان الجثمان موضوعا فوق الضريح ، اذا به ينزل فيه بأعجوبة باهرة دون أن يُكسر منه عضـو ما . وآخذت منذئذ نعمة الروح القدس تظلل رفاته الطاهر ، حتى انـه شفى جميع المرضى وطرد الأبالسة من بعضهم عنـد دنوهم من ضريحه المقدس(١) . وقد قرظه مار يوحنا ابن أفتونيا بثلاثة معانيث (أناشيد) بليغة . كما ضمّت الكنيسة اسمه الى ذبتيخا الآباء بواسطة العلامة مار يعقوب الرهاوي بالعبارة التالية : « لنذكر أيضا بطريركنا مار سويريوس تاج السريان واللسان الفصيح وعمود وملفان كنيسة الله الجامعة » . وما برحت الكنيسة الاسكندرية الشقيقة حتى اليوم تذكره في قداسها بعد كاروزها

(١) سيرته بقلم يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا .

مار مرقس البشير ، وقبل بطاركتها القديسين : اثناسيوس ، كيرلس وديوسقوروس. كما انها أدخلت صلاة السلام الخاصة به الى قداس مار كيرلس ، وعيّدت له جملة آعياد ، منهـا عيدان في شهر توت ، وعيد ثالث في شهر بابه ذكرا لدخوله أرض مصر ، وعيد رابع في شهر هتور[٢] .

ذكر المقريزي ديرا في مصر باسـمه « بوساويرس » كان قبلا على اسـم السيدة مريم ، وقال : « وكان ساويرس من عظمـاء الرهبان ، فعُمل بطركا ، وظهرت آية عند موته ، وذلك انه أنذرهم لمـا سار الى الصعيد بأنه اذا مات ينشـق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرّها . فلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال ، فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات ، فأرّخوا ذلك فوجدوه وقت موته ، فسمّوا الدير حينئذ باسمه »[٣] .

وفي ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ اصـدر سلفنا الطيب الذكر البطريرك افرام الاول برصوم ، منشوراً أهاب فيـه بالكنائس لتحتفل بعيد مارسويريوس احتفالا عظيما ، لمناسبة السنة القرنية الرابعة عشرة لوفاته .

الفصل السابع والخمسون

عقيدته بسر التجسد الالهي

كان مار سويريوس مستقيم الصوب ، قويم المحجة وطويل الحجة ، كما تشهد مصنفاته الضخمة القيّمة التي خصم بها أعداء الايمان . ففي عهـد رهبنته ، رد على مقالة الراهب

(٢) بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري للخوري اسحق أرملة ص ٢٦ و ٢٧ .

(٣) الخطط للمقريزي ٢ : ٥٠٦ .

نيفاليوس الاسكندري الذي كان قد انضم الى الخلقيدونيين ، ثم شكاه سنة ٥٠٨ الى القيصر انسطاس . فأخذ نيفاليوس وأنصاره يشهّرون به وبالارثوذكسيين أنصاره بأنهم متمسكون ببدعة أوطيخا . فانبرى يفنّد زعمهم الباطل بمقالة ضافية وجّهها الى البطريقين أفيون وبولس ، ناقضا فيها سفاسف أوطيخا وأبوليناريوس ونسطور جملة . وأنفذ بهذا المعنى جملة رسائل الى آخرين . كما انه فضح زور كتاب البطريرك مقدون القسطنطيني النسطوري بكتاب أسماه « فيلولاتيس » (محب الحق) . ولما جلس على الكرسي البطرسي سنة ٥١٢ فاه بخطبة بليغة ، نقض فيها آراء نسطور وأوطيخا والمجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني مؤيّدا صحة الاعتقاد « بطبيعة واحدة من طبيعتين للاله المتجسد » . ثم كتب عهدا لرؤساء الأديار والرهبان في الشرق ، حرم فيه أوطيخا والذين لا يعترفون بأن ربنا يسوع المسيح « هو من طبع الآب بلاهوته ومن طبعنا بناسوته » ، ونسطور والمجمع الخلقيدوني وطومس لاون ، والذين قالوا أو يقولون « بطبيعتين للواحد ربنا والهنا يسوع المسيح من بعد الاتحاد غير الموصوف وغير المدرك ويميّزون أفعالهما وخواصهما » . وفي سنة ٥١٤ نقض كتاب سرجيس النحوي الصوري الاوطيخي ، بكتاب جليل في ثلاثة مجلدات[١] .

وسفّه الاسقف يوحنا النحوي (غرماطيقوس) القيسراني الخلقيدوني بكتاب نفيس في ثلاثة مجلدات ، ونقض مذهب الشيخ يوليان الخيالي الاوطيخي أسقف هاليكرناس[٢] . هذا

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٩ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٣٠٤ .

(٢) راجع المجلة البطريركية (دمشق) عدد ٥٤ ص ١٩٥ ـ ١٩٩ .

فضلا عن إجابته على مسائل السائلين وإعطائه الفتاوى السديدة في المشاكل الشرعية(٢) ·

لقديسنا مئة وخمس وعشرون خطبة ، عُرفت بخطب المنابر ، وهي محفوظة في ثلاثة مجلدات ضخمة · وقد نشر منها موريس برير احدى وخمسين منقولة الى الفرنسية ، في ثلاثة مجلدات · ومنها علمنا انه زار سنة ٥١٤ مدينة قورش في نطاق زيارته الرسولية للأبرشيات اللائذة بالكرسي الانطاكي ، وألقى فيها ثلاث خطب رنانة في التجسد الالهي والعقيدة الارثوذكسية ، رداً على تجاديف ثاودوريطس النسطوري بنوع خاص ، جاء في أولاها قوله : « ان الاساس هو المسيح ، وان الاعتقاد به هو انه بتجسده من العذراء القديسة ومن الروح القدس ، اتخذ ناسوتا مساويا لنا في الجوهر ، بنفس عاقلة ، دون أن يستحيل اللاهوت الى الناسوت ولا الناسوت الى اللاهوت ، وبدون امتزاج · فهو واحد من طبيعتين · أجل ، هو مسيح واحد ورب واحد ، له فرصوف واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة متجسدة » · وبعد ان طعن بمذاهب أوطيخا ونسطور وثاودوريطس وديودوروس وثاودوروس والمجمع الخلقيدوني ، قال : « ان العذراء هي والدة الاله ، اذ سكن الاله في أحشائها تسعة أشهر ثم ولدته في الجسد · فلا اللاهوت وُجد في أحشائها قبل وجود الناسوت فيها ، ولا الناسوت قبل وجود اللاهوت » ·

ولمحّ في الثانية الى ما ورد في الأولى ، ومما قال : « انه يبني باحكام على هذا الاساس (الذي وضعه مار فيلوكسينوس

---

(٢) راجع ثبت مصنفاته وفتاويه وخطبه ورسائله ومعانيثه في كتاب اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام الاول برصوم ص ٢٤٠ ـ ٢٤٩ ·

المنبجي) المتين الذي لا يستطيـع أن يزعزعه خيـال ماني وأوطيخا الملحد ، او ان تثلمه حماقة أبوليناريوس ، او أن يقسمه اثنين ـ كلاً لذاته ـ جنون نسطور اليهودي القائل بطبيعتين بعد الاتحاد » • وأردف : « انه يعترف بابن واحد ورب واحد وفرصوف واحد وأقنـوم واحد وطبيعة واحدة متجسدة ، من اثنين كاملين همـا اللاهوت والناسوت بدون تبلبل أو انقسام » •

وفي هذه الخطبة شرح أيضا الايمان القويم بالتفصيل ، مفسرا بعض النصوص الكتابية تقريعا لثاودوريطس •

وقـال في الثالثة للذين يتظاهرون باعترافهم بوحـدة المسيح ، ثم يعودون يقسمونه اثنين باعتقادهم بطبيعتين بعد الاتحاد : « حتى متى تعرّجون على الجانبين ؟ فاذا اعترفتم بأن المسيح هو واحد ، فاعترفوا أيضا وجوبا بوحدة طبيعة الكلمة المتجسدة • واذا ناديتم بطبيعتين بعد الاتحاد ، فلا تقولوا واحدا باللسان للذي قسمتموه اثنين بالقوة » •

ولمـا عاد الى انطاكية في تشرين الثاني ، ألقى خطابا في تذكار مار يوحنا المعمدان ، سرد فيه ايمانه بيسوع « الواحد الذي هو أمسا واليوم والى الأبد دون تغيّر » ، و « بالطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد والفرصوف الواحد ، ناسبا الامور الرفيعة والوضيعة معا الى هذا الواحد ، المساوي للاله الآب في الجوهر والمساوي لنا أيضا في الجوهر ما عـدا الخطيئة ، بدون انقسام أو تبلبل أو امتزاج »[٤] •

لقديسنا أيضا رسـائل جليلة زاخرة بالفوائد اللاهوتية والفقهية والتاريخية والاداريـة ، قـُدّرت بنحو من ثلاثة

---

(٤) خطبه طبعة موريس بريير ص ٢١٤ ـ ٢٥٣ و ٢٦٣ و ٢٦٤ •

آلاف وثمانمئة ، جُمعت قديما في ٢٣ مجلد . عشرة منها كتبت منذ سنة ٥١٢ ـ ٥١٨ · وقد نشر بروكس أربعة مجلدات منقولة الى الانكليزية ، مجموعها ٢٣٠ رسالة · ومنها أيضا تتضح صحة عقيدته · ففي رسالته الخامسة الى الكونت ايقومانيوس التي يستهلّها بقوله : « حين قرآت الرسالة الى محب الله القس بطرس » يقول : « نحن لا نتهرّب من الاعتراف بخواص الطبيعتين اللتين منهما عمانوئيل ،لكَي نحفظ الاتحاد بدون تبلبل ··· ولكننا نتهرّب من تمييز الخواص وتقسيمها على كل من الطبيعتين » · وقال في رسالته الى الفاضل مارون : « إذن هو نفس الشيء أن نقول انكلمة اللهاتحد بالجسد الذي له نفس عاقلة ، اتحادا طبيعيا واقنوميا وجوهريا » · وفيها صرّح أيضا « بالاتحاد غير المتبلبل بأقنوم واحد وفرصوف واحد وطبيعة واحدة للكلمة المتجسد » · وأقرّ في رسالته الى الاسقف الوسانيوس ، « بحفظ خواص الطبيعتين في المسيح الواحد ذي الطبيعة الواحدة بعد الاتحاد »· وقال في جوابه على السؤال الخامس عشر من الاسئلة التي قدّمها له كاتبه توما : « ان الذين اجتمعوا في خلقيدون ، اهتموا بأن يُخرجوا من صورة الايمان عبارة « من طبيعتين » ويُدخلوا بدلا منها عبارة « في طبيعتين » كي يفتحوا الابواب أمام تعاليم نسطور » · وبيّن في رسالته اليه أن الاقنومين أو الطبيعتين هما غير ناقصتين بتركيبهما ، وليست الواحدة منفصلة عن الأخرى ـ وكأنها في كيان خاص ـ لكنهما تعملان فرصوفا واحدا للرب المسيح الابن الواحد ، وطبيعة واحدة واقنوما واحدا للكلمة المتجسد » · وأعلن في رسالته الى رهبان طوفا ، إيمانه بربنا يسوع المسيح « الواحد من طبيعتي اللاهوت والناسوت » قائلا : « انه واحد ، إله وانسان ،

بدون تغيّر أو تبلبل ، اذ من المحال أن ينقسم بعد الاتحاد ٠ ذلك ان الاثنينية هي نقيض الوحدانية ٠ فالذي اتحد هو واحد ولا يصير بعد اثنين ٠ لذلك لا ينقسم المسيح ، لكنه فرصوف واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة متجسدة للاله الكلمة » ٠ وقال في رسالته الى القسيسين ورئيسي اديار يوحنا ويوحنا : « لقد بلغني ان الرومانيين يقولون : انهم يخشون أن يقولوا عن الذي تألم من أجلنا في الجسد ، انه واحد من الثالوث ، لئلا يضعوا الثالوث المقدس تحت العد ٠ انه لقول مشحون بالجهل والنفاق ٠٠٠ فان الثالوث الاقدس هو قابل العد بالاقانيم ، أما وحدة الجوهر لهذه الاقانيم فهي منزهة عن العد » ٠ وبرهن في رسالته الى قسوس حمص وشمامستها واكليروسها وأعيانها ولفيف شعبها الارثوذكسي، على « وحدة طبيعة المسيح واقنومه بعد الاتحاد » ، و « ان الذي صُلب وتألم هو الله في الجسد » ، و « ان الامور الرفيعة والوضيعة ، هي للاله الكلمة المتجسد » ، معتمدا في كل ذلك شهادات الآباء : غريغوريوس اللاهوتي ، كيرلس الاسكندري، الذهبي الفم ، وبروقلوس القسطنطيني ، وبيّن في رسائله الى الطبيب سرجيس النحوي والى الارثوذكسيين في صور ، والقس ناون ، « ان مجمع أفسس (الثاني) قبِل أوطيخا بناء على عريضته المتضمنة ايمانا صحيحا ، لكنه حين عاد الى قيئه نبذته الكنيسة »(٥) ٠

وشجب في رسالته الى القديس انتيموس القسطنطيني ، القول « بالتغيّر والامتزاج والتبلبل ، واعتقد بتمام ناسوت

---

(٥) رسائله طبعة بروكس مج ١ ص ١٩٤ و ٢٠٠ ـ ٢٠٦ و ٢٠٨ ـ ٢١٢ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٢ ـ ٢٤٨ و ٢٦٤ ـ ٢٦٩ ٠

المسيح المؤلف من جسد ونفس عاقلة ناطقة ، والذي اتخذه من مريم بواسطة الروح القدس ، وقال بالطبيعة الواحدة من طبيعتي اللاهوت والناسوت وسمّى العذراء «والدة الاله» .
وأردف : « انه لا ينقسم الى طبيعتين بعد الاتحاد ، مع العلم ان خواص الطبيعتين المتحدتين لم تفقد » . و « انه تشبّه لنا في كل شيء خلا الخطيئة ، وتكبد في الجسد الآلام البريئة : الجوع والعطش والتعب من المشي في الطريق ، والجلدات والصفع وتسمير اليدين والرجلين على الصليب . بيد ان الاله الكلمة الازلي كان غير قابل الآلام والموت . وهل كان ممكنا أن يأتي الى آلامنا ، لولا انه كان متحدا أقنوميا بالجسد القابل الآلام والموت ؟ هكذا نفتخر بأن لنا آلها تألم في الجسد ، فحررنا من ربقة الموت وخلّصنا ... ولا نقول انه تألم خياليا بل حقيقة ... واذ هو طبيعة واحدة وأقنوم واحد ، فقد احتمل الآلام الارادية البريئة جسديا ، وصنع المعجزات آلهيا ، أي انه مارس الامور الآلهية والبشرية معا . وليس لاجل ذلك نقول بطبيعتين بعد الاتحاد ، لكننا نقول انه هو نفسه صنع المعجزات وتألم »(٦) .

لقديسنا « معانيث » أي أناشيد مستبدعة ، كانت ترنمها كنيسة انطاكية في أثناء العبادة . وما فتئت ترنّمها كنيستنا السريانية الانطاكية ، منها المعنيث التالي الذي تبدأ به القداس الالهي ، وهو ܐܪܘܡܡܟ ܡܪܝ ܡܠܟܐ : « اني استعين بدعاء الأم التي ولدتك وجميع قديسيك . أعظمك ياسيدي الملك ، يا ابن الآب السماوي الوحيد وكلمته ، يا من هو بطبعه غير قابل الموت ، فارتضى وجاء بنعمته من أجل حياة الجنس البشري وخلاصه ، وتجسد من القديسة المجيدة

(٦) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٤٧ ـ ١٥٥ .

والعذراء الطاهرة والدة الاله مريم • وصار انسانا دون أن يتغير ، وصُلب عوضا عنا المسيح آلهنا ، وبموته وطىء موتنا وقتله ، وهو أحد الثالوث الاقدس ، ويُسجد له ويُمجَّد سوية مع أبيه وروحه القدوس ، ترأف بنا جميعا » •

ان هذا المعنيث لا يزال مستعملا في كنيستي الروم الارثوذكس والكاثوليك ايضا •

هذا غيض من فيض ، اقتبسناه من مصنفات قديسنا مار سويريوس الكبير ، برهانا على صحة عقيدته بسرّ التجسد الالهي ، وتقريعا لاعداء الايمان الذين حكّموا الهوى في نفوسهم ، واضطروا القيصر يوسطينيان فأمر باحراق هذه المصنفات وتشديد العقاب على من ينسخها أو يحرزها ، فضاعت باليونانية الا نتفا لا بال لها ، وحُفظت بترجمتها السريانية بفضل علمائنا • وها هي كلما عاينت نور الطباعة جاءت بدليل جديد فاصل على فضل مؤلفها ومتانة حججه القواطع ، وحولت أنظار العلماء من الامتهان التقليدي له الى التعجب والاعتبار وبعض الانصاف[٧] • وقد مرّ معنا ان القس جوزيف لبون الفرنسي الكاثوليكي ، أشبع مصنفات مار سويريوس درسا وتمحيصا ، ووضع بالاستناد اليها كتابا بالفرنسية أسماه « العقيدة المونوفيزيتية بحسب رأي سويريوس » ، أوضح فيه بجلاء تنزه عقيدة مار سويريوس عن كل شائبة • وعلى أُسّه بنى الدكتور أسد رستم قوله : « ويلاحَظ لهذه المناسبة أن العلماء المؤرخين الذين يُعنون اليوم بتاريخ هذه الحقبة ، يرون آن كيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس ايلوروس الاسكندريين وسويريوس

(٧) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٩ •

الانطاكي ، لم يقولوا بمزج الطبيعتين الالهية والبشرية في شخص السيد المخلّص ، ولم يُنكروا العنصرين البشريين الجسد والنفس اللذين ُوجدا فيه ، وانما قصدوا أن يُظهروا وحدة العامل المتصرف الذي هو الله ، وعبّروا عن هذه الوحدة بالقول بطبيعة واحدة »[8] • انها ولا شك طعنة نجلاء الى صدر خصوم مار سويريوس الذين درجوا على التشهير به ، ومَرَّج لسانهم في ذمه واغتيابه •

والجدير بالذكر ان مار سويريوس رغم مقته الشديد لمذهب ذوي الطبيعتين ، فقد أفتى بعدم إعادة أو مسح الراجعين منهم الى حظيرة الكنيسة[9] •

هذا ويطيب لنا ان نختتم هذا الفصل بالنشيد السرياني التالي نقلا عن فرض صلاة صباح الجمعة في كتاب الاشحيم السرياني :

ܒܩܠܐ - ܕܪܥܝܐ ܗܘ ܡܫܒܚܐ

ܝܕܝܥܐ ܒܡܠܦ̈ܢܐ ܘܚܟܝܡܐ ܒܪ̈ܥܘܬܐ

ܥܡܘܕܐ ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܣܘܝܪܐ ܕܗܘ ܐܢܝܚܗ

ܡܢ ܥ̈ܠܠܐ ܘܡܢ ܡܚܫ̈ܘܠܐ ܕܐܬܪܝܡܘ ܥܠܝܗ

ܗ̄ ܡܫܝܚܐ ܪܒ ܪ̈ܥܘܬܐ ܟܢܘܫ ܥܢܟ ܕܡܒܕܪܐ

وهذا معناه : « ان صفي الله سويريوس ، الشهير بين الملافنة والخبير بين الرعاة وعمود البيعة المقدسة ، هو نفسه اراح الكنيسة من الامواج والانواء التي زمجرت عليها • فيا ايها المسيح رب الرعاة اجمع شمل رعيتك المبددة » •

---

(٨) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٥٤ • ومن الغريب العجيب أن يقول أسد رستم في مقدمة هذا الكتاب (ص ج) : « والمونوفيسيون قالوا بطبيعة واحدة آلهية » !!!

(٩) راجع مجموعة القوانين السريانية في خزانة البطريركية ، وهدايات ابن العبري • هذا وقد اشتمل هذان المصدران على جملة فتاوى لقديسنا مار سويريوس •

فهرس الاعلام

آ

ابراهيم أبو الآباء ص ٤٥ و ١٣٧ ٠ ابراهيم ، قديس ص ١٠٢ ٠
ابراهيم ملك الحِميريين ص ١٢٧ ٠ ابراهيم بن اوفروس القس رسـول
القيصر يوسطينوس الاول ص ٣٠ ٠ ابن العبري ص ١٤ و ٣٢ ٠ أبوقراطيس
المنطقي الاسـكندري ص ٦٧ و ٧٠ و ٧٢ و ٧٣ ٠ أبوليناريوس المبتدع
ص ١٣ و ٤٨ و ٥٢ و ٦٠ و ١٥٢ و ١٥٤ ٠ أبي عفر الحاكم العسكري
ص ٣٩ ٠ ابيفان أسقف صور ص ٢٤ و ٢٥ و ٩٩ ٠ ابيفانيوس المعترف
أسقف مغيذوس ص ١١ ٠ ابيفانيوس بطريرك القسطنطينية ص ١٣٢ ٠
ابيفانيوس ، شماس اسكندري ص ١٢٨ ٠ اثناسيوس بطريرك الاسكندرية
ص ٨ و ١٢٣ و ١٥١ ٠ اثناسيوس الاول (الجمّال) بطريرك انطاكيـة
ص ١٤٩ ٠ اثناسيوس القس النصيبيني ص ١٠٤ ٠ ارميا النبي ص ١٤٠ ٠
اريوس المبتدع ص ٦٩ و ١٣٦ ٠ اسحق الخوري أرملة ص ٧ و ١١٥
و ١١٦ ٠ أسد رستم الدكتور ص ١١ و ١٢ و ١٥ و ١٦ و ٣٤ ـ ٣٩
و ١٠٠ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٢ ٠ اسطاريوس اسقرطيس والي انطاكية
ص ٢٣ ٠ اسطاريوس أسقف نوسه ص ٧١ ٠ اسطيفان الفلسطيني رفيق
سويريوس ص ٨ و ٩ ٠ اسـطيفان رئيس أسـاقفة سلوقية ايسـورية
ص ٦٤ و ٦٥ ٠ اسطيفان أسقف طرابلس ص ١٠٤ ٠ اسطيفانس البطريرك
الدويهي ص ٨٢ ـ ٨٤ ٠ اسكندر أسقف منبج ص ٩٣ ٠ اسكندر رئيس
دير مارون ص ٨٣ ٠ أسول أسقف رأس العين ص ١٤٣ ٠ اشعيا النبي
ص ٧٤ و ٧٥ ٠ أغابيط بابا رومية ص ١٤٢ـ١٤٦ ٠ اغناطيوس النوراني
أسقف انطاكية ص ٦٢ و ٦٣ ٠ افرام الاول برصوم البطريرك ص ٤ و ٢٢
و ٣٠ و ١٥١ ٠ افـرام بطريرك انطاكيـة الدخيل ص ١٣٢ و ١٤٣ ٠
افلوطين الفيلسوف ص ١٤٣ ٠ افيميوس بطريرك القسطنطينية ص ١٠٢ ٠
افيون البطريق ص ١٣ و ١٥٢ ٠ اقاق مطران حلب ص ٦٥ ٠ اقاق بطريرك
القسطنطينية ص ١٠٧ ٠ الفيوس قس اسكندري ص ١٢٨ ٠ الكسندروس

بطريرك انطاكية ص ٨٨ · الوسيوس والوسانيوس من أساقفة قبادوقية ارمينية ص ٧١ و ١٥٥ · اليشع من ليقية رفيق مار سويريوس ص٨و٩ · امفيلوخيوس أسقف قونية ص ٨ · امنطيوس وزير البلاط ص ٢٥ و ٩٨ و ١٠٦ · امونيوس ، قس اسكندري ص ١٢٨ · امينوشنسيوس أسقف مارونيا ص١٢٧ · أناطوليوس رفيق مار سويريوس ص٨و٩ · أناطوليوس بطريرك القسطنطينية ص ٨٨ و ٩٠ · أنتيموس بطريرك القسطنطينية ص ١٣٠ ـ ١٣٥ و ١٣٧ـ١٤٢ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٥٦ · اندراوس أسقف سميساط ص ٩٣ · انـدراوس ، حاجب ص ١٠٦ · انسطاس القيصر ص ١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٥ و ٥٦ و ٦١ و ٨١ و ٩٠ و ٩١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٥ ـ ١٠٧ و ١٥١ · انسطاس أسقف أورشليم ص ٦٩ · انسطاس الرهاوي رفيق مار سويريوس ص ٨ و ٩ · أنطونين أسقف حلب ص ٧٤ و ١٠٤ · إنوديوس مغنوس فيلكس أسقف باريس ص ٩٢ · اوترخيـوس أسقف عين زربـا ص ١٠٤ · اوربانوس النحوي ص ٦٧ و ٦٩ · اورنيس أسقف اسكندري ص ١٢٨ · اوسابيوس بمفيليوس القيسري ص ٦٩ و ٧٠ · اوسابيوس ، شماس ص ١٠٠ · اوسابيوس أسقف اسكندري ص ١٢٨ · أوسطاث أسقف فارين (البيرة) ص ٢٠ · أوسطاثيوس متروبوليت بيروت ص ٩ · أوطاخيوس بطريرك القسطنطينية ص ٩٠ · أوطيخا المبتدع ص ٧ و ١٣ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٤٧ و ٤٨ و ٥٢ و ٦٠ و ١٠١ و ١١٥ و ١٣٣ و ١٣٦ و ١٤٩ و ١٥٢ ـ١٥٤ و١٥٦ · اوغريس رفيق مار سويريوس ص٨و٩و١١ · اوغوسطينوس أسقف هبو ص ٩٢ · أوفموس شماس اسكندري ص ١٢٨ · أوفيمية الشهيدة ص ١٤ و ١٠٦ و ١١٦ · أونوميوس المبتدع ص ٨ · ايرونيموس العلامة ص ٨٨ · ايزابل ص ١١٣ · ايزيدوروس مركاتور ص ٨٥ · ايسيدوروس أسقف قنسرين ص ١٠٩ · ايقومانيوس الكونت ص ١٥٥ · ايليا النبي ص ٤٩ و ١١٣ · ايليـا تلميذ مار يوحنا التلي ص ١٢٠ · اينوكنتيوس أسقف رومية ص ٨٨ · ايوانيس أسقف اسكندري ص١٢٨ · ايوانيس شماس اسكندري ص ١٢٨ ·

ب

باخوس الشهيد ص ٤٦ · باسوس الشهيد ص ٨٨ · باسيليوس الكبير أسقف قيصرية قبادوقية ص ٨ و ٩ و ٦٢ و ٦٣ · برصوم الفارسي أسقف نصيبين النسطوري ص ٢٠ و ١٣٧ · برصوم رئيس الابيلين ص ٩٣ـ٩٥ · برنابا التلميذ ص ٤٦ · برنيقيا الناسك ص ١١٨ · بروقلوس

بطريرك القسطنطينية ص ٧٠ و ١٥٦ · بروكس مستشرق ص ٢٢ و ١٥٥ · بروكلس من أساقفة قبادوقية ارمينية ص ٧١ · بروكوبيوس الشهيد ص ٥٧ · بطرس الالثغ بطريرك الاسكندرية ص ٧ و ١٠ · بطرس الرسول ص ١٩ و ٢٢ و ٤٤ و ٨٧ – ٨٩ و ١٣٤ · بطرس أسقف حلب ص ١٨ و ١٩ و ٧٤ · · بطرس أسقف أفامية ص ٢٦ و ٧٩ و ٨١ و ٨٣ و ١٠٤ و ١٤٦ · بطرس الكرجي ص ١٠ – ١٢ · بطرس كاتب مار سويريوس ص ٧٥ و ٧٦ · بطرس الثاني بطريرك انطاكية ص ٦٩ و ٩٧ · بطرس القس ص ١٥٥ · بقطر أسقف فيلادلفيا (عمان) ص ١٠٤ · بولس مرافق حاكم صور ص ٢٥ · بولس الرسول ص ٤٠ و ٤١ و ٤٦ و ٦٢ و ١١٣ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٣ و ١٤٠ و ١٥٠ · بولس أسقف أفسس ص ٦٩ · بولس البطريق ص ١٣ و ١٥٢ · بولس المعوشي بطريرك الموارنة ص ٨٧ · بولس حارس القائد بيطاليان ص ١٠٧ · بولس (اليهودي) بطريرك انطاكيـة الدخيل ص ١١٦ · بولس أسقف الرقـة ص ١٢٥ · بولس السميساطي المبتدع ص ١٤٣ · بويليا ص ٧٧ · بيطاليان القائد ص ٥٦ و ١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ · بيلاجيوس الثاني بابا رومية ص ٨٥ ·

ت

تاوفانـوس المـؤرخ ص ٣٥ · تاوفنيس المنطقي ص ٦٧ و ٦٩ · تاوفمفطوس ، قس اسكندري ص ١٢٨ · توما أسقف حنصرة (خناصير) ص ١٨ · توما الرسول ، ديره في حمص ص ٣١ · توما أسقف في جبل ماردين ص ١٠٤ · توما أسقف مرعش ص ١٠٤ و ١٢٧ · توما أسقف دارا ص١١٩ · توما ، أسقف اسكندري ص ١٢٨ · توما القس ص ١٢٤ · توما كاتب مار سويريوس ص ١٥٥ ·

ث

ثاودور ابن شوفني ص ١٠٣ · ثاودور أسقف أوليا ص ١٠٤ · ثـاودوروس المصيصي المبتـدع ص ١٤ و ١٧ و ٢٠ و ٤٧ و ٤٩ و ٧٠ و ١٥٣ · ثاودوريطس القورشي ص ١٤ و ١٧ و ٢٠ و ٤٦ – ٤٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٧٦ – ٧٨ و ٩٣ و ١٥٣ · ثاودوسي ابن شـوفني ص ١٠٣ · ثاودوسيوس أسقف أورشليم ص ٩٣ · ثاودوسيوس الثاني القيصر ص ١٢٢ · ثاوقريطس ص ١٠٦ · ثيـودورة القيصـرة ص ١٢٩ – ١٣٣ و ١٤٤ و ١٤٨ · ثيودوسيوس بطريرك الاسكندرية ص ١٢٧ و ١٢٩ – ١٣٥ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٦ و ١٤٨ ·

ج

جبرائيل رئيس الملائكة ص ٥٧ · جنيس بطريرك الاسكندرية الخيالي الدخيل ص ١٢٧ و ١٢٩ · جوزيف لبون القس الفرنسي ص ١٣ و ٣٧ و ١٥٨ ·

ح

الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ص ٣١ · حنظلة بن أبي عفراء الطائي ص ٣٢ · حنينا القديس ، ديره ص ١١٨ ·

د

داود النبي ص ١٣٨ · دودو الشيخ الناسك من دير مار توما الرسول بحمص ص ٣١ · دومط الراهب ص ١٤٩ · ديودوروس أسقف طرسوس المبتدع ص ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٤٧ و ٧٠ و ١٤٣ و ١٥٣ · ديوسقوروس الاول بطريرك الاسكندرية ص ٣٧ و ١٥١ و ١٥٨ · ديوسقوروس الثاني بطريرك الاسكندرية ص ٧١ و ٧٣ و ١٢٧ · ديونيسيوس ابن صليبي ص ٢٢ · ديونيسيوس السكيثي المعروف بالصغير ص ٨٤ · ديونيسيوس أسقف طرسوس ص ١٩ و ٢٠ و ١٠٤ ·

ذ

الذهبي الفم ، يوحنا بطريرك القسطنطينية ص ٨ و ٩ و ٥٤ و ٧٨ و ٨٧ و ١٥٦ ·

ر

الرهاوي المجهول المؤرخ ص ٩٥ · رومانوس الشهيد الانطاكي ص ٥٩ · رومانوس ، ديره في فلسطين ص ١١ · روهربخر المؤرخ ص ٨٢ و ٨٣ ·

ز

زعورا الناسك العجائبي ص ١٤٤ ـ ١٤٦ زكريا الفصيح رفيق مار سويريوس ص ٧ ـ ١٠ و ١١٧ و ١١٨ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٤٣ و ١٤٩ ·زنودور رفيق مار سويريوس ص ٨ و ٩ · زينون القيصر ص ٧ و ١٤ و ١٧ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٨ و ٦٤ و ٧٢ و ١٠٢ و ١٠٧ و١٣٦ ·

س

سابا الناسك ص ١٠٠ و ١٠١ · ساويرا قس بيعة طرابلس ص ١٠ · سرجيس النحوي الصوري ص ٢٤ و ١٥٢ و ١٥٦ · سرجيس أسقف قورش ص ٢٠ و ١٠٤ و ١١٩ و ١٢٧ · سرجيس الشهيد ص ٤٥ و ٤٦ · سرجيس رئيس أطباء رأس العين ص ١٤٣ · سلوان أسقف أوريم ص ١٩ · سمعان العمودي ص ٨٣ و ٩٢ ـ ١٠١ · السمعاني ص ٧٦ و ١٢٧ · سوسطيوس الشاعر اليوناني ص ٢٢ · سوطوريخوس أسقف قيصرية قبادوقية ص ٦٧ و ٧٠ و ٧١ و ١٠٤ · سوفطروس الفصيح ص ٠٧ سوقنسوس أسقف قيصرية الجديدة ص ١٢١ و ١٢٢ · سولون رئيس أساقفة سلوقية سوريا ص ٦٣ و ١٠٤ ·

ش

شمعون أسقف قنسرين ص ١٨ و ١٩ و ١٠٤ · شمعون رئيس دير تلعدا ص ١٨ · شمعون الخزاف (القوقاي) ص ٢٨ و ٢٩ · شمعون الارشمي ص ٣٠ و ٣١ و ٣٥ و ٣٨ و ١١٩ · شندا ص ١٥ · شيخو الاب اليسوعي ص ٣٢ ـ ٣٧ ·

ص

صبحي الصواف ص ٩٦ · صموئيل رئيس دير ص ٣٩ و ١٠٥ · صموئيل النبي ص ٤٠ ·

ط

طيمثاوس الثاني ايلوروس بطريرك الاسكندرية ص ٣٧ و ٦٩ و ٧٣ و ١٥٨ · طيمثاوس بطريرك القسطنطينية ص ٢٠ و ٢٣ و ٢٤ و ١٠٢ و ١٠٦ · طيمثاوس الثالث بطريرك الاسكندرية ص ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ · طيمثاوس ، أسقف اسكندري ص ١٢٨ ·

ع

عاموس النبي ص ٥٠ ·

غ

غريغوريوس أسقف نوسه ص ٨ و ٩ · غريغوريوس العجائبي ص ٨ · غريغوريوس النازينزي اللاهوتي ص ٨ و ٥٤ و ٦٢ و ٧٤ و ١٥٦ · غريغوريوس الاول بابا رومية ص ٨٥ و ٨٦ و ٨٨ و ٨٩ ·

ف

فراويطاس بطريرك القسطنطينية ص ١٢ · فردينان توتل اليسوعي ص ٢٠ · فيلبس من باترا ليقيــة رفيق مار ســويريوس ص ٨ و ٩ · فيلكبس الثالث أسقف رومية ص ١٠٧ · فيلوكسين أسقف دلوك ص ٢٠ و ١٠٤ و ١٢٧ · فيلوكسينوس أسقف منبج ص ١٧ ــ ١٩ و ٢٢ و ٢٤ و ٣٩ و ٤٦ ــ ٤٨ و ٥٠ و ٦٣ ــ ٦٦ و ١٠٤ و ١١٧ و ١١٨ و ١٥٣ · فيلوكسينوس أسقف في جبل ماردين ص ١٠٤ · فوقا الشهيد ص ٥٧ · فلوينوس الحاكم ص ٥٧ · فلابيانوس الثاني الانطاكي ص ١٣ و ١٧ و ١٨ و ٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٦٣ ــ ٦٥ و ١٠٢ و ١٠٧ و ١٤٩ · فيكتور تونوي ص ٣٤ ·

ق

قسطنطين أسقف اللاذقية ص ١٠٤ · قسطور أسقف برجا ص ١٠٤ · قسيان أسقف بُصرى ص ١٠٤ · قلر كاتب القائد بيطاليان ص ١٠٧ · قلمطيوس من الاسكندرية ص ٢٥ · قوزما قس بيعة مار يهوذا الرسول في بيروت ص ٩ · قوزما قس قريــة فانير ص ٩٢ · قيسارية البطريقة ص ٥٤ · قيلاروس الحاكم ص ١٥ ·

ك

كالوتيخيوس الخصي ص ١٢٩ · كبريانس أسقف قرطاجنة ص ٩٢ · كيرلس أسقف أورشليم ص ٩ · كيرلس بطريرك الاسكندرية ص ٨ و ١٤ ــ ١٦ و ١٨ و ٣٧ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٠ و ١١٥ و ١٢١ ــ ١٢٣ و ١٣٦ و ١٥٠ و ١٥٦ و ١٥٨ ·

ل

لاباي المؤرخ ص ٨٢ و ٨٣ · لاون أسقف رومية ص ١٤ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢٢ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٣ و ٨٨ و ٩٠ و ٩١ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٥٢ · لاون الاول القيصر ص ٩٣ · لاونطيوس ابن أودوكسيوس ص ٨ · لاونطيوس الشهيد ، كنيسته في طرابلس ص ٩ و ١٠ · لاونطيوس قس بيعة الشهيد لاونطيوس ص ١٠ · لاوي ص ١٢٦ · لوقا الانجيلي ص ٥٣ · ليبانيوس الفيلسوف ص ٨ ·

م

مارا مبتدع ص ٧٤ • مارون الناسك ص ٧٦ ــ ٨٤ • مارون الذي راسله مار سويريوس ص ٧٨ و ١٥٥ • مارون الذي راسله مار يعقوب السروجي ص ٧٨ • مارون القارىء العين زربي الذي راسله مار فيلوكسينوس المنبجي ص ٧٨ • مارون الناسك العجائبي في ولاية آمد ص ٧٨ • مارون رئيس دير المشارقة في جبل الرها ص ٧٨ • مارون رئيس دير الشجرة في داريّا ص ٧٨ • مارينا أسقف بيروت ص ١٨ و ٢٠ و ٢٥ و ١٠٤ • ماريون أسقف شورا ص ١٩ و ١٠٤ و ١١٩ • ماني المبتدع ص ٤٨ و ٦٠ • مرقس البشير ص ١٥١ • مرقولون تلميذ مار سمعان العمودي ص ٩٢ و ٩٣ • مرقيان القيصر ص ٩٠ • مريم أخت موسى النبي ص ٦٢ • مريم العذراء والدة الاله ص ١٣٦ و ١٤٣ و ١٥٧ • مسروق (ذو نواس) ملك الحميريين ص ٣٠ • المقريزي المؤرخ ص ١٥١ • مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك ص ١٠٠ و ١٠٢ مقدونيوس المبتدع ص ١٣٦ • مقدون بطريرك القسطنطينية ص ١٤ ــ ١٨ و ٩٠ و ١٠٢ و ١٥٢ • المنذر الثالث اللخمي ملك الحيرة ص ٣٠ ــ ٣٦ • المنذر بن الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ص ٣٢ • موريس بريير المستشرق ص ١٥٣ • موريق وموريقيان القائدان ص ٨٢ • موسينيوس أسقف ميلوءا في ايسورية ص ٦٩ و ١٠٤ • موسى النبي ص ٤٩ و ٥٥ و ٥٨ و ٦٠ و ٦٢ و ١٢٦ و ١٤٢ • ميخائيل الكبير بطريرك انطاكية ص ١٤ • ميخائيل رئيس الملائكة ص ٣٤ ــ ٣٦ و ٥٧ و ٥٨ • مينا القبادوقي رفيق سويريوس ص ٨ و ٩ • مينا بطريرك القسطنطينية ص ١٤٦ •

ن

ناون القس ص ١٥٦ • نسطور المبتدع بطريرك القسطنطينية ص ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٤٧ ــ ٤٩ و ٦٠ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٠ و ١١٥ و ١٣٣ و ١٣٩ و ١٤٣ و ١٤٩ و ١٥٢ ــ ١٥٥ • نونس أسقف سلوقية ص ١٠٤ • نونو أسقف قرقيسياء ص ١١٩ • نونوس الاسقف ص ٩٩ • نيفاليوس الراهب الاسكندري ص ١٢ و ١٣ و ١٥١ • نيقيا أسقف اللاذقية ص ١٨ و ١٩ •

هـ

هرمزدا بابا رومية ص ٨٢ ــ ٨٥ و ٨٧ و ٨٩ ــ ٩١ و ١٠٠ • هرقل القيصر ص ٨١ • هيبا مطران الرها النسطوري ص ١٧ و ٢٠ •

و

ويجيليوس بابا رومية ص ٩٠ · والنطينوس المبتدع ص ٤٨ ·

ي

يشوع بن نون ص ٥٠ · يعقوب أبو الاسباط ص ٥٠ · يعقوب الرسول ص ١٢٣ و ١٢٤ · يعقوب الملفان السروجي ص ٢٨ و ٢٩ و ٧٤ و ٧٨ و ٨٨ و ٩٥ · يعقوب الرهاوي ص ٢٩ و ١٥٠ · يعقوب البرادعي ص ٨٤ · يعقوب معلم مار سمعان العمودي ص٩٣ · يوحنا الفيلسوف ص ٧ · يوحنا الفلسطيني ص ٩ · يوحنا الفيلسوف الناسك ص ص ٩ · يوحنا المعمدان ص ١٠ و ٥١ و ٥٩ و ١٥٤ · يوحنا رئيس دير ابن أفتونيا ص ١٠ و ١١ و ١٤٩ · يوحنا الثاني بطريرك الاسكندرية ص ١٧ و ١٩ و ٢٠و٢٣و٨٧و١٢٧ · يوحنا الاورشليمي ص١٧ · يوحنا ويوحنا رئيسا أديارص١٥٦ · يوحنا بطريرك القسطنطينيةص٨٤و١٠٦ · يوحنا النحوي القيسراني ص١٢٠و١٢١و١٢٥و١٥٢ · يوحنا بطريرك انطاكيةص٩٣ · يوحنا الصوام بطريرك السطنطينية ص٨٥و٨٦ · يوحنا ابن أفتونياص١٤٩ و ١٥٠ · يوحنا الافسسي المؤرخ ص ٧٨ و ٧٩ و ١٤٣ · يوحنا رئيس دير ص ١٠٥ · يوحنا الاسقف الاسكندري ورئيس دير ص ٦٦ · يوحنا الاسقف في جبل ماردين ص ١٠٤ · يوحنا التلي بن قوروسوس ص ١١٨ و ١٢٠ و ١٤٦ · يوسف داود مطران السريان الكاثوليك ص ١٩ · يوسف مزهر الدكتور ص ٧٨ · يوسف أسقف جبولا ص ١٩ · يوسف أسقف اغروفوس (أوروفوس) ص ٢٠ · يوسف الدبس المطران المؤرخ الماروني ص ٧ و ١٠ و ١٣ و ٧٦ و ٧٧ ـ ٧٩ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٩ و ١٢٧ · يوسف البار ص ٥٨ و ٦٠ و ٧٦ · يوسطينوس الاول القيصر ص ٣٠ و ٣١ و ٧٩ و ٨٢ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢٠ · يوسطينيانوس الاول القيصر ص ٣٢ و ٨١ و ٨٢ و ١٠٧ و ١٢٠ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٥٨ · يوسطينيانوس الثاني القيصر ص ٨٢ · يوليان أسقف هاليكرناس ص ١٠٤ و ١٢١ ـ ١٢٧ و ١٥٢ · يوليان أسقف بصرى ص ٢٤ · يوليان أسقف سلمية ص ٢٠ · يوليان الجاحد القيصر ص ٥٤ · يوناثان قس ورئيس دير ص ٣٩ و ١٠٥ ·

فهرس الكتاب

			صفحة
المقدمة بالعربية			٣
اهداء الكتاب			٤
المقدمة بالسريانية			٥
الفصل الأول	:	حداثته ودراسته	٧
الفصل الثاني	:	اقتباله سر العماد المقدس	٩
الفصل الثالث	:	ترهّبه	١٠
الفصل الرابع	:	دفاعه عن الايمان	١٢
الفصل الخامس	:	فضحه مقدون القسطنطيني	١٤
الفصل السادس	:	انتخابه بطريركاً في مجمع صيدا	١٧
الفصل السابع	:	تنصيبه	١٩
الفصل الثامن	:	انعاشه الحياة الروحية	٢١
الفصل التاسع	:	عقده مجمعي انطاكية وصور	٢٢
الفصل العاشر	:	حرمه الاساقفة المنشقين	٢٤
الفصل الحادي عشر	:	دوره في تهدئة الزلازل	٢٦
الفصل الثاني عشر	:	فحصه ملفنة مار يعقوب السروجي ومار شمعون الخزاف	٢٨
الفصل الثالث عشر	:	المنذر الثالث اللخمي ملك الحيرة والمسيحية	٣٠
الفصل الرابع عشر	:	مار سويريوس والمنذر الثالث اللخمي	٣٣
الفصل الخامس عشر	:	مار سويريوس وحيرة النعمان	٣٨

صفحة

الفصل السادس عشر	: توديعه انطاكية لزيارة الارياف والاديار	٤٠
الفصل السابع عشر	: تفقده الاديار	٤٢
الفصل الثامن عشر	: زيارته لمدينة قنسرين	٤٤
الفصل التاسع عشر	ترؤسه في قنسرين عيد شفيعها مار سرجيس	٤٥
الفصل العشرون	: زيارته لمدينة قورش	٤٦
الفصل الحادي والعشرون	: عودته الى انطاكية	٥١
الفصل الثاني والعشرون	: تفنيده ثاودوريطس القورشي	٥٣
الفصل الثالث والعشرون	: استنزاله الغيث	٥٥
الفصل الرابع والعشرون	: احتفاله بنقل رمة الشهيدين بروكوبيوس وفوقا	٥٧
الفصل الخامس والعشرون	: احتفاله بالذكرى الرابعة لجلوسه	٥٩
الفصل السادس والعشرون	: تدشينه كنيسة والدة الاله في انطاكية	٦١
الفصل السابع والعشرون	: إطراؤه مناقب أئمة البيعة	٦٢
الفصل الثامن والعشرون	: ضمه الايسوريين الى الكنيسة	٦٣
الفصل التاسع والعشرون	: تساهله في قبول المرتدين الى الكنيسة	٦٧
الفصل الثلاثون	: قبوله القبادوقيين في شركة الكنيسة	٧١
الفصل الحادي والثلاثون	: رسالته الى مار أنطونين أسقف حلب	٧٤
الفصل الثاني والثلاثون	: تأبينه كاتبه بطرس	٧٥
الفصل الثالث والثلاثون	: مار مارون وديره	٧٦
الفصل الرابع والثلاثون	: مار سويريوس ورهبان دير مار مارون	٧٩
الفصل الخامس والثلاثون	: مصادر التهمة النكراء	٨٢
الفصل السادس والثلاثون	: بطلان التهمة النكراء	٨٥

صفحة

الفصل السابع والثلاثون	: أرثوذكسية مار سمعان العمودي	٩٢
الفصل الثامن والثلاثون	: مار سويريوس ومقام مار سمعان العمودي	٩٧
الفصل التاسع والثلاثون	: اشادته بمبرات القيصر انسطاس	١٠٢
الفصل الأربعون	: ولاية الكرسي الانطاكي في عهده	١٠٤
الفصل الحادي والاربعون	: هربه الى مصر	١٠٥
الفصل الثاني والاربعون	: كيفية وصوله الى مصر	١٠٨
الفصل الثالث والاربعون	: مسيرته في مصر	١١٤
الفصل الرابع والاربعون	: الكرسي الانطاكي بعد مغادرته	١١٦
الفصل الخامس والاربعون	: تعيينه يوحنا التلي نائباً بطريركياً عاماً	١١٨
الفصل السادس والاربعون	: نقضه مزاعم الهراطقة	١٢٠
الفصل السابع والاربعون	: اعتذاره عن حضور مؤتمر القسطنطينية	١٢٥
الفصل الثامن والاربعون	: تهنئته مار ثيودوسيوس الاسكندري	١٢٧
الفصل التاسع والاربعون	: شخوصه الى القسطنطينية	١٣٠
الفصل الخمسون	: اجتذابه مار أنتيموس القسطنطيني الى حظيرة الكنيسة	١٣٢
الفصل الحادي والخمسون	: تبادله ومار أنتيموس الرسائل السلامية	١٣٥
الفصل الثاني والخمسون	: زفه البشرى الى ثيودوسيوس الاسكندري	١٣٨
الفصل الثالث والخمسون	: ذكره في رسالتي أنتيموس وثيودوسيوس السلاميتين	١٤١
الفصل الرابع والخمسون	: تأسفه من عمل أغابيط الروماني	١٤٢
الفصل الخامس والخمسون	: عودته الى مصر	١٤٧
الفصل السادس والخمسون	: انتقاله من هذا العالم	١٤٩
الفصل السابع والخمسون	: عقيدته بسرّ التجسد الالهي	١٥١
فهرس الاعلام		١٦٠

اصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطـأ	صــواب
١٢	١٢	اضطره التوجه	اضطره الى التوجه
٢٧	١٥	مز ٦ : ١١	مز ٦٥ : ١١
٢٧	١٧	تصبّ	تنصبّ
٣٩	١	نؤيد	تؤيد
٤٣	٢٤	لرأسي	لرأسي ماء
٥٤	٤	اليها	إلهيّا
٩٧	١	كبرهان	لَبرهان
١٠٦	٢١	يذكد	يذكر

طبع بنفقة نيافة مار أثناسيوس يشوع

مطران الولايات المتحدة وكندا

ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Syriac Literature: O–Z
Beth Mardutho Library

مطابع ألف باء - الأديب - دمشق